

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية



تَجَلِّيَّاتُ الْعُدُولِ الدَّلَالِيِّ فِي النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ - سورة البقرة نموذجاً -
دِرَاسَةٌ دِلَالِيَّةٌ بَيَّاتِيَّةٌ

أطروحة بحث لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د في علوم اللغة العربية

إعداد الطالب:

كريم كحول

السنة الجامعية 1439هـ - 1440هـ / 2018م - 2019م

شكر وتقدير

أقدم بالشكر والامتنان إلى كل من مدّ لي يد العون ، وأخص منهم بالذكر الأستاذة الدكتورة: حفيظة جنيح التي نلت بتواصلي معها في مشوار إشرافها على هذا البحث خيراً كثيراً، إذ كانت تتابع عن كثب خطوات البحث بحرص وإخلاص ، فضلاً عن ملاحظاتها القيمة وتوجيهاتها السديدة التي كان لها أثر كبير في تقويم البحث والوصول به إلى ما هو عليه، فجزاها الله عني خير الجزاء .

ومن دواعي الاعتراف بالجميل أن أقدم بالشكر والامتنان إلى أساتذتي الأفاضل الذين تتلمذت على أيديهم طوال مدة وجودي في الجامعة، وإلى الأخوة والزملاء الذين كانوا معي .

كما أشكر كل من مدّ لي يد العون من قريب أو من بعيد .

إليهم جميعاً أسدي شكري ، أدامهم الله لي ذخراً وأقدرني على السداد .

إهداء

إلى من مرباني صغيرا واحتواني كبيرا، إلى والدي العزيزين أمد الله في

عمرهما...

إلى من لها في القلب مكانة وفي النفس منزلة نزوجتي الغالية.....

إلى إخوتي وأخواتي وأصدقاء دربي.....

إلى أساتذتي الذين علموني.....

كريم كحول

مقدمة

بَعَثَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَجَعَلَ مُعْجَزَتَهُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ - وَهِيَ الْمُعْجَزَةُ اللَّغَوِيَّةُ الْوَحِيدَةُ مِنْ بَيْنِ مُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ - فَتَبَوَّأَ مَكَانَ الصَّدَارَةِ عِنْدَ أَرْبَابِ اللُّغَةِ وَالْبَيَانِ بِمَا حَوَاهُ بَيْنَ دَفْتَيْهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْخَالِبَةِ وَالْمَعَانِي الْمَغْدِقَةِ الَّتِي بَهَرَتْ الْعُقُولَ وَأَذْهَشَتْ الْأَلْبَابَ.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ذُو بَنِيَّةٍ لُغَوِيَّةٍ دَلَالِيَّةٍ عَمِيقَةٍ الثَّرَاءِ، تَحَدَّتِ الْفُصَحَاءُ، وَأَخْرَسَتْ الْفُحُولَ وَالْبُلْعَاءُ، وَرَغِمَ أَنَّه لَمْ يَخْرُجْ عَنِ الْمَعْهُودِ مِنْ لُغَتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُ أَعْجَزَهُمْ بِأَسْلُوبِهِ، وَأَفْحَمَهُمْ بِحُجَّتِهِ، وَسَحَرَهُمْ بِبَلَاغَتِهِ، وَتَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، فَأَدْعَنُوا لَهُ وَانْقَادُوا إِلَيْهِ، وَقَدَّسُوهُ إِعْظَامًا وَإِجْلَالًا، وَأَعْمَلُوا عُقُولَهُمْ فِي تَأْسِيسِ عُلُومِهِ، وَتَسَابَقُوا إِلَى اسْتِنْبَاطِ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ وَدَلَائِلِ بَلَاغَتِهِ وَأَسْرَارِ بَيَانِهِ.

وَقَدْ تَوَزَّعَتْ عُلُومُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ثَنَائِهَا الْقُرْآنَ، وَتَشَعَّبَتْ مُسْتَوَيَاتُهَا فِي رَحَابِهِ، فَلَا تَكَادُ تَطْرُقُ جُزْئِيَّةٌ مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ، وَلَا مَوْضُوعٌ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ إِلَّا وَكَانَ الْقُرْآنُ لِذَلِكَ حَقْلًا خَصِيصًا يُؤْتِيكَ أَكْثَلَهُ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالثَّمَارِ، وَمِيدَانًا فَرِيدًا يُتَحَفُّكَ بِالدُّرَرِ وَالْأَسْرَارِ.

وَمِنَ الْجُزْئِيَّاتِ الَّتِي لَفَتَتْ انْتِبَاهِي، وَالْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي عَلِقَتْ فِي ذَهْنِي مَوْضُوعُ الْعُدُولِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَالْعُدُولُ الدَّلَالِي بِصِفَةِ خَاصَّةٍ، وَبَعْدَ اسْتِشَارَةِ الْأُسْتَاذَةِ الْمُشْرِفَةِ تَقَرَّرَ أَنْ نَخُوضَ غِمَارَ هَذَا الْمَوْضُوعِ وَنَسْتَظْهَرِ مَكْنُونَاتِهِ فِي النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ فَاخْتَرْنَا لِذَلِكَ - حَتَّى لَا يَطُولَ الْمَوْضُوعُ - سُورَةَ الْبَقَرَةِ نَمُودَجًا لِلتَّطْبِيقِ فَكَانَ الْبَحْثُ مَوْسُومًا بِـ " تَجَلِّيَاتُ الْعُدُولِ الدَّلَالِيِّ فِي النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ نَمُودَجًا - دِرَاسَةٌ دَلَالِيَّةٌ بَيَانِيَّةٌ " .

وَتَكْمُنُ أَهْمِيَّةُ الْمَوْضُوعِ فِي أَنَّهُ يَدْرُسُ ظَاهِرَهُ نُعْدُ مِنْ رُكَائِزِ الدَّرَاسَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ وَالنَّقْدِيَّةِ وَالْأَسْلُوبِيَّةِ، فَلَا يَكَادُ يَخْلُو نَصُّ أَدَبِيٍّ بَدِيعٌ مِنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي نُعْدُ خُرُوجًا عَنِ النَّسْقِ الْمَأْلُوفِ لِلُّغَةِ إِلَى النَّسْقِ الْإِبْدَاعِيِّ الْجَمَالِيِّ الَّذِي لَهُ تَأْثِيرٌ عَمِيقٌ فِي الْمُتَلَقِّي، هَذَا مِنْ جِهَةٍ،

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ سَيُحَاوَلُ أَنْ يَقِفَ عَلَى مَوَاطِنِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَيَكْشِفَ الْأَسْرَارَ الْكَامِنَةَ خَلْفَهَا، وَيُبَيِّنَ جَمَالِيَّاتَهَا بِالِاسْتِعَانَةِ بِالْمَنْحَزِ التَّفْسِيرِيِّ -الَّذِي يُعَدُّ شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ التَّوَاصُلِ الْمُسْتَمَرِّ بَيْنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمُتَلَقِّيهِ- بِالإِضَافَةِ إِلَى أَقْوَالِ الْبَلَاحِيِّينَ وَالتُّقَادِ السَّابِقِينَ، وَأَقْوَالِ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ مَعَ التَّحْلِيلِ وَالْمُنَاقَشَةِ وَمُحَاوَلَةِ التَّرْجِيحِ.

وَإِذَا كَانَ اخْتِيَارُ أَيِّ مَوْضُوعٍ لِلْبَحْثِ تَكُونُ وَرَاءَهُ أَسْبَابٌ وَدَوَافِعُ، وَتَكْمُنُ خَلْفَهُ مُحَقَّرَاتٌ تَحْدُوكَ لِلْكِتَابَةِ فِيهِ دُونَ سِوَاهُ، فَإِنَّ هُنَاكَ جُمْلَةً مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي دَعَتْنَا إِلَى اخْتِيَارِ هَذَا الْمَوْضُوعِ، مِنْهَا :

- 1 . اِزْتِبَاطُهُ الْمُبَاشِرُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَصِلَتُهُ الْوَثِيقَةُ بِهِ .
- 2 . الرُّغْبَةُ فِي الْكَشْفِ عَنْ بَعْضِ أَسْرَارِ الْإِعْجَازِ فِي كِتَابِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِرَبْطِهِ بِالدَّرْسِ اللَّغَوِيِّ الَّذِي تَأَسَّسَ فِي ظِلِّ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَدَبُّرِ أَلْفَاظِهِ وَتَرَاجُيِهِ .
- 3 . الرُّغْبَةُ فِي مَعْرِفَةِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْعُدُولُ الدَّلَالِيُّ مِنْ أُبْعَادٍ دِلَالِيَّةٍ وَجَمَالِيَّةٍ، وَمَا يَنْضَوِي عَلَيْهِ مِنْ مَعَانٍ لَطِيفَةٍ وَأَسْرَارٍ بَدِيعَةٍ .
- 4 . الرُّغْبَةُ فِي مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَعَامُلِ الْمَفْسَّرِينَ وَاللُّغَوِيِّينَ مَعَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَمَنْهَجِهِمْ فِي مُعَالَجَتِهَا وَفَقْ مَذَاهِبِهِمْ وَتَنْوُوعِ أَدَوَاتِهِمْ .
- 5 . أَنَّ الْبَحْثَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضُوعِ يُعِينُ عَلَى تَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَأَمُّلِهِ، مِمَّا يُعِينُ عَلَى الرَّدِّ عَلَى كُلِّ طَاعِنٍ فِي بَلَاحَتِهِ وَبَيَانِهِ، وَهُوَ يُؤَسِّسُ لِأَوْضَاعِ الْأَلْفَاظِ وَدَقَائِقِ اسْتِعْمَالَاتِهَا مَا لَهُ صِلَةٌ بِخَفَايَا النَّصِّ وَسِيَاقِهِ .
- 6 . التَّسْأُولَاتُ الَّتِي مَا فَتِنَتْ بِجَوْلِ بِخَاطِرِنَا كُلَّمَا قَرَأْنَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِثْلُ: لِمَاذَا هَذَا التَّعْبِيرُ بِجَازِيٍّ هُنَا وَحَقِيقِيٍّ هُنَاكَ؟ لِمَ كَتَبَ هُنَا وَصَرَّحَ هُنَاكَ؟ لِمَ اسْتَعْمَلَ هَذِهِ الْمَفْرَدَةَ هُنَا وَعَدَلَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا فِي مَوْضِعٍ مُشَابِهِ؟
- 7 . عَدَمُ خُرُوجِ مَوْضُوعِ الْبَحْثِ عَنْ حَقْلِ عُلُومِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالدراسات اللُّغَوِيَّةِ .

كَمَا يَسْعَى هَذَا الْبَحْثُ إِلَى تَحْقِيقِ جُمْلَةٍ مِنَ الْأَهْدَافِ نَذْكُرُ مِنْهَا:

1 . مُحَاوَلَةُ الْكَشْفِ عَنْ أَسْرَارِ الْعُدُولِ الدَّلَالِيِّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ اعْتِمَاداً عَلَى أَقْوَالِ الْمَفْسِّرِينَ وَاللُّغَوِيِّينَ وَعُلَمَاءِ الْبَلَاغَةِ وَالْإِعْجَازِ وَأَصْحَابِ كُتُبِ الْمَتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

2 . إِبْرَازُ قِيَمَةِ السِّيَاقِ بِأَنْوَاعِهِ الْمُخْتَلِفَةِ وَأَهَمِّيَّتِهِ فِي الْكَشْفِ عَنْ سِرِّ هَذَا الْعُدُولِ .

3 . نَفْيُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْعُدُولَ عَنْ لَفْظٍ إِلَى لَفْظٍ أَوْ عَنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى، أَوْ عَنْ أُسْلُوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ هُوَ مِنْ بَابِ التَّقْنُنِ فِي التَّعْبِيرِ .

4 . تَأْكِيدُ أَنَّ اللَّفْظَ الْقُرْآنِيَّ جَاءَ بِأَبْلَغِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ، فَوَضَعَ كُلَّ مُفْرَدَةٍ حَسَبَ مَا يَفْتَضِيهِ السِّيَاقُ، وَاخْتَارَ لَهَا الْمَكَانَ الْمَلَائِمَ الَّذِي يُنَاسِبُهَا، وَلَمْ تُرَاعَ فِي هَذَا الْوَضْعِ الْآيَةُ وَحْدَهَا وَلَا السُّورَةُ وَحْدَهَا بَلْ رُوِعِيَ فِي ذَلِكَ النِّظْمُ الْقُرْآنِيُّ كُلُّهُ .

5 . إِبْرَازُ النُّضْجِ اللَّغَوِيِّ لِمُفَسِّرِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعُلَمَاءِ الْإِعْجَازِ وَتَمَكُّنِهِمْ مِنْ آيَاتِ التَّحْلِيلِ اللَّغَوِيِّ .

6 . خِدْمَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِدِرَاسَةِ بَعْضِ جَوَانِبِهِ وَمُحَاوَلَةِ الْعَوْصِ فِي دَقَائِقِهِ وَأَسْرَارِهِ .

7 . إِبْرَازُ مَكْتَبَتِنَا بِمَزِيدٍ مِنَ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي قَدْ تَكُونُ عَوْنًا لِلطَّلَبَةِ فِي مَسِيرَةِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ .

8 . تَجْدِيدُ الصَّلَةِ بِالتُّرَاثِ اللَّغَوِيِّ الْقَدِيمِ، بِالْعَوْدَةِ إِلَى أُمَمَاتِ الْكُتُبِ مِثْلُ: كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْإِعْجَازِ وَالْمَتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ وَالْعَرِيبِ وَالْمَعَاجِمِ وَفِقْهِ اللَّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْبَلَاغَةِ .

إِنَّ إِشْكَالِيَّةَ هَذَا الْمَوْضُوعِ تَتَمَرَّكُزُ حَوْلَ السُّؤَالِ الرَّئِيسِ الْآتِي: مَا الْأَسْرَارُ وَالْأَغْرَاضُ الْكَامِنَةُ خَلْفَ الْعُدُولِ الدَّلَالِيِّ فِي النِّظْمِ الْقُرْآنِيِّ؟

هَذَا السُّؤَالُ تَتَفَرَّغُ عَنْهُ أَسْئَلَةٌ ثَانِيَّةٌ كَثِيرَةٌ تَتَطَلَّبُ الْجَوَابَ، وَمِنْهَا: مَا السِّرُّ فِي الْعُدُولِ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ؟ وَلَمْ كَانَ الْمَجَازُ أَبْلَغَ مِنَ الْحَقِيقَةِ؟ وَلَمْ كَانَتْ الْكِنَايَةُ أَوْقَعَ مِنَ

التصريح؟ وما العلاقة بين العُدُول والسياق؟ وهل يقتضي السياق لفظاً دون غيره من الألفاظ؟ وهل يمكن القول إن ذلك من باب التفنن في التعبير؟ وما الآليات التي استعملها علماؤنا في كشف أسرار هذا العُدُول؟

وقد اقتضت طبيعة الموضوع - بعد النظر في المصادر والمراجع - أن نقسمه إلى مدخل وأربعة فصول - تتخللها مباحث - وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع وملاحق وفهارس فنية .

أما المدخل فقد عنوناه بـ " العُدُول في إطاره النظري " وعرضنا فيه لثلاثة أمور :

1- مفهوم العُدُول في اللغة والإصطلاح .

2- مستويات العُدُول.

3- النظم القرآني .

وأما الفصل الأول فقد وسم بـ " العُدُول المجازي "، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، تناولنا في الأول منها: مفهوم المجاز في اللغة والإصطلاح، وتناولنا في المبحث الثاني: أقسام المجاز، وفي المبحث الثالث تناولنا المجاز في سورة البقرة فوقفنا على مواطن المجاز المرسل والمجاز العقلي فيها.

وأما الفصل الثاني فقد كان موسوماً بـ " العُدُول الاستعاري "، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، تناولنا في الأول منها: مفهوم الاستعارة في اللغة والإصطلاح، وتناولنا في المبحث الثاني: أقسام الاستعارة، وفي المبحث الثالث تناولنا الاستعارة في سورة البقرة فوقفنا على مواطنها فيها.

وأما الفصل الثالث فقد كان موسوماً بـ " العُدُول الكِنائي "، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، تناولنا في الأول منها: مفهوم الكِناية في اللغة والإصطلاح، وتناولنا في المبحث الثاني منها: أقسام الكِناية، وفي المبحث الثالث تناولنا الكِناية في سورة البقرة فوقفنا على

مَوَاطِنُهَا فِيهَا، وَرَكَّزْنَا عَلَى الْحَقْلِ الْغَالِبِ فِيهَا وَهُوَ حَقْلُ الْكِنَايَاتِ الْجِنْسِيَّةِ وَدَكَّرْنَا بَقِيَّةَ الْكِنَايَاتِ بِاخْتِصَارٍ.

وَأَمَّا الْفَصْلُ الرَّابِعُ فَقَدْ كَانَ مُوسُماً بِـ "الْعُدُولِ الْمُعْجَمِيِّ"، وَقَسَّمْنَاهُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ، تَنَاوَلْنَا فِي الْأَوَّلِ مِنْهَا: الْعُدُولَ الْمُعْجَمِيِّ فِي الْأَسْمَاءِ، وَتَنَاوَلْنَا فِي الْمَبْحَثِ الثَّانِي مِنْهَا: الْعُدُولَ الْمُعْجَمِيِّ فِي الْأَفْعَالِ، وَفِي الْمَبْحَثِ الثَّالِثِ تَنَاوَلْنَا الْعُدُولَ الْمُعْجَمِيِّ فِي الْحُرُوفِ.

بَعْدَ ذَلِكَ عَقَدْنَا خَاتِمَةً بَيْنَنَا فِيهَا أَهَمُّ النَّتَائِجِ الَّتِي تَوَصَّلْنَا إِلَيْهَا مِنْ خَوْضِ غِمَارِ هَذَا الْبَحْثِ.

ثُمَّ عَقَدْنَا مَسْرَداً لِلْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ يَتْلُوهُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمَالِحِقِ الْخَاصَّةِ بِالْحَاجِزِ الْمُرْسَلِ وَالْعَقْلِيِّ وَالْاِسْتِعَارَةِ وَالْكَنَايَةِ وَالْمُصْطَلَحَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْبَحْثِ، لِنَخْتِمَ بِفَهَارِسَ فَنِيَّةٍ لِلآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْأَشْعَارِ وَالْمَوْضُوعَاتِ.

وَلَمَّا كَانَتْ كُلُّ دِرَاسَةٍ عِلْمِيَّةٍ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مَنَهْجٍ، فَقَدْ افْتَضَى مَوْضُوعُ بَحْثِنَا هَذَا اتِّبَاعَ الْمَنَهْجِ الْوَصْفِيِّ بِالْإِضَافَةِ إِلَى بَعْضِ الْآلِيَّاتِ الْإِجْرَائِيَّةِ الَّتِي تَصَحُّبُهُ كَالْتَحْلِيلِ وَمُقَارَنَةِ التَّوْجِيهَاتِ؛ ذَلِكَ أَنَّنا قُمْنَا بِالْوُقُوفِ عَلَى مَوَاطِنِ الْعُدُولِ الدَّلَالِيِّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَعَرْضْنَاهَا مُعْتَمِدِينَ عَلَى مَا قَالَهُ الْمَفْسِّرُونَ وَالْبَلَاغِيُّونَ وَأَصْحَابُ كُتُبِ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ، وَحَاوَلْنَا مُنَاقَشَةَ أَقْوَالِهِمْ، وَتَحْلِيلَهَا وَتَرْجِيحَ الْأَفْضَلِ مِنْهَا، لِنَخْلُصَ فِي النِّهَايَةِ إِلَى السَّرِّ فِي هَذَا الْعُدُولِ إِنْ أَمَكَنَ ذَلِكَ .

وَقَدْ اتَّبَعْنَا فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ الْمَنَهْجِيَّةَ الْآتِيَةَ:

-اسْتَخْرَجْنَا مَوَاطِنَ الْعُدُولِ مِنْ اسْتِعَارَةٍ وَجَازٍ وَكِنَايَةٍ وَغَيْرِهَا اعْتِمَاداً عَلَى مَا وَرَدَ فِي التَّفَاسِيرِ وَنَحْصُ بِالذِّكْرِ: تَفْسِيرَ الرَّخْشَرِيِّ وَأَبِي السُّعُودِ وَالطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورِ الَّتِي تُعَدُّ تَفَاسِيرَ بَلَاغِيَّةً بِامْتِيَاZٍ.

-رَبَّنَا هَذِهِ الْمَوَاطِنُ فِي كُلِّ فَصْلٍ حَسَبَ تَرْقِيمِ الْآيَةِ، وَلَمْ نُحْلَلْ كُلَّ الْمَوَاضِعِ بَلِ انْتَقَيْنَا بَعْضَهَا عَلَى أَسَاسِ كَثْرَةِ تَدَاوُلِهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ، أَمَّا الْمَوَاضِعُ الْبَاقِيَةُ فَتُشِيرُ إِلَيْهَا إِجْمَالًا مُبَيِّنِينَ نَوْعَ الْعُدُولِ مَعَ الْإِحَالَةِ إِلَى الْمَصْدَرِ الَّذِي ذَكَرَهُ.

-ذَكَرْنَا الْآيَةَ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا الْعُدُولُ كَامِلَةً حَتَّى يَتَّضِحَ سِيَاقُهَا، ثُمَّ قُمْنَا بِتَفْسِيرِهَا اعْتِمَادًا عَلَى أَحَدِ التَّفَاسِيرِ الْمُخْتَصَرَةِ كَالْمُنْتَخَبِ أَوِ الْمَيَسَّرِ، ثُمَّ نَظَرْنَا فِي أَقْوَالِ الْمَفْسِّرِينَ وَحَاوَلْنَا فِي الْأَخِيرِ الْخُرُوجَ بِسِرِّ هَذَا الْعُدُولِ.

-اسْتَعْمَلْنَا فِي الْبَحْثِ بَعْضَ الْأَلْفَافِ الَّتِي شَاعَتْ وَيُقَالُ إِنَّهَا مِنَ الْأَخْطَاءِ الشَّائِعَةِ مِثْلُ: (مَنْ خِلَالِ)، (يُعْتَبَرُ)،... نَظَرًا لِكَثْرَةِ تَدَاوُلِهَا وَلِفَهْمِ الْمَرَادِ مِنْهَا عِنْدَ الْإِطْلَاقِ.

-اتَّبَعْنَا فِي التَّوْثِيقِ مَنْهَجِيَّةً: اسْمُ الْمُؤَلِّفِ، عُنْوَانُ الْكِتَابِ، التَّحْقِيقُ، دَارُ النِّشْرِ، مَكَانُ النِّشْرِ، الطَّبْعَةُ، السَّنَةُ، الْجُزْءُ، الصَّفْحَةُ.

-وَضَعْنَا لِلْمُؤَلِّفِينَ الْقُدَمَاءِ اسْمَ الشُّهُرَةِ مُتَّبِعًا بَيْنَ قَوْسَيْنِ بِالْإِسْمِ أَوْ الْكُنْيَةِ ثُمَّ اللَّقَبِ -إِنْ وُجِدَ- ثُمَّ تَارِيخَ الْوَفَاةِ، وَلَمْ نُتَرْجِمْ لَهُؤُلَاءِ الْمُؤَلِّفِينَ لِشُهْرَتِهِمْ وَإِلِحَالَتِنَا عَلَى كُتُبِهِمْ. وَأَمَّا الْمُحَدِّثُونَ فَأَوْرَدْنَا الْإِسْمَ أَوَّلًا ثُمَّ اللَّقَبَ مِثْلُ: تَمَّامُ حَسَّانَ، شُكْرِي عِيَّادَ، أَحْمَدُ بَدَوِي، ...

-رَمَزْنَا لِلْكِتَابِ غَيْرَ الْحَقِّقِ بِالرَّمْزِ (دتح)، و(دط) (دت) لِلْكِتَابِ دُونَ طَبْعَةٍ وَدُونَ تَارِيخٍ.

-اخْتَصَرْنَا أَسْمَاءَ الْكُتُبِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ مِنْ ذِكْرِهَا تَفَادِيًا لِلتَّكَرُّارِ مَثَلًا: التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (تَحْرِيرُ الْمَعْنَى السَّيِّدِ وَتَّنْوِيرُ الْعَقْلِ الْجَدِيدِ مِنْ تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ).

-خَرَّجْنَا الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ فِي مَثْنِ الْبَحْثِ، كَمَا خَرَّجْنَا الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ مِنْ كُتُبِ السُّنَنِ، وَالْأَشْعَارَ مِنَ الدَّوَائِينِ وَمَصَادِرِ الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ وَالْمَعَاجِمِ.

وَقَدْ بُنِيَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ عَلَى اسْتِثْمَارِ مَصَادِرَ وَمَرَاجِعَ كَانَ لَهَا الْأَثَرُ الْبَالِغُ فِي إِخْرَاجِ هَذَا الْبَحْثِ، مِنْهَا :

1- كُتِبَ التَّفْسِيرُ: وَفِي مُقَدِّمَتِهَا: مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ (207هـ)، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ (311هـ)، وَتَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ لِلْمَآثُرِيِّ (333هـ)، وَجَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبْرِيِّ (310هـ)، وَخَزَرُ الْعُلُومِ لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ (373هـ)، وَالنُّكْتُ وَالْعُيُونُ لِلْمَاوَرِدِيِّ (450هـ)، وَالكَشَافُ لِلزَّخَّشَرِيِّ (538هـ)، وَالْحَزَرُ الْوَجِيزُ لِابْنِ عَطِيَّةِ الْأَنْدَلُسِيِّ (542هـ)، وَزَادُ الْمَسِيرِ لِابْنِ الْجَوَازِيِّ (597هـ)، وَمَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لِلرَّازِيِّ (606هـ)، وَالْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ لِلْقُرْطُبِيِّ (671هـ)، وَأَنْوَارُ التَّنْزِيلِ لِلْبَيْضَاوِيِّ (685هـ)، وَلُبَابُ التَّأْوِيلِ لِلْحَازِنِ (741هـ)، وَالْبَحْرُ الْحَيْطُ لِأَبِي حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيِّ (546هـ)، وَالذُّرُّ الْمَصُونُ لِلسَّمِينِ الْحَلِيِّ (756هـ)، وَعَرَائِبُ الْقُرْآنِ لِلنَّيْسَابُورِيِّ (850هـ)، وَنَظْمُ الدَّرِّ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ لِلْبَقَاعِيِّ (885هـ)، وَإِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ لِأَبِي السُّعُودِ (982هـ)، وَالتَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ لِلطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورٍ (1393هـ) وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ .

2- كُتِبَ عُلُومُ الْقُرْآنِ: وَمِنْهَا: الْبُرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ لِلزَّكَكَشِيِّ (764هـ)، وَالْإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ لِلسُّيُوطِيِّ (911هـ) .

3- كُتِبَ الْمُتَشَابِهُ اللَّفْظِيُّ فِي الْقُرْآنِ: وَمِنْهَا: ذُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ لِلْخَطِيبِ الْإِسْكَانِيِّ (420هـ)، وَالْبُرْهَانُ فِي تَوْجِيهِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ لِلْكَرْمَانِيِّ (505هـ)، وَكَشَفُ الْمَعَانِي فِي الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْمَثَانِيِّ لِابْنِ جَمَاعَةَ (733هـ)، وَفَتْحُ الرَّحْمَنِ بِكَشْفِ مَا يَلْتَبِسُ مِنَ الْقُرْآنِ لِلْأَنْصَارِيِّ (926هـ).

4- كُتِبَ اللَّغَةُ: وَمِنْهَا: الْخَصَائِصُ لِابْنِ جَنِّيٍّ (392هـ)، وَالْمَزْهَرُ فِي عُلُومِ اللَّغَةِ لِلسُّيُوطِيِّ (911هـ).

5- كُتِبَ النَّحْوُ: وَمِنْهَا: الْكِتَابُ لِسَيِّبَوِيهِ (180هـ)، وَالْمُقْتَضَبُ لِلْمُبَرِّدِ (285هـ)، وَالْأُصُولُ فِي النَّحْوِ لِابْنِ السَّرَّاجِ (316هـ)، وَالْمَفْصَلُ فِي صَنْعَةِ الْإِعْرَابِ لِلزَّخَّشَرِيِّ (538هـ)، وَشَرْحُ التَّسْهِيلِ لِابْنِ مَالِكٍ (672هـ).

6- كُتِبَ الإِعْجَازُ: وَمِنْهَا: النُّكْتُ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ لِلرُّمَّانِيِّ (384هـ)، وَإِعْجَازُ الْقُرْآنِ لِلْبَاقِلَانِيِّ (403هـ)، وَمُعْتَرِكُ الْأَقْرَانِ لِلشُّيُوطِيِّ (911هـ).

7- الْمَعَاجِمُ: وَمِنْهَا: الْعَيْنُ لِلخَلِيلِ (170هـ)، وَتَهْذِيبُ اللَّغَةِ لِلأَزْهَرِيِّ (370هـ)، وَالصَّحَاحُ لِلجَوْهَرِيِّ (393هـ)، وَمَقَائِيسُ اللَّغَةِ وَالْمَحْمَلُ لِابْنِ فَارِسٍ (395هـ)، وَالْمَحْكَمُ وَالْحَيْطُ الْأَعْظَمُ لِابْنِ سَيِّدِهِ (458هـ)، وَتَأْجِ الْعُرُوسِ لِلزَّيْدِيِّ (1205هـ).

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الرِّسَالِ -حَسَبَ مَا أَطْلَعْنَا عَلَيْهِ - تَتَقَاطَعُ فِي بَعْضِ جُزْئِيَّاتِهَا مَعَ هَذَا الْمَوْضُوعِ نَذْكُرُ مِنْهَا :

1 . أَحْمَدُ غَالِبُ الثُّورِيِّ الْخَرَشَةُ، أُسْلُوبِيَّةُ الْانْزِيَاكِ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، أُطْرُوحَةُ دُكْتُورَاهُ (مَخْطُوطَةٌ)، جَامِعَةُ مُؤَنَّةَ، الْأُرْدُن، 2008م.

2 . سَعَادُ بُولْحَوَّاش، شِعْرِيَّةُ الْانْزِيَاكِ بَيْنَ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيِّ وَجَانِ كَوْنٍ، رِسَالَةُ مَا جَسْتِيرِ فِي الْأَدَبِ وَالتَّقْدِ (مَخْطُوطَةٌ)، جَامِعَةُ الْحَاجِّ لِحَضَرَ، بَاتَنَة - الْجَزَائِر، 2012م.

3 . أَسِيلُ مُحَمَّدُ صَالِحُ الدِّيْلَمِيِّ، الْانْزِيَاكِ الْأُسْلُوبِيُّ دِرَاسَةٌ فِي نَثْرِ نِزَارِ قُبَّانِيِّ، رِسَالَةُ مَا جَسْتِيرِ (مَخْطُوطَةٌ)، جَامِعَةُ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ، الْأُرْدُن، 2016م.

4 . مُحَمَّدُ الْحَسَنِ عَلِي الْأَمِين، الْكِنَايَةُ أُسَالِيْبُهَا وَمَوَاقِعُهَا فِي الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ، رِسَالَةُ مُقَدِّمَةٌ لِنَيْلِ دَرَجَةِ التَّخْصُّصِ الْأَوَّلِيِّ (الْمَا جَسْتِيرِ) فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ (مَخْطُوطَةٌ)، جَامِعَةُ أُمِّ الْقُرَى، مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ، السَّنَةُ الدِّرَاسِيَّةُ 1403-1404هـ/1983-1984م.

وَتُعَدُّ هَذِهِ الْبُحُوثُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَوْضُوعِنَا رَوَافِدَ قِيَمَةٍ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُعَالِجِ الْإِشْكَالِيَّةَ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِ دِرَاسَتِهَا، نَاهِيكَ عَنْ أَنَّ هَذَا الْمَوْضُوعَ يَهْتَمُّ بِدِرَاسَةِ الْعُدُولِ الدَّلَالِيِّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَيْ إِنَّ التَّطْبِيقَ عَلَى النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ، وَهَذَا مَا لَا يُوجَدُ فِي الرِّسَالِ الْمَذْكُورَةِ أَنْفَاءً بِاسْتِثْنَاءِ

رسالة الحرشة (أسلوبية الانزياح في النص القرآني) إلا أنه تعرّض للعدول الدلالي في فصل واحد من بحثه، واختار نماذج من سورٍ متفرقة.

كما لا يخفى أن هناك رسائل ودراسات أخرى ربما تُصب في حقل هذا الموضوع، ولكنّ تعدّر علينا الوصول إليها والإطلاع عليها.

هذا ونرجو من الله - عز وجل - أن نكون أوفينا بالمقصود ولو بالشيء القليل، إذ بضاعتنا قليلة، وعيوننا عما يراه الأساتذة كليله، ولكن عسى أن نلحق بطلهم، ومهما يكن فهذا البحث صنعة بشر لا يخلو من الخطأ والزلل، فإن كنن قد أعطينا الموضوع حقه من الدراسة فما توفيقنا إلا بالله، وإن كنن قد قصرنا فيه فعزأونا أن الكمال لله وحده، وحسب المرء أن يكون صادقاً فيما يعمل، وقد أحسن العماد الأصبهاني إذ قال: «ما كتب إنسان كتاباً في يومه، إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر»، ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نستحضر قول الشاعر:

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج مؤملاً جبر ما لا قيت من عوج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا فكم لرب السما في الناس من فرج

وإن ضللت بقفر الأرض منقطعاً فما على أعرج في ذاك من حرج

وأحر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مدخل:

العدول في إطاره النظريّ

مدخل: العدول في إطاره النظري

1. مفهوم العدول

1-1 - في اللغة :

إذا طرنا أبواب المعاجم العربية قديمها وحديثها نجد كلمة "عدول" في مادة (ع د ل)، هذه المادة ذكر لها المعجميون معاني كثيرة منها:

-خلاف الجور، قال الخليل: «والعدْلُ نقيضُ الجورِ، يُقَالُ: عدَلَ عَلَى الرَّعِيَّةِ»⁽¹⁾، وقال الجوهري: «الْعَدْلُ خِلَافُ الْجَوْرِ، يُقَالُ: عَدَلَ عَلَيْهِ فِي الْقَضِيَّةِ فَهُوَ عَادِلٌ، وَبَسَطَ الْوَالِي عَدْلَهُ وَمَعْدَلْتُهُ وَمَعْدَلْتُهُ، وَفُلَانٌ مِنْ أَهْلِ الْعَدْلِ»⁽²⁾.

-الاستقامة، قال الأزهري: «الْعَدْلُ الاستِقَامَةُ»⁽³⁾، وقال ابن سيده: «الْعَدْلُ مَا قَامَ فِي النُّفُوسِ أَنَّهُ مُسْتَقِيمٌ»⁽⁴⁾.

(1) الخليل (أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد، 170 هـ)، كتاب العين، ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط، دت، ج2، ص39، وينظر: الأزهري (أبو منصور، محمد بن أحمد، 370 هـ)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م. ج2، ص126، وابن القطاع (أبو القاسم، علي بن جعفر، 515 هـ)، كتاب الأفعال، تح: سالم الكرنكوي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1403 هـ - 1983م، ج2، ص366.

(2) الجوهري (أبو نصر، إسماعيل بن حماد، 393 هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م، ج5، ص1760، وينظر: ابن فارس (أبو الحسين، أحمد بن فارس، 395 هـ)، مجمل اللغة، تح: زهير عبد الحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406 هـ - 1986م، ص651، وابن القطاع، كتاب الأفعال، ج2، ص367، والفيومي (أبو العباس، أحمد بن محمد، 770 هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تح: عبد العظيم الشناوي، المكتبة العلمية، بيروت، ط2، دت، ج2، ص396.

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، ج2، ص124.

(4) ابن سيده (أبو الحسن، علي بن إسماعيل، 458 هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2000 م، ج2، ص11. وينظر: الشريف الجرجاني (علي بن محمد، 816 هـ)، التعريفات، تح: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403 هـ - 1983م، ص147، والكفوي (أبو البقاء، أيوب بن موسى، 1095 هـ)، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، دط، دت، ص639.

مدخل: العدول في إطاره النظري

- القيمة، قال الأزهرى: «والعدْلُ القِيَمَةُ، يُقَالُ خُذْ عَدْلَهُ مِنْهُ كَذَا وَكَذَا أَيَّ قِيَمَتِهِ»⁽¹⁾.

- المِثْل والنَّظِير والمساوي، قال الفارابي: «وَعَدَلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ سَوَاهُ»⁽²⁾، وجاء في الجمل: «والعدْل: المِثْل، والعدْلُ والعدِيلُ أيضًا: الَّذِي يُعَادِلُكَ فِي الْوَزْنِ وَالْقَدْرِ»⁽³⁾.

- الميل والانعراج والاعوجاج، قال الخليل: «وَعَدَلْتُ الدَّابَّةَ إِلَى كَذَا أَيَّ عَطَفْتُهَا فَانْعَدَلَتْ ... وَالْانْعِدَالُ: الْانْعِرَاجُ»⁽⁴⁾ وجاء في المحكم: «عَدَلَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْدُلُ عَدْلًا وَعُدُولًا: حَادًا، وَعَدَلَ إِلَيْهِ عُدُولًا: رَجَعَ ... وَعَدَلَ الطَّرِيقُ: مَالَ»⁽⁵⁾.

إذا تفحصنا المعاني المذكورة آنفًا وجدناها لا تخرج عن معنيين اثنين أجملهما ابن فارس بقوله: «الْعَيْنُ وَالِدَالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، لَكِنَّهُمَا مُتَقَابِلَانِ كَالْمُتَضَادَّيْنِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِوَاءٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى اعْوِجَاجٍ»⁽⁶⁾.

فالأصل الأول الذي يدلّ على الاستواء أي الاعتدال يمكن أن ندرج تحته المعاني الآتية: ضدّ الجور، والمثل والنظير، والقيمة، والاستقامة، وأما الأصل الثاني فينفرد بمعنى الميل والانعراج والاعوجاج والحيدان عن الطريق.

إنّ المعنى الذي يعنينا من تلك المعاني السابقة هو المعنى الذي يدلّ عليه الأصل الثاني الذي ذكره ابن فارس، أي ما يدلّ على الانعراج والاعوجاج والذي يتناسب - كما سنعرف لاحقًا - مع المعنى الاصطلاحي للعدول.

(1) الأزهرى، تهذيب اللغة، ج2، ص124.

(2) الفارابي (أبو إبراهيم، إسحاق بن إبراهيم، 350هـ)، معجم ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر، راجعه: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1424 هـ - 2003 م، ج2، ص179.

(3) ابن فارس، مجمل اللغة، ص651.

(4) الخليل، كتاب العين، ج2، ص179.

(5) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج2، ص14. وينظر: الفارابي، معجم ديوان الأدب، ج2، ص179.

(6) ابن فارس (أبو الحسين، أحمد بن فارس، 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، دط، 1399هـ - 1979م، ج4، ص124.

مدخل: العدول في إطاره النظري

وإذا نظرنا إلى كلمة " عدول " من حيث صيغتها الصرفية وجدنا أنها مصدر صريح للفعل الثلاثي المجرد " عَدَلَ " الذي يتعدى بـ " عَنْ " إذا كان بمعنى : مَالَ وحَادَ، تقول: "عَدَلَ عَنْ الْحَقِّ عُذُولًا" إذا جَارَ أَيَّ مَالٍ عَنْهُ ⁽¹⁾، قال ابن المرحل:

وَقَدْ عَدَلْتُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَهُوَ الْعُدُولُ فَاسْتَقِمَ بِصِدْقٍ ⁽²⁾

وأما إذا كان بمعنى رَجَعَ إليه وَأَقْبَلَ فتَعَدَّيْتُهُ بـ " إلى " نحو : " عَدَلَ إِلَى الزَّوْجِ " أي رَجَعَ إِلَيْهِ وَأَقْبَلَ ⁽³⁾.

وقد يكون هذا الفعل لازما فلا يتعدى بحرف الجر، مثل: عَدَلَ الطَّرِيقَ ⁽⁴⁾.

1-2- في الاصطلاح

قبل تحديد المفهوم الاصطلاحي للعدول نشير أولا إلى أنه من الظواهر المهمة التي يعنى بها النقد الألسني الحديث والأسلوبية، وهو واحد من أكثر المصطلحات إشكالية في الدراسات الأسلوبية خاصة، وفي الدراسات اللغوية والنقدية عامة ⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ينظر: ثعلب (أبو العباس، أحمد بن يحيى، 291هـ)، الفصيح، تح: عاطف مذكور، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص281، وابن درستويه (أبو محمد، عبد الله بن جعفر، 347هـ)، تصحيح الفصيح وشرحه، تح: محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، دط، 1419هـ - 1998م، ص194، والهروي (أبو سهل، محمد بن علي، 433هـ)، إسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ، ج1، ص503.

⁽²⁾ ابن المرحل (أبو الحكم، مالك بن عبد الرحمن، 699هـ)، متن موطأ الفصيح، تح: عبد الله سفيان الحكمي، دار الذخائر للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1424هـ - 2003م، ص60.

⁽³⁾ ينظر: أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1429هـ - 2008م، ج2، ص1466.

⁽⁴⁾ ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج2، ص14، والفيروز آبادي (أبو طاهر، محمد بن يعقوب، 817هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، 1426هـ - 2005م، ص1030.

⁽⁵⁾ ينظر: موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن - أريد، ط1، 2003م، ص43.

مدخل: العدول في إطاره النظري

وتكمن إشكالية هذا المصطلح في تعدّد تسمياته ممّا قد يشوّش على الباحث ويعرقل فهمه، ولهذا ينبغي الوقوف عند هذه النقطة لنحدّد ونضبط المصطلحات؛ ذلك أنّ " تحديد المصطلحات أمر هامّ في مجال البحث العلمي؛ لأنّه الوسيلة التي نستطيع من خلالها الوصول إلى تحديد دقيق للمفاهيم التي نناقشها، ومن ثمّ الوصول لدرجة أدقّ من درجات الفهم⁽¹⁾.

1-2-1- ضَبْطُ الْمُصْطَلَحِ

أورد عبد السلام المسديّ في كتابه " الأسلوب والأسلوبية " مصطلحات كثيرة تقابل مصطلح العدول، وهي لنقاد ولغويين مختلفين، إلّا أنّها ليست على درجة واحدة في الانتشار والذيع والاستعمال، وقد وصل عددها إلى اثني عشر مصطلحاً، وهي المصنّفة في الجدول الآتي⁽²⁾:

المصطلح باللغة العربية	المصطلح باللغة الأجنبية	صاحب المصطلح
الانزياح	L'écart	فاليري
التجاوز	L'abus	فاليري
الانحراف	La diviation	لسبيتزر
الاختلال	La distorsion	والاك وفاران
الإطاحة	La subversion	بايتار
المخالفة	L'infraction	تيري
الشّناعة	Le scandale	بارت
الانتهاك	Le viol	كوهن

(1) أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت، ص15.

(2) ينظر: عبد السلام المسدي، الأسوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ليبيا- طرابلس، ط3، دت، ص100-101.

مدخل: العدول في إطاره النظري

تودوروف	La violation des normes	خرق السنن
تودوروف	L'incorection	اللحن
آراقون	La transgression	العصيان
جماعة مو	L'alteration	التحريف

يتبين من هذا الجدول الفوضى الاصطلاحية التي يعيشها مصطلح العدول، ولكن لم تلق كل هذه المصطلحات الزواج والقبول لدى النقاد والدارسين، ولعل أهم مصطلحين انتشرا هما : الانزياح والانحراف، فقد أكثر النقاد واللغويون والباحثون من استعمالهما، ولهذا رأينا أنه من الأهمية الوقوف عندهما لتبيين مدلوليهما ومدى انتشارهما .

أمّا الانزياح فهو ترجمة لكلمة " écart " وهو مصطلح حديث النشأة ومفهومه واسع جدًا ويجب تخصيصه، ولكن وقع الاتفاق في طبيعته فهو كل أسلوب غير عادي وغير مطابق للمعيار العامّ المألوف يحمل قيمة فنية وجمالية⁽¹⁾.

وعرّف محمد ويس الانزياح بأنه " استعمال المبدع للغة مفرداتٍ وتراكيبٍ وصورا استعمالا يخرج به عما هو معتاد ومألوف، بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتّصف به من تفرّد وإبداع وقوّة جذبٍ وأسّرٍ " (2).

نفهم من تعريف محمد ويس للانزياح أربعة أمور:

- 1-أنّه استعمال الإنسان المبدع للغة الزائقة وليست اللغة العادية .
- 2-أنّ مستويات الانزياح ثلاثة: المستوى الصرّيّ المتعلّق بالمفردات، والمستوى النحويّ المتعلّق بالتراكيب، والمستوى الدلاليّ المتعلّق بالبلاغة والصّور.

(1) ينظر: جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1986م، ص15.

(2) أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003م، ص7.

مدخل: العدول في إطاره النظري

3- لا يسمّى الانزياح انزياحا إلّا إذا خرج عمّا هو مألوف ومتعارف عليه في استعمال المفردات أو التراكيب أو الصّور.

4- أنّ للانزياح غرضا معينا وسرّا لطيفا يرمي إليه المبدع ممّا يسهم في جذب المتلقّي وأسرّه، وهذا ماسمّاه الأسلوبيّون القصديّة، والتي أشار إليها أبو العدوس بقوله: « الخروج عن المعيار لغرض يقصد إليه المتكلّم »⁽¹⁾.

ويشير المسديّ إلى أنّ هذا المصطلح (الانزياح) " عسير الترجمة؛ لأنّه غير مستقرّ في متصوّره لذلك لم يرض به كثير من رواد اللسانيّات والأسلوبيّة فوضعوا مصطلحاتٍ بديلةً عنه " ⁽²⁾.

والحقّ أنّ مصطلح الانزياح لقي رواجاً كبيراً واستعمالاً واسعاً لدى الدّارسين والنّقّاد حتّى إنّ المسديّ نفسه استعمل هذا المصطلح في كتابه آنذاك - وإن لم يثبت عليه طويلاً ورغب عنه إلى العدول -.

وأما الانحراف فهو ترجمة لكلمة " Diviation " وهو أيضاً مصطلح حديث النّشأة لكنّه لقي استعمالاً واسعاً جعله يضاهي مصطلحي العدول والانزياح وفي هذا يقول صلاح فضل - بعد أن أوصى بضرورة الاهتمام بهذه المصطلحات وعدم الغفلة عنها - : « وأبرزها في تقديرنّا هو مصطلح الانحراف الذي تعدّدت صيغُهُ في اللّغة العربيّة، فمرّةً يبحثُ له الرّفّاق عن مُعادلٍ بلاغيّ قديمٍ وهو العُدُولُ فيُقَلِّمونَ أَظافِرَهُ ⁽³⁾ ويثُلُمونَ حَدَّتَهُ، ومَرّةً أخرى يلجأُ البَاحِثُونَ إلى كلمةٍ ذاتِ إيجاءٍ مكانيٍّ واضحٍ هي الانزياحُ تفادياً للإيجاءِ الأخلاقيّ المقصودِ المستثمرِ في كلمةٍ انحرافٍ » ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007م، ص7.

⁽²⁾ المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص162.

⁽³⁾ الصواب أن جمع ظفر في لغة العرب هو أظفار وليس أظافر.

⁽⁴⁾ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1992م، ص57.

مدخل: العدول في إطاره النظري

يتّضح من قول صلاح فضل أنّ المصطلحات الثلاث مشهورة وأنّ أبرزها عنده هو مصطلح الانحراف، وأنّ الداعي إلى جنوح بعض الدارسين إلى المصطلحين الآخرين يكمن في سببين:

أحدهما: البحث عن مصطلح بلاغيّ قدس يتمثّل في العدول أو مصطلح ذي إحياء مكاني يتمثّل في الانزياح.

ثانيهما: تفادي الحرج الذي يقعون فيه من جرّاء استعمال مصطلح الانحراف لما يحويه من إحياء أخلاقيّ غير مرغوب فيه.

ويرى بعض النقاد الأسلوبيون أنّ الانحراف من أهمّ الظواهر التي يمتاز بها الأسلوب، فهو يمنح اللغة خصوصيّة وتوهّجاً وألقاً، ويجعلها لغة خاصّة تختلف عن اللغة العادية، وذلك بما للانحراف من تأثير جماليّ وبعد إحيائيّ، حتّى وصل بهم الأمر إلى القول بأنّ الأسلوب ماهو إلّا انحراف⁽¹⁾.

فالانحراف إذاً يخصّ اللغة الفنيّة، فهو خروج عن الطّرق المتعارفة في التعبير لغرض يقصد إليه الأديب، ولذلك لا يقدم عليه إلا أديب متمكّن بارع⁽²⁾.

نستخلص ممّا سبق أنّ هذه التسميات المختلفة ماهي في حقيقتها إلا لمسمّى واحد، وإنما اختلفوا في التسميات باختلاف النظرة إلى تطبيقاتها وتحليلاتها، والمهمّ في ذلك كلّها أنّها تعبّر في كليّتها عن الخروج عن النظام المألوف في التعبير حتّى يحقّق العمل الإبداعيّ جماليّته ورونقه⁽³⁾.

(1) ينظر: موسى سامح رابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها، ص43-44، وشكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، ص37.

(2) ينظر: شكري عياد، اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، دار أنترنشينال برس، القاهرة، ط1، 1988م، ص78.

(3) ينظر: يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص197.

مدخل: العدول في إطاره النظري

أما الدافع الذي حدانا إلى اختيار مصطلح العدول في هذا البحث دون غيره فيتلخص في ثلاثة أمور:

- 1- شهرة المصطلح وكثرة تداوله بين الباحثين.
- 2- الميل إلى المصطلحات التراثية.
- 3- الاستجابة إلى دعوة بعض الباحثين الرامية إلى إعادة إحياء لفظة عربية استعمالها البلاغيون في سياق محدد⁽¹⁾.

وللوقوف على استعمال القدماء لمصطلح العدول رأينا أن نبحت في ثنايا كتب النحو والبلاغة، ونستخرج بعض الأقوال التي استعمل فيها لنخلص في الأخير إلى تعريف اصطلاحي له يتحدد من خلال سياقات استعمالهم للكلمة أو ما يشتق منها، وهذا ما سنبيّنه في النقطة الموالية.

1-2-2- العدول عند القدماء

لم يعرف القدماء العدول تعريفا اصطلاحيا، وإنما وجدناهم يستعملون هذه الكلمة أو ما يشتق منها مثل: مَعْدُولٌ وَمَعْدُولَةٌ وَعَدَلٌ في مواضع كثيرة من كتبهم، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنهم واعون بمدلول المصطلح كما اشتهر في علم اللغة الحديث .

فمن مواضع استعمالهم لما يشتق من كلمة " عدول " ما جاء في كتاب سيبويه حين عقد بابا سماه " بَابُ مَا جَاءَ مَعْدُولًا عَنْ حَدِّهِ مِنَ الْمُؤَنَّثِ كَمَا جَاءَ الْمَذَكَّرُ مَعْدُولًا عَنْ حَدِّهِ نَحْوُ: فَسَقَ وَلُكِعَ وَعُمِرَ " ⁽²⁾، وقال في موضع آخر: « وَذَلِكَ نَحْوُ خَلَقِ الَّتِي هِيَ مَعْدُولَةٌ عَنْ

⁽¹⁾ ينظر: المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص163، وصلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص57.

⁽²⁾ سيبويه (عمرو بن عثمان، أبو بشر، 180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ - 1988 م، ج3، ص270.

مدخل: العدول في إطاره النظري

الْحَالِقَةُ، وَفَجَارِ الَّتِي هِيَ مَعْدُولَةٌ عَنِ الْفَجْرَةِ.. كَمَا أَنَّ عُمَرَ مَعْدُولٌ عَنْ عَامِرٍ عَلَمًا لَا صِفَةً»⁽¹⁾.

وغير بعيد عن سيبويه قول المبرد: «فَأَمَّا سَحَرَ فَإِنَّهُ مَعْدُولٌ - إِذَا أَرَدْتَ بِهِ يَوْمَكَ - عَنْ الْأَلِفِ وَاللَّامِ»⁽²⁾، وقول ابن السراج: « وَمَوْحَدٌ فَتَحَّ لِأَنَّهُ اسْمٌ مَعْدُولٌ عَنْ وَاحِدٍ فَشَبَّهُوهُ بِالْأَسْمَاءِ نَحْو: مَوْهَبٍ »⁽³⁾، وقول النحاس: «وَذُو الْحِجَّةِ بُرْكَ مَعْدُولٌ عَنْ بَارِكٍ»⁽⁴⁾.
يظهر جلياً من أقوال هؤلاء العلماء استعمال كلمة " معدول " التي هي اسم مفعول من الفعل المبني للمفعول " عُدِلَ " الذي مصدره " عدول "، ومدلولها هنا يفيد الانتقال من صيغة إلى أخرى وهو المستوى الصرفي الذي يعدونه من مستويات العدول.
ومن مواضع استعمالهم لكلمة " عدول " صراحة قول ابن جني: « بابٌ في العُدُولِ عن التَّحْقِيلِ إِلَى مَا هُوَ أَثْقَلُ مِنْهُ لِضَرْبٍ مِنَ الْإِسْتِخْفَافِ »⁽⁵⁾.

(1) سيبويه، الكتاب، ج3، ص277-278.

(2) المبرد (محمد بن يزيد، أبو العباس، 285هـ)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، دط، ج3، ص147.

(3) ابن السراج (محمد بن السري، أبو بكر، 316هـ)، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط2، 1407 هـ - 1987 م، ج3، ص147.

(4) النحاس (أبو جعفر، أحمد بن محمد، 338هـ)، عمدة الكتاب، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم - الجفان والجابي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 1425 هـ - 2004 م، ص104.

(5) ابن جني (أبو الفتح، عثمان بن جني، 392هـ)، الخصائص، تح: محمد عي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1371 هـ - 1952 م، ج3، ص18. وينظر: ابن الوراق (أبو الحسن، محمد بن عبد الله، 381هـ)، علل النحو، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، ط1، 1420 هـ - 1999 م، ص556، والزنجشيري (أبو القاسم، محمود بن عمرو، جار الله، 538هـ)، المفصل في صناعة الإعراب، تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، ط1، 1993 م، ص556، والعكيري (أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، محب الدين، 616هـ)، مسائل خلافة في النحو، تح: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي - بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992 م، ص64.

مدخل: العدول في إطاره النظري

وقال الجرجاني: «اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تُعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ وقسم يُعزى ذلك فيه إلى النظم. فالقسم الأول: "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل الكائن على حد الاستعارة"، وكل ما كان فيه، على الجملة، مجازاً واتساعاً وعدولاً باللفظ عن الظاهر»⁽¹⁾.

وقال ابن الأثير عند حديثه عن الاستعارة: «وأما القسم الذي يكون العدول فيه عن الحقيقة إلى المجاز لغير مشاركة بين المنقول والمنقول إليه فذلك لا يكون إلا لطلب التوسّع في الكلام، وهو سبب صالح؛ إذ التوسّع في الكلام مطلوب»⁽²⁾.

وقال الأشموني — بعد أن ذكر أن الأصل أن يسبق الفاعل في المعنى المفعول في المعنى: «ويجوز العدول عن هذا الأصل؛ فيتقدّم ما هو مفعول في المعنى على ما هو فاعل في المعنى، فيقال: أليس نسج اليمن من زاركُم»⁽³⁾.

وقال السيوطي: «والذي دعاهم إلى التكنية الإجلال عن التصريح بالاسم بالكناية عنه ونظيره العدول عن فعل إلى فعل في نحو قوله: (وغيض الماء وقضي الأمر)»⁽⁴⁾.

نلمس في أقوال العلماء السابقة وعيهم التام بمصطلح العدول في مستوياته المختلفة، فقولا ابن جني والسيوطي يصبّان في المستوى المتعلق ببنية الكلمة وهو المستوى الصرّي، وقول الأشموني في التقديم والتأخير يصبّ في المستوى التركيبي أو التحوي، وقولا الجرجاني وابن الأثير يصبّان في المستوى الدلالي.

(1) الجرجاني (أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن، 471هـ)، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1413هـ - 1992م، ص429-430.

(2) ابن الأثير (أبو الفتح، نصر الله بن محمد، ضياء الدين، 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، دط، 1420هـ، ج1، ص348.

(3) الأشموني (أبو الحسن، علي بن محمد، نور الدين، 900هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م، ج1، ص444.

(4) السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، 911هـ)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418هـ - 1998م، ج1، ص273.

مدخل: العدول في إطاره النظري

يمكننا من خلال هذه النصوص والأقوال السابقة وبتدقيق النظر في السياقات التي وردت فيها كلمة " عدول " أو ما اشتق منها أن نضع تعريفا اصطلاحيا موجزا للعدول فنقول: هو الخروج أو الانحراف أو الميل من صيغة أو تعبير ما إلى صيغة أو تعبير آخر لغرض معين .

نستطيع أن نستحضر انطلاقا من هذا التعريف الموجز أربعة أمور:

- 1-المسار الأصلي للكلمة أو الجملة قبل حدوث العدول.
- 2-حدوث العدول.
- 3-المسار الجديد للكلمة أو الجملة الذي تولد في ذهن المتلقي فراه خروجا عن المؤلف.
- 4-قصديّة المتكلم أو المبدع من هذا العدول (الغرض)⁽¹⁾.

(¹) ينظر: سليم سعداني، الانزياح في الشعر الصوفي، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة- الجزائر، 2010م، ص27، وأسيل محمد صالح الديلمي، الانزياح الأسلوبي دراسة في نثر نزار قباني، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2016م، ص22.

2-مُسْتَوِيَاتُ الْعُدُولِ

مستويات العدول متعلّقة بما يعرف بمستويات التحليل الأسلوبيّ أو اللّغويّ، وهي كثيرة حتّى إنّ هناك من أوصلها إلى خمسة عشر مستوى⁽¹⁾، لكنّ المشهور منها أربعة مستويات وهي: المستوى الصّوّيّ، والمستوى الصّرفيّ، والمستوى النّحويّ، والمستوى الدّلاليّ. ويرى بعض الباحثين أنّه يمكننا أن نختزل كلّ مستويات العدول في مستويين يكثر دورانهما في الكلام العربيّ لأهميّتهما وكثرة تداولهما بين الباحثين، وهما: المستوى الدّلاليّ والمستوى النّحويّ، فأما المستوى الأوّل فهو ما يكون فيه العدول متعلّقًا بجوهر المادّة اللّغويّة ويسمّيه بعضهم المستوى الاستبدالّيّ، وأما المستوى الثّاني فهو ما يتعلّق بتركيب الكلمة مع جاراتها في السّياق الذي ترد فيه طال أم قصّر وهو ما يسمّى أيضًا بالمستوى التّركيبيّ⁽²⁾.

2-1- المُسْتَوَى الدَّلَالِيّ (الاستبدالّيّ)

يتجلّى العدول الدّلاليّ في بناء نسق لغويّ يعتمد على توظيف معايير ومنطلقاتٍ جديدةٍ تعكس قدرة المتكلّم أو المبدع على الخروج عن معجميّة اللّغة المألوفة إلى اللّغة الرّاقية أو الشّعريّة، ولا يتأتّى له ذلك إلّا بخلق أساليب جديدةٍ بتطويع ألفاظ اللّغة لتلاءم مع ما يريد أو يقصده⁽³⁾.

ويقصد بالخروج عن معجميّة اللّغة العدول عن المعنى الأصليّ للكلمة إلى معنى ثانٍ يحدّده السّياق، فيكون للفظ مدلولان: الأوّل قريبٌ ظاهرٌ غيرٌ مقصود، والثّاني بعيدٌ غيرٌ ظاهرٍ نصل إليه من خلال علاقاتٍ عقليّةٍ وهو المقصود⁽⁴⁾.

(1) ينظر: يوسف أبو العدوس، الأسلوبيّة الرّؤية والتّطبيق، ص189.

(2) ينظر: أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبيّة، ص111.

(3) ينظر: سعاد بولخواش، شعريّة الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، جامعة الحاج لخضر، باتنة- الجزائر، 2012م، ص62.

(4) ينظر: رجاء عيد، البحث الأسلوبيّ معاصرة وتراث، مطبعة الأطلس، القاهرة، دط، 1993م، ص230.

مدخل: العدول في إطاره النظري

وينظر جان كوهن إلى العدول الدلالي بأنه الانتقال من المعنى المفهومي إلى المعنى الانفعالي، فالمعنى المفهومي هو المعنى الأساسي أو المعجمي للفظ، والمعنى الانفعالي هو المعنى السياقي له⁽¹⁾.

إنّ هذا الانتقال الحاصل بين المعنى المعجمي والمعنى السياقي يعدّ خصيصة جوهرية تميز بها الصور المجازية وله قيمة فنيّة تُستمدّ من الإحساس بما فيها من عدول عن الدلالة الوضعية المباشرة⁽²⁾، وهذا ما بيّنه الجرجاني حين قال: «الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تُخبر عن "زيد" مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلت: "خرج زيد"، وبالإطلاق عن "عمرو" فقلت: "عمرو مُنطلق"، وعلى هذا القياس. وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكنك يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض»⁽³⁾.

يقصد الجرجاني بالضرب الأول الحقيقة أي إطلاق اللفظ وإرادة المعنى القريب الظاهر، ويقصد بالضرب الثاني المجاز والكناية وهذا ظاهر من تمثيله بطويل النجاد ونقوم الضحي⁽⁴⁾.

وبعد أن فرغ الجرجاني من بسط الاستعارة والكناية لخص ما كان بصدد شرحه بقوله: «فَههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: "المعنى"، و"معنى المعنى"، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر

(1) ينظر: جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص205.

(2) ينظر: حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي القاهرة، ط1، 1418هـ-1998م، ص124.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص262.

(4) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص262-263.

مدخل: العدول في إطاره النظري

اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة و"بمعنى المعنى"، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يُفْضِي بِكَ ذَلِكَ الْمَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرَ، كَالَّذِي فَسَّرْتُ لَكَ»⁽¹⁾.

ويصف أحد الباحثين هذا النوع من العدول بأنه عدول يتسم بالابتكار والجدّة والنّضارة والإثارة؛ إذ يعتمد على إحداث المفاجأة التي يُنتجها حصول اللامنتظر من خلال المنتظر، فانت عندما تسمع كلمة " طعنة " تنتظر أن يكون المضاف إليه كلمة " رمح، سيف، سكين " فإذا بك تتفاجأ بطعنة الخوف أو الريح⁽²⁾.

بناء على ما سبق يمكن تقسيم العدول الدلالي إلى أربعة أقسام:

1-العدول المجازي.

2-العدول الاستعاري.

3-العدول الكنائي.

4-العدول المعجمي.

هذه الأقسام ستأتي مشروحة مفصلة بأمثلة من النظم القرآني في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى .

2-2-المستوى النحوي (التركيب)

إن الاهتمام بالناحية التركيبية في الصياغة يرجع أصلا إلى المعنى النحوي الذي يمثل أحد الأقسام الوظيفية للمعنى اللغوي العام، هذا المعنى يسهم بشكل كبير في عملية التواصل

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص263.

(2) ينظر: نوار بوحلاسة، الانزياح الدلالي المفهوم والإجراء، حوليات جامعة قلمة للغات والآداب، الجزائر، العدد10، جوان 2015، ص186.

مدخل: العدول في إطاره النظري

في مستواها العاديّ المألوف، ولكن عندما نبتعد عن هذا المستوى إلى مجال الإبداع الفنيّ نكون بصدد الحديث عن العدول التركيبيّ أو النحويّ⁽¹⁾.

ونعني بالعدول النحويّ ما يصيب الوحدات الكلاميّة من تغيير في مواقعها الأصليّة سواء على مستوى الجملة أو الفقرة أو النّصّ⁽²⁾، ولا يكون هذا التّغيير إلا لغرض يقصده المتكلّم، " فإذا كان للمبدع القدرة على تشكيل اللّغة وترويض تراكيبها، تجاوَزَ المألوفَ وحَقّق المفاجأة، فالإبداع اللّغويّ ليس إيجاد كلمات لم تعرفها المعاجم، لكنّه تشكيل هذه الكلمات بطريقة فذّة عبقرية " ⁽³⁾.

ومن الظواهر الّتي تمثّل العدول النحويّ أحسن تمثيل ظاهرة التّقديم والتّأخير الّتي تعدّ خرقاً للمألوف من قواعد النّحو، فقوانين الكلام تقتضي ترتيباً معيّناً للوحدات الكلاميّة، أمّا التّقديم والتّأخير فيقوم بخرق هذا التّرتيب ويشيع فوضى منظّمة بين ارتباطات تلك الوحدات⁽⁴⁾.

ومن الظواهر الّتي تعدّ من العدول النحويّ ظاهرة الحذف الّذي هو فرع عن الذّكر، وظاهرة العدول عن المطابقة سواء في الإعراب أو في الجنس أو في العدد أو في التّعيين.

وقد قسم تمام حسنّ هذا العدول إلى قسمين: غير مطّرد إذا جاء عن العربيّ الفصيح ذي السّليقة، ومطّرد يخضع لاعتبارت ثلاثة:

(1) ينظر: محمد عبد المطلب، جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، مصر، دط، 1995م، ص154.

(2) ينظر: أسيل محمد صالح الديلمي، الانزياح الأسلوبي دراسة في نثر نزار قباني، ص39.

(3) مليكة النوي، مقارنة بين الأسلوبية ونظرية النظم، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر – باتنة، الجزائر 2009م، ص140.

(4) ينظر: حسن ناظم، مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994م، ص121، ونزار السعودي، دلالات الانزياح التركيبي في أدب ابن زيدون الأندلسي، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة- الجزائر، العدد 12، 2016، ص11.

مدخل: العدول في إطاره النظري

1- الفائدة أو أمن اللبس (فلا بد أن تتحقق الفائدة رغم العدول).

2- الخضوع لقواعد معينة يتم هذا العدول في ضوئها ويطرّد.

3- الإطار العام لصناعة النحو⁽¹⁾.

بناء على ماسبق فإنّ أهمّ الظواهر التي يتجلى فيها العدول النحوي هي:

1- العدول عن الرتبة (التّقديم والتّأخير).

2- العدول في الزيادة والنقصان (الحذف).

3- العدول في الضمائر (الالتفات).

(1) تمام حسان، الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو- فقه اللغة- البلاغة، عالم الكتب،

القاهرة، دط، 1420هـ- 2000م، ص130-131.

3-النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ

لا شك في أنَّ القرآن الكريم هو كلام الله المعجز الذي بهر العرب حين سمعوه، وأدهش ألبابهم بديع نظمه وخصائص سياق لفظه، فاختلفوا في نعته وتفرّقوا في وصفه. فقالوا : شعر، وقالوا: أساطير الأولين اكتتبها، وقالوا: إنّه إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، وقالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا، ولكنّهم لم يستطيعوا الإتيان ولو بسورة من مثله - ناهيك بأنّهم لم يحاولوا ذلك - لعلمهم بعجزهم عنه ⁽¹⁾.

لقد أعجزهم القرآن الكريم وحير عقولهم، والذي أعجزهم منه: نظمه البديع وتأليفه العجيب، ولكنّهم لم يفصلوا القول في النظم، ولم يشرحوا كيف يكون، ولم يبيّنوا أسرارهم؛ لأنّ هذه اللّطائف والأسرار كانت مركّزة في طبائعهم. ولمّا انتهى عصر صدر الإسلام والعصر الأمويّ وجاء العصر العبّاسيّ واشتدّ اختلاط العرب بغيرهم وانتشرت اللّغة العربيّة واتّسعت رقعتها وكثر عدد النّاطقين بها وفشا اللّحن وأخذ الدّوق العربيّ ينحرف، قام علماء المسلمين بجهود محمودّة تجاه القرآن الكريم ولغته، ففسّروا تراكيبه ودرسوا أسلوب بيانه، وتحدّثوا عن نظمه وتأليفه، وفترّقوا بين نظمه ونظم سائر الكلام ⁽²⁾.

أمّا النّظم في اللّغة فهو التّأليف . قال ابن فارس: «النُّونُ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَأْلِيفِ شَيْءٍ وَتَأْلِيفِهِ ⁽³⁾، وَنَظَمْتُ الْحَزْرَ نَظْمًا، وَنَظَمْتُ الشَّعْرَ وَغَيْرَهُ. وَالنَّظَامُ: الْحَيْطُ يَجْمَعُ الْحَزْرَ» ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ينظر: الباقلائي (محمد بن الطيب، أبو بكر، 403 هـ)، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م، ص6.

⁽²⁾ ينظر: عبد العزيز عرفة، من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1405 هـ - 1984م، ج1، ص9-10.

⁽³⁾ هكذا وردت الكلمة ويظن المحقق أنّها "وتكتيفه".

⁽⁴⁾ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص443.

مدخل: العدول في إطاره النظري

وجعل الرَّمَحْشَرِيَّ النَّظْمَ إِذَا كَانَ فِي شَيْءٍ غَيْرِ مَادِّيٍّ كَالْكَلَامِ وَنَحْوِهِ مَجَازًا فَقَالَ: «وَمَنْ
الْمَجَازِ نَظْمُ الْكَلَامِ، وَهَذَا نَظْمٌ حَسَنٌ وَانْتِظَمَ كَلَامُهُ وَأَمْرُهُ وَلَيْسَ لِأَمْرِهِ نِظَامٌ إِذَا لَمْ تَسْتَقِمَّ
طَرِيقَتُهُ» (1).

إنَّ المعنى اللُّغَوِيَّ لِلنَّظْمِ غَيْرُ بَعِيدٍ عَنِ الْمَعْنَى الْإِصْطِلَاحِيَّةِ لَهُ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ فَهُوَ
"تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من معاني النحو المتخيَّرة والموضوعة في
أماكنها على الوجه الذي يقتضيه العقل" (2).

وقد أفاض الجرجانيُّ في الحديث عن النَّظْمِ في دلائل الإعجاز حيث عرّفه بقوله:
«اعلم أن ليس "النظم" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل
على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي هُجَتْ فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسِمَتْ
لك، فلا تخل بشيء منها» (3).

فالنَّظْمُ عنده إذاً هو توخّي معاني النحو وصواب أي كلام أو خطؤه يرجع إلى النَّظْمِ
وتوخي معاني النحو. يقول الجرجانيُّ: «فَلَا تَرَى كَلَامًا قَدْ وُصِفَ بِصِحَّةٍ نَظْمٍ أَوْ فُسَادِهِ، أَوْ
وُصِفَ بِمَزِيَّةٍ وَفُضِّلَ فِيهِ، إِلَّا وَأَنْتَ تَجِدُ مَرْجِعَ تِلْكَ الصِّحَّةِ وَذَلِكَ الْفُسَادِ وَتِلْكَ الْمَزِيَّةِ وَذَلِكَ
الْفُضْلِ، إِلَى مَعَانِي النَّحْوِ وَأَحْكَامِهِ، وَوَجَدْتُهُ يَدْخُلُ فِي أَصْلِ مِنْ أُصُولِهِ، وَيَتَّصِلُ بِبَابٍ مِنْ
أَبْوَابِهِ» (4).

إنَّ نظريّة النَّظْمِ عند الجرجانيِّ "تقوم على عنصرين هما: "الاختيار" و"الموقعيّة" بل
إنَّ هذين العنصرين هما عماد الأسلوب الأدبي والركنان المهمّان فيه، فإنَّ وفق الأديب لهما،

(1) الرَّمَحْشَرِيَّ (أبو القاسم، محمود بن عمرو، جار الله، 538 هـ)، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار
الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998 م. ج2، ص284.

(2) عبد العزيز عرفة، من بلاغة النظم العربي، ج1، ص7.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص81.

(4) المصدر نفسه، ص83.

مدخل: العدول في إطاره النظري

سما أسلوبه، واتّسم بالإبداع، ولم يكن النّظم عند عبد القاهر إلا أن يهتدي الأديب إلى اللفظ الذي يلائم معناه، ويحدّد مراده، ثمّ يعرف الموقع الذي يناسب ذلك اللفظ أو السياق الذي ينبغي أن ينزل فيه " (1).

إذاً فالموقعيّة والاختيار أساسان ينبنى عليهما النّظم الجيّد وهذا مانسعى إلى تأكّيده في هذا البحث؛ ذلك أنّ النّظم القرآني يضع كل كلمة في موضعها اللائق ومكانها المناسب فلا يعدل عن أسلوب إلى غيره إلا لغاية، ولا يحذف كلمة إلا للطيفة، ولا يقدم أخرى إلا لنكتة بليغة.

بعد حديثنا عن الإطار المفاهيمي المتعلّق بالعدول ومستوياته وحديثنا عن النّظم القرآني ندخل أوّل فصل من فصول هذا البحث وهو العدول المجازي لنقف على كنيّة عدول النّظم القرآني عن أسلوب إلى أسلوب آخر وما في ذلك من اللّطائف والنّكت.

(1) نعمة رحيم العزاوي، فصول في اللغة والنقد، المكتبة العصرية، بغداد، ط1، 1425 هـ - 2004م، ص175، وينظر: محمد مندور، في الميزان الجديد، نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2004م، ص159-160.

الْفَعْلُ الْأَوَّلُ

الْعُدُولُ الْمَجَازِيُّ

الفصل الأول: العدول المجازي

سبق أن عرفنا أن العدول الدلالي هو الانتقال من المعنى الأساسي أو المعجمي للفظ إلى المعنى السياقي الذي تأخذه الكلمة حينما توضع في سياق معين يحدّد معنى الجملة بأكملها حين تنزاح الدوال عن مدلولاتها، فتختفي الدلالات الظاهرة المألوفة للألفاظ لتحلّ محلّها دلالات جديدة غير معهودة يرمي إليها المتكلّم ويفهمها المتلقّي.

وينبغي الإشارة إلى أنّ هذا العدول لا يراد به استبدال المعنى المجازي أو العميق للفظ بالمعنى الحقيقي أو السطحيّ بقدر ما يراد به عمليّة التفاعل بين هذين المعنيين؛ ذلك بأنّ المعنى الأساسي فيه لا يختفي لكنّه يتراجع إلى خطّ خلفيّ وراء المعنى السياقيّ، وهكذا تقوم بين المعنيين علاقة تفاعل، ومن خلال هذه العلاقة وهذا التفاعل يبرز العدول الدلالي الذي يتجلى - كما أشرنا - في المجاز والاستعارة والكناية والمعجم .

1- مفهوم المجاز

1-1- في اللغة

المجاز مأخوذ في اللغة من مادة (ج و ز) والتي يدور معناها حول أصلين أجملهما ابن فارس بقوله: « الجيم والواو والزاء أصلان: أحدهما قطع الشيء والآخر وسط الشيء »⁽¹⁾.

أمّا الأصل الأول وهو قطع الشيء فيدلّ على الانتقال والسير والعبور من مكان إلى آخر، ومنه قولهم: جُزْتُ الطريقَ والموضعَ جَوَازاً وَجُؤُوزاً وَجَحَازاً، وَجَازَ بِهِ وَجَاوَزَهُ، وَأَجَزْتُهُ: خَلَقْتُهُ وَقَطَعْتُهُ، والاجْتِيَازُ السُّلُوكُ⁽²⁾.

⁽¹⁾ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص494.

⁽²⁾ ينظر: الخليل، العين، ج6، ص165، والأزهري، تهذيب اللغة، ج11، ص102، والجوهري، الصحاح، ج3، ص870، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج7، ص521.

الفصل الأول: العدول المجازي

والمجاز والمجازة أيضا الموضع والطريق، تقول: جعل فلان ذلك الأمر مجازاً إلى حاجته أي طريقاً ومسلكاً⁽¹⁾، والجواز السقي يقال: أجزونا أي: اسقونا، والمستجيز: المستسقي⁽²⁾.
وأما الأصل الثاني وهو وسط الشيء فمنه أجواز الإبل أي: أوساطها، والجوز وسط الشيء، والجوزاء بُرج في السماء سميت كذلك لأنها معترضة وسط السماء، ومضى جوز الليل أي وسطه، وشاة جوزاء أي يضاء الوسط⁽³⁾.
والمجاز من حيث الصيغة الصرفية يحتمل أن يكون مصدرا ميمياً على وزن "مفعِل" وأصله "مَجُوز" انقلبت الواو ألفاً، ويحتمل أن يكون اسم مكان على وزن مفعِل أيضاً⁽⁴⁾.
إذا تأملنا هذين الأصلين نخلص إلى أن الأصل الذي يعتمد عليه في تحديد المفهوم الاصطلاحي هو الأصل الأول الدال على العبور والانتقال من موضع إلى آخر، وهذا ما يدفعنا إلى ترجيح كون المجاز مصدرا ميمياً.

1-2- في الاصطلاح

تحدث البلاغيون والنقاد عن المجاز في كتبهم وأولوه عناية كبيرة حتى إن أبا عبيدة معمر ابن المثنى سمى أحد كتبه: "مجاز القرآن"، وعالج فيه كيفية التوصل إلى فهم المعاني القرآنية

⁽¹⁾ ينظر: الخليل، العين، ج6، ص165، والجوهري، الصحاح، ج3، ص871، والزبيدي (أبو الفيض، محمد بن محمد، مرتضى، 1205 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، دط، دت، ج15، ص78.

⁽²⁾ ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج11، ص103.

⁽³⁾ ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص494، والزمخشري، أساس البلاغة، ص155، والزبيدي، تاج العروس، ج15، ص81-82.

⁽⁴⁾ ينظر: عبد الفتاح فيود بسيوني، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1436هـ - 2015م، ص130.

الفصل الأول: العدول المجازي

باحثاء أساليب العرب في كلامهم وسننهم في الإبانة عن المعاني، وتحدث عنه الجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد، وابن رشيق القيرواني، والرازي، وغيرهم⁽¹⁾.

ولكثرة العناية بالمجاز وتعدد من تحدث عنه كثرت تعريفاته وحدوده، ومن ذلك :
- تعريف ابن جني: « الحقيقة ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان بضد ذلك »⁽²⁾.

- تعريف الجرجاني: « وأما المجاز فكل كلمة أُريدَ بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز. وإن شئت قلت: كل كلمة جُزَّتْ بها ما وقعت به في وضع الواضع إلى ما لم تُوضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً، لملاحظة بين ما يُجَوَّزُ بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها، فهي مجاز »⁽³⁾.
- تعريف السكاكي: « وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعه له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع »⁽⁴⁾.

- تعريف الآمدي: « هو اللفظ المتواضع على استعماله أو المستعمل في غير ما وُضِعَ له أولاً في الاصطلاح الذي به المخاطبة، لما بينهما من التعلق »⁽⁵⁾.
هذه أبرز التعريفات التي عرّف بها المجاز، ويمكننا إبداء الملاحظات الآتية :

⁽¹⁾ ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط2، 2007م، ص589-590.

⁽²⁾ ابن جني، الخصائص، ج2، ص444.

⁽³⁾ الجرجاني (أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن، 471هـ)، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، دار المدني، جدة، دط، 1991م، ص351-352.

⁽⁴⁾ السكاكي (يوسف بن أبي بكر، أبو يعقوب، 626هـ)، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1407 هـ - 1987 م، ص359.

⁽⁵⁾ الآمدي (علي بن محمد، أبو الحسن، سيف الدين، 631هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1402هـ، ج1، ص28.

الفصل الأول: العدول المجازي

أولاً: عرّف ابن جنيّ المجاز استناداً إلى الحقيقة؛ لأنّه بضدّها تبيّن الأشياء، وقيل:
"البحث عن الحقيقة في علم البيان استطراديّ، الغرض منه استيضاح المجاز" (1).
ثانياً: ورد في تعريف الجرجانيّ والآمديّ الإشارة إلى العلاقة بين المعنى الحقيقيّ والمعنى
المجازيّ، فعبر عنهما الجرجانيّ بالملاحظة، وعبر عنها الآمديّ بالتعلّق، "ولا يخفى أن ذكر
العلاقة في المجاز ليتميز عن الغلط والكذب" (2).
ثالثاً: ورد في تعريف السّكاكيّ ذكر القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصليّ أو
الحقيقيّ، ومعلوم أن ذكر القرينة من أهمّ الأمور التي تفرّق بين المجاز والكناية (3).
رابعاً: يمكن أن نجمع التعريفات السابقة في تعريف واحد فنقول: "المجاز هو استعمال
الكلمة في معنى غير المعنى الذي وضعت له في الأصل لعلاقة بين المعنيين مع وجود قرينة تمنع
من إرادة المعنى الأصليّ".
خامساً: الحقيقة هي أصل الاستعمال اللغويّ والمجاز هو خروج عن ذلك الأصل
وانتقال في دلالة الكلمة المعيّنة من مساحة دلاليّة محدّدة إلى مساحة دلاليّة أخرى يسرح فيها
الخيال لعلاقة تربط بين المساحتين الدلاليّتين بشرط وجود قرينة تمنعك من الرجوع إلى ساحة
الحقيقة (4).

(1) عبد الله الفرهاوي، أحسن الصياغة في حلية البلاغة، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، دط، 1387 هـ-1967م، ص14.

(2) المصدر نفسه، ص14.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص14.

(4) ينظر: أحمد غالب النوري الخرشنة، أسلوبيّة الانزياح في النص القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن، 2008م، ص42.

2- أقسام المجاز

قسم العلماء المجاز أقساماً عديدة، فبعضهم يقسمه إلى ثلاثة أقسام كما ذهب إلى ذلك الرازي حين قال: « المجاز إمّا أن يقع في مُفردات الألفاظ فقط، أو في مُركباتها، أو فيهما معاً »⁽¹⁾.

استناداً إلى قول الرازي نستطيع أن نقول إن المجاز ينقسم إلى:

- مجاز مفرد.

- مجاز مركب.

- مجاز مفرد مركب.

وذكر السيوطي أن المجاز قسمان: مفرد⁽²⁾، ومركب⁽³⁾.

وذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أن المجاز قسمان فقال: « واعلم أن المجاز على ضربين: مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى والمعقول »⁽⁴⁾. يتضح من كلام الجرجاني أن المجاز عنده قسمان: مجاز لغوي، ومجاز عقلي، وهذا ما سنعتمده في هذا البحث؛ لأنه أشهر وأشيع .

2-1- المجاز اللغوي

المجاز اللغوي هو القسم الأول من أقسام المجاز، وقد بين الجرجاني المراد منه بقوله : «فإذا وصفتنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا: اليد مجاز في النعمة والأسد مجاز في الإنسان وكلّ

(1) الرازي (محمد بن عمر، أبو عبد الله، فخر الدين، 606هـ)، المحصول، تح: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط3، 1418 هـ - 1997 م، ج1، ص321.

(2) ينظر: السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، 911هـ)، إتمام الدراية لقراء النقاية، تح: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1405 هـ 1985 م، ص133 .

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص135.

(4) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص408.

الفصل الأول: العدول المجازي

مَا لَيْسَ بِالسَّعِ الْمَعْرُوفِ، كَانَ حُكْمًا أَجْرَيْنَاهُ عَلَى مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ اللُّغَةِ، لِأَنَّا أَرَدْنَا أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ قَدْ جَازَ بِاللَّفْظَةِ أَصْلَهَا الَّذِي وَقَعَتْ لَهُ ابْتِدَاءً فِي اللُّغَةِ، وَأَوْقَعَهَا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، إِمَّا تَشْبِيهًا، وَإِمَّا لِصِلَةٍ وَمُلَابَسَةٍ بَيْنَ مَا نَقَلَهَا إِلَيْهِ وَمَا نَقَلَهَا عَنْهُ ⁽¹⁾.

يوضح لنا قول الجرجاني ثلاثة أمور:

الأول: أَنَّ المجاز اللُّغَوِيَّ متعلّق بالكلمات المفردة وليس بالجملة.

الثاني: أَنَّ هناك معنى أوليًا ومعنى ثانويًا جديدًا .

الثالث: لا يتم الانتقال والتَّجَوُّز بين المعنى الأولي والمعنى الثانوي الجديد إلا لوجود تشبيه أو ملابسة أخرى.

والمجاز إذا أطلق ولم يقيّد فإنما يراد به المجاز اللُّغَوِيّ، وقد سبق أن عرفناه وتمّت الإشارة إلى العلاقة التي تجمع بين المعنيين الحقيقيّ والمجازيّ، هذه العلاقة أشار الجرجانيّ - في القول السابق- إلى أنّها إمّا أن تكون تشبيهًا، وإمّا أن تكون ملابسة أخرى، فإن كانت تشبيهًا فالمجاز يسمّى: استعارة، وإن كانت ملابسة غير التشبيه فالمجاز يسمّى: مجازًا مرسلًا ⁽²⁾، قال السيوطي:

ثُمَّ الْمَجَازُ الْمُرْسَلُ الْعَلَاقَةُ لَا شَبَهَ وَغَيْرُهُ اسْتِعَارَةٌ ⁽³⁾

2-1-1- الاستعارة

عرّفنا أنّ الاستعارة قسم من أقسام المجاز اللُّغَوِيّ، وقلنا إنّ العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازيّ في المجاز اللُّغَوِيّ إذا كانت المشابهة فهو استعارة.

⁽¹⁾ الجرجاني، أسرار البلاغة، ص408.

⁽²⁾ ينظر: الهاشمي (أحمد بن إبراهيم، 1362هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، ص251، و المراغي (أحمد بن مصطفى، 1371هـ)، علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 1414هـ-1993م، ص249.

⁽³⁾ السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، 911هـ)، عقود الجمان في علم المعاني والبيان، تح: عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1433هـ-2012م، ص85 .

ولعظم شأن الاستعارة وكثرة ورودها في سورة البقرة أفردنا لها فصلا مستقلا - وهو الفصل الثاني من البحث - نبين فيه تعريفها وأقسامها ومواضعها في السورة.

2-1-2- المَجَازُ المُرْسَلُ

هو أحد أنواع المجاز اللغوي ويسمى أيضا المجاز الإفرادي⁽¹⁾، وقد عرّفه القزويني بأنه "ما كانت العلاقة بين ما استُعمل فيه وما وُضع له مَلَابَسَةً غيرَ التَّشْبِيهِ، كَالْيَدِ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِي النَّعْمَةِ؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَصْدُرَ عَنِ الْجَارِحَةِ وَمِنْهَا تَصِلُ إِلَى الْمَقْصُودِ بِهَا"⁽²⁾.

وسمّي هذا النوع من المجاز اللغوي مرسلا لإرساله "عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة؛ وإنما له علاقات كثيرة يراوح بينها جميعا، وتذكر من خلال الكلمة التي تذكر في الجملة. وليس المقصود من العلاقة أيضا إلا إظهار الارتباط والمناسبة مما يدركه الفطن ويراه مناسبا لكل مقام، بخلاف المجاز الاستعاري فإنه مقيّد بعلاقة واحدة وهي المشابهة، وذلك بادعاء أن المشبّه من جنس المشبّه به، فالمرسل مطلق من هذا القيد"⁽³⁾.

وعلاقات المجاز المرسل كثيرة جدا أوصلها بعضهم إلى ست وعشرين علاقة⁽⁴⁾، وذكر السُّبُكِيُّ أنّها تربو عن الثلاثين عند بعضهم⁽⁵⁾، لكن أشهرها وأكثرها في كتب البلاغة ثمانى علاقات، وهذا ما سنقتصر عليه في هذا البحث.

(1) ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص595.

(2) الخطيب القزويني (محمد بن عبد الرحمن، جلال الدين، 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م، ص206.

(3) السيد جعفر السيد باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، مؤسسة بوستان كتاب، طهران، ط1، 1430هـ، ص387.

(4) ينظر: الزركشي (محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، بدر الدين، 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ط1، 1376 هـ - 1957 م، ج2، ص259.

(5) ينظر: السبكي (أحمد بن علي، أبو حامد، بهاء الدين، 773هـ)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 1423هـ - 2003م، ج2، ص139.

-علاقات المجاز المرسل:

أولاً- السببية: وهي التعبير بالسبب وإرادة المسبب مثل قولهم: (رَعَتِ الْمَاشِيَةُ الْغَيْثَ) حيث عبّر بالغيث وأراد النبات أو العشب، ومعلوم أنّ الغيث سبب في النبات، فالغيث سبب والنبات مسبب (1).

ثانياً- المُسببية: وهي التعبير بالمسبب وإرادة السبب نحو قوله تعالى: ﴿وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ (غافر: ١٣)، فالرزق لا ينزل من السماء وإنما الذي ينزل هو المطر الذي يكون سببا في حصول الرزق، فهنا مجاز مرسل علاقته المُسببية حيث عبّر بالمسبب وهو الرزق وأراد السبب وهو المطر (2).

ثالثاً- الجزئية: وهي التعبير بالجزء وإرادة الكلّ نحو قولهم: (ألقى الخطيبُ كلمةً) فهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث عبّر بالجزء وهو الكلمة وأراد الكلّ وهو الخطبة (3).

رابعاً- الكلية: وهي التعبير بالكلّ وإرادة الجزء نحو قوله صلى الله عليه وسلم: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنِي عَلَى عَبْدِي....» رواه مسلم (4).

(1) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص252، والمرامي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبدیع، ص250.

(2) ينظر: محمد شعبان علوان، من بلاغة القرآن المعاني-البيان-البدیع، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، ط2، 1998م، ص205، والسيد جعفر السيد باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص391.

(3) ينظر: محمد شعبان علوان، من بلاغة القرآن المعاني-البيان-البدیع، ص206، والسيد جعفر السيد باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص395.

(4) مسلم (مسلم بن الحجاج، أبو الحسن، 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، دت، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم 395، ج1، ص296.

الفصل الأول: العدول المجازي

فقوله : قسمت الصلاة مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث عبّر بالصلاة وهي كلّ وأراد سورة الفاتحة وهي جزء (1).

خامسا- اعتبار ما كان: وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما كان عليه من قبل مثل قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا آلَيْنَحْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (النساء: ٢). فاليتم من مات أبوه ولم يبلغ سنّ الرشد ومعلوم أنّه لا تُسلم إليه أمواله لعجزه عن التصرف فيها، وإلّا تدفع إليه أمواله بعد أن يتجاوز سنّ اليتيم ويصير رشيدا، فتسميتهم يتامى باعتبار ما كانوا عليه من قبل (2).

سادسا- اعتبار ما يكون: وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما سيكون عليه في المستقبل مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٣٧)﴾ (نوح: ٢٦ - ٢٧) فقوله فاجرا كفارا مجاز مرسل؛ لأنّ المولود حين يولد لا يوصف بالفجور ولا بالكفران، ولكنّه يكون كذلك بعد الطّفولة، فأطلق لفظ الفاجر والكفار باعتبار ما سيكون عليه ويؤول إليه (3).

سابعا- المحليّة: وهي التعبير بالمحلّ وإرادة الحالّ فيه مثل قوله تعالى: ﴿وَسَكَنَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ (يوسف: ٨٢) حيث أمر بسؤال القرية وهي لا تسأل وإلّا يسأل من حلّ بالقرية أي أهلها، فهذا مجاز مرسل علاقته المحليّة حيث عبّر بالقرية وهي محلّ، وأراد أهلها وهو حالّ فيها (4).

(1) ينظر: عبد الفتاح بسيوني، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص143، والسيد جعفر السيد باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص399، ومحمد شعبان علوان، من بلاغة القرآن، ص208.

(2) ينظر: علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مكتبة البشري، كراتشي، باكستان، ط1، 1431هـ-2010م، ص102، وعبد الفتاح بسيوني، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص144.

(3) ينظر: علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص102، والسيد جعفر السيد باقر، أساليب البيان في القرآن، ص401.

(4) ينظر: عبد الفتاح بسيوني، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص145، ومحمد شعبان علوان، من بلاغة القرآن، ص212.

الفصل الأول: العدول المجازي

ثامنا- الحَالِيَّة: وهي التعبير بالحال (بتشديد اللام) وإرادة المحلّ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ (الانفطار: ١٣ - ١٤) حيث عبّر بالنّعيم والجحيم وهما حالان وأراد الجنة والنار وهما محلّان (1).

هذه أشهر العلاقات التي تربط المعنى الحقيقي بالمعنى المجازي في المجاز المرسل هذا المجاز الجميل الذي يعدّ وسيلة من " الوسائل التي تساعد على بلاغة التعبير، وعلى جماله وحسن موقعه في نفوس المتذوّقين " (2).

2-2- المَجَازُ الْعَقْلِيُّ

المجاز العقليّ هو القسم الثّاني من أقسام المجاز، وهو قسيم المجاز اللّغويّ ويسمّى أيضاً: المجاز الإسناديّ، والمجاز التركيبيّ، والمجاز الحكميّ (3)، وقد بيّن عبد القاهر الجرجانيّ المراد منه فقال: « وَمَتَى وَصَفْنَا بِالْمَجَازِ الْجُمْلَةَ مِنَ الْكَلَامِ، كَانَ مَجَازًا مِنْ طَرِيقِ الْمَعْقُولِ دُونَ اللَّغَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوْصَافَ اللَّاحِقَةَ لِلْجُمْلِ مِنْ حَيْثُ هِيَ جُمْلٌ، لَا يَصِحُّ رَدُّهَا إِلَى اللَّغَةِ، وَلَا وَجْهَ لِنِسْبَتِهَا إِلَى وَاضِعِهَا، لِأَنَّ التَّأْلِيفَ هُوَ إِسْنَادُ فِعْلٍ إِلَى اسْمٍ، وَاسْمٍ إِلَى اسْمٍ، وَذَلِكَ شَيْءٌ يَحْصُلُ بِقَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ، فَلَا يَصِيرُ «ضَرَبَ» خَبَرًا عَنْ «زَيْدٍ» بِوَضْعِ اللَّغَةِ، بَلْ يَمُنُّ قَصْدَ إِثْبَاتِ الضَّرْبِ فِعْلًا لَهُ... فَإِذَا قُلْنَا مَثَلًا: «خَطُّ أَحْسَنُ مِمَّا وَشَّاهُ الرَّبِيعِ» أَوْ «صَنَعَةُ الرَّبِيعِ»، كُنَّا قَدْ ادَّعَيْنَا فِي ظَاهِرِ اللَّفْظِ أَنَّ لِلرَّبِيعِ فِعْلًا أَوْ صُنْعًا، وَأَنَّهُ شَارَكَ الْحَيَّ الْقَادِرَ فِي صِحَّةِ الْفِعْلِ مِنْهُ. وَذَلِكَ تَجَوُّزٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْقُولِ لَا مِنْ حَيْثُ اللَّغَةِ » (4).

(1) ينظر: السيد جعفر السيد باقر، أساليب البيان في القرآن، ص405، ومحمد شعبان علوان، من بلاغة القرآن، ص211.

(2) السيد جعفر السيد باقر، أساليب البيان في القرآن، ص416.

(3) ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ص591-592.

(4) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص408-409.

الفصل الأول: العدول المجازي

نفهم من كلام الجرجاني أن المجاز العقليّ يستفاد فهمه عن طريق العقل وسبيل الفطرة من خلال أحكام طارئة وقضايا يحكم بها العقل عند إسناد الجملة ⁽¹⁾.

ويعرف المجاز العقليّ بأنه "إسنادُ الفعل، أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر، من حال المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له " ⁽²⁾.

انطلاقاً من هذا التعريف يمكننا أن نستشف شروط تسمية المجاز مجازاً عقلياً:

- أن يكون هناك فعل أو ما في معناه (اسم فاعل أو مفعول أو مصدر).

- أن يكون هناك إسناد.

- أن يكون هناك مسند إليه ليس للفعل في الظاهر.

- أن تكون هناك علاقة معيّنة بين المسند إليه الظاهر والمسند إليه الغائب (الحقيقي).

- أن تكون هناك قرينة تمنع من أن يكون الإسناد حقيقياً.

وذهب بعض الباحثين إلى أنّ الإسناد لا يكون حقيقياً إلا في ثلاثة أمور:

أحدها: أن يسند الفعل إلى من يقع منه حقيقة ويؤثر في وجوده، وهذا لا يكون إلا

لفاعل واحد وهو الله تعالى .

ثانيها: أن يسند الفعل إلى من يقع منه حكماً كما في قولنا: قام زيد وجاد خالد،

ونحو ذلك ممّا يكون للفاعل فيه اختيار.

ثالثها: أن يسند الفعل إلى ما يتّصف به مثل: مرض زيد، وبرد الماء، وأمطرت

السّماء ⁽³⁾.

⁽¹⁾ ينظر: محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان،

ط1، 1420هـ-1999م، ص79.

⁽²⁾ الهاشمي، جواهر البلاغة، ص255.

⁽³⁾ ينظر: عبد الفتاح بسيوني، بين المكنية والتبعية والمجاز العقلي عرض وتحليل وموازنة، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر،

ط1، 1413هـ-1993م، ص79، وديزيره سقال، علم البيان بين النظريات والأصول، دار الفكر العربي، بيروت،

ط1، 1997م، ص174.

الفصل الأول: العدول المجازي

إنّ الملاحظ للمجاز العقليّ والمجاز اللغويّ يجد بينهما تشابها كبيرا ولذا يخلط كثير من الناس بينهما، وقد أفاض الجرجاني في بيان الفرق بينهما وردّ كلّ الاعتراضات والادّعات التي ادّعاها بعضهم، ثمّ لخص قوله بنكتة جامعة تبين الفرق وتزيل الإبهام فقال: « وَهَهُنَا نُكْتَةُ جَامِعَةٌ، وَهِيَ أَنَّ «الْمَجَازَ» فِي مُقَابَلَةِ «الْحَقِيقَةِ»، فَمَا كَانَ طَرِيقًا فِي أَحَدِهِمَا مِنْ لُغَةٍ أَوْ عَقْلِ، فَهُوَ طَرِيقٌ فِي الْآخَرِ. وَلَسْتُ تَشْكُ فِي أَنَّ طَرِيقَ كَوْنِ «الْأَسَدِ» حَقِيقَةً فِي السَّبْعِ، اللَّغَةُ دُونَ الْعَقْلِ، وَإِذَا كَانَتْ اللَّغَةُ طَرِيقًا لِلْحَقِيقَةِ فِيهِ، وَجَبَ أَنْ تَكُونَ هِيَ أَيْضًا الطَّرِيقَ فِي كَوْنِهِ مَجَازًا فِي الْمَشَبِّهِ بِالسَّبْعِ، إِذَا أَنْتَ أَجَزَيْتَ اسْمَ الْأَسَدِ عَلَيْهِ فَقُلْتَ: «رَأَيْتُ أَسَدًا»، تُرِيدُ رَجُلًا لَا تُمَيِّزُهُ عَنِ الْأَسَدِ فِي بَسَالَتِهِ وَإِقْدَامِهِ وَبَطْشِهِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ طَرِيقَ الْحَقِيقَةِ فِي إثباتِ الْفِعْلِ لِلشَّيْءِ هُوَ الْعَقْلُ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَيْضًا الطَّرِيقُ إِلَى الْمَجَازِ فِيهِ. فَكَمَا أَنَّ الْعَقْلَ هُوَ الَّذِي ذَلِكَ حِينَ قُلْتَ: «فَعَلَ الْحَيُّ الْقَادِرُ»، أَنَّكَ لَمْ تَتَجَوَّزْ، وَأَنَّكَ وَاضِعٌ قَدَمَكَ عَلَى مَحْضِ الْحَقِيقَةِ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الدَّلَالُ وَالْمُقْتَضَى، إِذَا قُلْتَ: «فَعَلَ الرَّيْعُ»، أَنَّكَ قَدْ تَجَوَّزْتَ وَزُلْتَ عَنِ الْحَقِيقَةِ، فاعرفه»⁽¹⁾.

وبمعنى آخر إذا أردت أن تميّز نوع المجاز في قول ما فانظر إلى الحقيقة، فإذا دلتك اللغة على أن ذلك اللفظ حقيقة في شيء معين فاعلم أن كلّ ما شُبّه بهذا اللفظ مجاز لغويّ مثل أن تقول: (رأيتُ بحراً يتصدّق بماله)، ففي كلمة بحر مجاز لغويّ (استعارة) لأننا إذا نظرنا إلى كلمة بحر في الحقيقة وجدنا أن اللغة هي التي عيّنت لنا مفهومه، فلولا اللغة لما عرفنا أن ذلك الماء ذا الأمواج يسمّى بحراً، فلمّا شَبَّهنا الرَّجُلَ الْكَرِيمَ بِالْبَحْرِ وَكَانَ الطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا هِيَ الْبَحْرُ لُغَوِيًّا حَكَمْنَا أَنَّ الْمَشَبَّهَ بِالْبَحْرِ (الرَّجُلَ الْكَرِيمَ) مَجَازٌ لُغَوِيٌّ.

وإذا دلتك العقل أن هذا الفعل ثابت لذلك الشيء في الحقيقة ورأيت أنه استعمل في غير ما ثبت له فاعلم أنك بإزاء المجاز العقليّ مثل أن تقول: (بنى الملك المدينة)، فالعقل يدلّك على أنك إذا قلت: بنى خدم الملك المدينة، أنك تقول قولاً حقيقياً ولم تتجوّز، وهو أيضاً

(1) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 411-412.

الفصل الأول: العدول المجازي

يدلّك على أنّ قولك : بنى الملك المدينة مجازاً. فلمّا ثبت لك أنّ العقل هو الطّريق المسلوك في الحقيقة فاحكم أنّ نوع المجاز عقلي لا لغوي.

وللمجاز العقليّ أيضاً مثل المجاز المرسل علاقات تبيح لك أن تسند الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، وأهمّ هذه العلاقات ست.

-علاقات المجاز العقلي:

أولاً- السببية: وهي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى السبب الذي أدّى إليه نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ ابْنِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) ^(١) **أَسْبَابُ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى** (غافر: ٣٦ - ٣٧)، حيث أسند فعل البناء إلى هامان إسناداً مجازياً علاقته السببية؛ لأنّ هامان ليس هو الباني في الحقيقة وإنّما هو السبب في البناء وهو المسؤول عن تنفيذه ^(١).

ثانياً- المكانية: وهي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى المكان الذي حدث فيه نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ (الأنعام: ٦)، حيث أسند فعل الجري إلى الأنهار وهو مكان الماء إسناداً مجازياً؛ لأنّ الأنهار لا تجري وإنما يجري الماء فيها ^(٢).

ثالثاً- الزمانية: وهي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى زمان حدوثه نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (الزمل: ١٧)، حيث أسند فعل الجعل

^(١) ينظر: محمد شعبان علوان، من بلاغة القرآن، ص 201، والسيد جعفر باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص 424.

^(٢) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 255، ومحمد شعبان علوان، من بلاغة القرآن، ص 200، والسيد جعفر باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص 427.

الفصل الأول: العدول المجازي

للضمير العائد على (يوم) على أنه فاعل الشيب للولدان، واليوم هو زمان صيرورة الولدان شيئا وليس هو الفاعل وإنما الفاعل الحقيقي هو الله تعالى ⁽¹⁾.

رابعاً- المصدريّة: وهي إسناد الفعل إلى مصدره نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦)، حيث أسند الفعل (ينزع) إلى مصدره (نزع) وهو ليس فاعلاً حقيقياً وإنما الفاعل الحقيقي هو الشيطان، كأن تقول: (ينزع الشيطان الإنسان نزغاً) ⁽²⁾.

خامساً- الفاعليّة: وهي أن يسند المبنى للمفعول إلى فاعله نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (الإسراء: ٤٥)، حيث أسند اسم المفعول (مستور) إلى ضمير الحجاب، والأصل: حجاباً ساتراً، فالحجاب هو المسند إليه وهو الفاعل، والمستور هو المسند وهو مبني للمفعول، والأصل أن يكون مبنياً للفاعل؛ لأنك تقول: ستر الحجاب ولا تقول: ستر الحجاب ⁽³⁾.

سادساً- المفعوليّة: وهي إسناد المبنى للفاعل إلى مفعوله نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (القارعة: ٦ - ٧)، حيث أسند اسم الفاعل (راضية) إلى ضمير (العيشة)، والعيشة مرضية لا راضية وإنما الراضي هو صاحبها

⁽¹⁾ ينظر: السيد جعفر باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص 429، ومحمد شعبان علوان، من بلاغة القرآن، ص 199-200.

⁽²⁾ ينظر: السيد جعفر باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص 432.

⁽³⁾ ينظر: عبد الفتاح بسيوني، بين المكنية والتبعية والمجاز العقلي، ص 87، ومحمد شعبان علوان، من بلاغة القرآن، ص 202-203.

الفصل الأول: العدول المجازي

الذي ثقلت موازينه، فالعيشة هي المسند إليه، وراضية هي المسند وهي مبنية للفاعل والأصل أن تكون مبنية للمفعول ⁽¹⁾.

هذه هي أشهر علاقات المجاز العقلي، هذا المجاز الذي " ينقل المعنى من حقيقته العادية إلى ما يجعله أقوى وأوسع وأعظم تأثيراً في النفس، فهو كنز من كنوز البلاغة ومادة الشعاع المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طريق البيان " ⁽²⁾. وللوقوف أكثر على جمال المجاز بنوعيه اللغوي والعقلي سنحاول الغوص في أعماق أعلى نصّ على الإطلاق فصاحة وبيانا وهو القرآن الكريم محاولين تبيان سرّ هذا التعبير وسبب ذاك العدول .

⁽¹⁾ ينظر: محمد شعبان علوان، من بلاغة القرآن، ص203، وعبد الفتاح بسيوني، بين المكنية والتبعية والمجاز العقلي، ص89.

⁽²⁾ السيد جعفر باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص441.

3- المَجَازُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ

لا شكّ في أنّ مجاز القرآن الكريم في الدِّرّة من البيان العربيّ، كيف لا والقرآن كتاب العريّة الأكبر، وناموسها الأعظم، وتفوّقه البلاغيّ حقيقة ناصعة، فقد وقف العرب عاجزين أمام حسّه المجازيّ، وبعده التشبيهيّ، ورصده الاستعاريّ، وتهذيبه الكنائيّ، وأعجبوا أيّما إعجاب بوضع ألفاظه من المعنى المراد حيث يشاء البيان السّمح، تأتّقاً في العبارة وتحيزاً للمعاني، فلا غرابة أن يكون القرآن مصدراً للثروة البلاغيّة الكبرى عند العرب، وأصلاً لتفجير طاقات تلك البلاغة، والمجاز منها هو عقدها الفريد⁽¹⁾.

ومع هذا الحسن وذلك الجمال الذي يتجلّى في المجاز فقد أنكر بعضهم وقوعه في القرآن الكريم، وحجّتهم في ذلك أنّ المجاز أخو الكذب، والقرآن منزّه عنه، وأنّ المتكلّم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله تعالى⁽²⁾.

وأما جمهور العلماء فهم على القول بجواز وقوعه في القرآن الكريم، والشبهة التي أوردوها من أنكر المجاز " شبهة باطلة، إذ لو سقط المجاز من القرآن لسقط منه شطر الحسن، فقد اتّفق البلغاء أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتشية القصص وغيرها "⁽³⁾.

إنّ هذا الرّأي القائل بوجود المجاز في القرآن الكريم هو الرّأي الذي سرنا عليه في ثنايا هذا البحث، حيث حاولنا إحصاء مواضع المجاز الواردة في سورة البقرة متبوعة بالشرح والتحليل اعتماداً على أقوال المفسّرين والبلاغيّين.

(1) ينظر: محمد حسين الصغير، مجاز القرآن وخصائصه الفنية وبلاغته العربية، ص 61.

(2) ينظر: السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، 911هـ)، الإتيقان في علوم القرآن، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1394هـ-1974م، ج3، ص120، والبخاري السباعي، المجاز في القرآن بين المثبتين والمنكرين، مجلة الباحث، جامعة الأغواط، الأغواط- الجزائر، العدد10، أوت2012، ص52.

(3) السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ج3، ص120، وينظر: محمد أبو موسى، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، مكتبة وهبية، القاهرة، ط3، 1413هـ-1993م، ص178.

3-1- المجاز المرسل في سورة البقرة

ورد المجاز المرسل في آيات عديدة من سورة البقرة، وسنقف عند هذه المواضع حسب ترتيب الآيات التي وقع فيها.

-الموضع الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا

إِنَّمَا عَمَّكُمُ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة: ١٤ - ١٥).

وصف الله في هاتين الآيتين حال جماعة من المنافقين كانوا في عصر التنزيل يظهرهم بوجهين ويتكلمون بلسانين، فإذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا بما أنتم به مؤمنون، وإذا خلوا إلى شياطينهم دعاة الفتنة والإفساد الذين يصدون عن سبيل الحق قالوا لهم: إنما نقول ذلك استهزاءً بهم، وقد فضح الله بهتانهم وأوعدهم شديد العقاب على استهزائهم^(١).

يكن المجاز المرسل هنا في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وهو مجاز مرسل علاقته السببية؛ ذلك أن الاستهزاء في اللغة من الهزء وهو السخرية واللعب، يقال: (هزئ) منه وبه يَهْزَأُ (هَزْأً) وَ (هَزْأً) أَي سَخِرَ وَاسْتَهْزَأَ وَتَهَزَّأَ أَيضاً^(٢)، وعلى هذا " فالاستهزاء من الله في الحقيقة لا يصح، كما لا يصح من الله اللهو واللعب " ^(٣).

في هاتين الآيتين نلاحظ أنه استعمل الاستهزاء استعمالين مختلفين، أحدهما حقيقي، والآخر مجازي، ففي قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ استعمله استعمالاً حقيقياً ومعناه السخرية

(١) ينظر: المراغي (أحمد بن مصطفى، 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ - 1946م، ج1، ص56.

(٢) ينظر: محمد بن أبي بكر الرازي (أبو عبد الله، زين الدين، 666هـ)، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420 هـ - 1999م، ص326، والقرطبي (محمد بن أحمد، أبو عبد الله، شمس الدين، 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384 هـ - 1964م، ج1، ص207.

(٣) الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد، أبو القاسم، 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - الدار الشامية، دمشق - بيروت، ط1، 1412 هـ، ص841.

الفصل الأول: العدول المجازي

واللعب، في حين أنّ الاستهزاء الثاني في قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ قد عدل به عن دلالة الحقيقة إلى دلالة أخرى جديدة وهي: الجزاء أي جزاء استهزائهم، من تسمية العقوبة باسم الذنب، قال الزجاج: « ويجوز - والله أعلم - وهو (الوجه) المختار عند أهل اللغة أن يكون معنى يستهزئ بهم: يجازيهم على هزئهم بالعذاب، فسَمِيَ جزاء الذنب باسمه »⁽¹⁾.

وقال الجصاص: « ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ مجاز؛ وقد قيل فيه وجوه: أحدها على جهة مقابلة الكلام بمثله، وإن لم يكن في معناه »⁽²⁾.

يؤكد لنا قول الجصاص أنّ معنى الاستهزاء في الآية الثانية مجاز، وأنه غير معنى الاستهزاء في الآية الأولى، وهذا ما يؤكدّه أيضاً كلام مكي بن أبي طالب حين قال في تفسير الآية: « معناه: الله يجازيهم على قولهم. والعرب تسمي جزاء الذنب باسمه. قال الله جلّ ذكره: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠). وقال: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدْهُ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤). فالأول من هذا استهزاء وسيئة وعدوان، والثاني: جزاء عليه، فسَمِيَ باسمه اتساعاً لأنّ المعنى قد عُلِمَ »⁽³⁾.

يقصد مكي بن أبي طالب من قوله (اتساعاً) مجازاً؛ لأنّ المجاز أسلوب من أساليب التوسّع في اللغة.

(1) الزجاج (إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتب - بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988م، ج1، ص90.

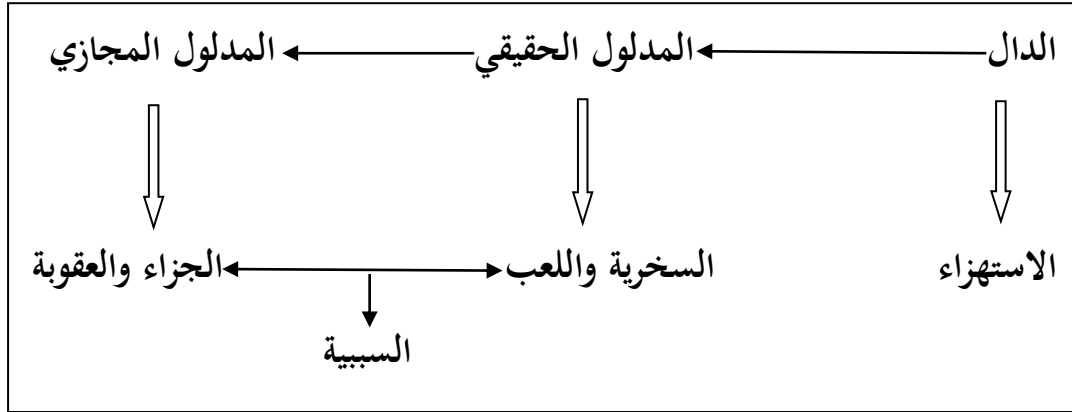
(2) الجصاص (أحمد بن علي، أبو بكر، 370هـ)، أحكام القرآن، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1415هـ-1994م، ج1، ص29.

(3) مكي (مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني، أبو محمد، 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمال من فنون علومه، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008م، ج1، ص166.

الفصل الأول: العدول المجازي

خلاصة القول أنّ الاستهزاء المنسوب إلى الله تعالى ليس على حقيقته بل هو مجاز مرسل علاقته السببية، حيث عبّر بالاستهزاء وهو سبب، وأراد الجزاء والعقوبة وهو مسبب، وعلى هذا التفسير جمهور المفسرين⁽¹⁾.

يمكن أن نوضح العدول الحاصل في الآية الكريمة بالمخطط الآتي:



(1) ينظر: الماتريدي (محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، 333هـ)، تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005 م، ج1، ص386، والسمقندي ((أبو الليث، نصر بن محمد، 375هـ)، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تح: علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ - 1993 م، ج1، ص97، وابن أبي زمنين (أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، 399هـ)، تفسير القرآن العزيز، تح: حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر- القاهرة، ط1، 1423 هـ - 2002 م، ج1، ص123، والثعلبي ((أحمد بن محمد، أبو إسحاق، 427 هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422 هـ - 2002 م، ج1، ص386، والماوردي (أبو الحسن، علي بن محمد، 450 هـ)، النكت والعيون، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، ص77، والواحدي (علي بن أحمد، أبو الحسن، 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، الدار الشامية، دمشق، ط1، 1415 هـ، ص93، والسمعاني (أبو المظفر، منصور بن محمد المروزي، 489 هـ)، تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418 هـ - 1997 م، ج1، ص51، والراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد، أبو القاسم، 502هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط1، 1420 هـ - 1999 م، ج1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، ص103، والثعلبي (أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418 هـ، ج1، ص190.

الفصل الأول: العدول المجازي

نلاحظ أنَّ المدلول الحقيقي حاضر في الخطاب، ولكنه يستدعي المدلول المجازي؛ ذلك أنَّ السير في الاتجاه المعجمي المعهود يقودنا إلى دلالة (السخرية واللَّعب) وهذا لا يتلاءم مع السياق الذي وردت فيه الآية؛ إذ إنَّ السخرية واللَّعب لا تليق نسبتهما إلى الله تعالى حقيقة ولهذا يجري البحث في اتجاه آخر وهنا يقودنا المدلول المعجمي إلى أقرب المعاني إليه وأكثرها ملائمة للسياق وهو المدلول المجازي (الجزاء والعقوبة)، والذي سهَّل هذا الاتجاه هو علاقة السببية الموجودة بين المدلولين المجازي والحقيقي.

ويكمن السرُّ في العدول عن الجزاء والعقوبة إلى استعمال لفظ الاستهزاء في أمرين: أحدهما: بيان أن الجزاء من جنس العمل، فأنتم أيُّها المنافقون كما استهزأتم بالمؤمنين سيتهزئ الله بكم يوم القيامة ويقتص منكم بمثل ما فعلتم، وفي هذا تحصل الطمأنينة للمؤمنين لأنَّ الله تولى نصرهم والاقتصاص لهم.

والآخر: ما يحصل من الوعيد والتَّهديد والتَّهويل بذلك اللفظ، حتَّى إنَّ السَّبل لتتفرَّق بالمستهزئين في فهم كنه هذا الاستهزاء، ويمتدَّ خيالهم إلى مشهد مفرع مرعب وإلى مصير تقشعر من هوله القلوب، فيدعهم يخبطون على غير هدى في طريق لا يعرفون غايته^(١).

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَّرَعٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْصِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٩).

شبه الله تعالى في هذه الآية حال المنافقين مع القرآن الكريم وما اعتراهم من شبه واهية -رغم مافيه من الحجج البيِّنات والآيات الواضحات ورغم ما فيه من الوعد والوعيد- بحال قوم نزل عليهم مطر شديد غزير من كلِّ جانب، وكانت تصاحبه صواعق تصم الآذان حتَّى إنَّهم ليجعلون أنامل أصابعهم في آذانهم خوفا من الموت^(٢).

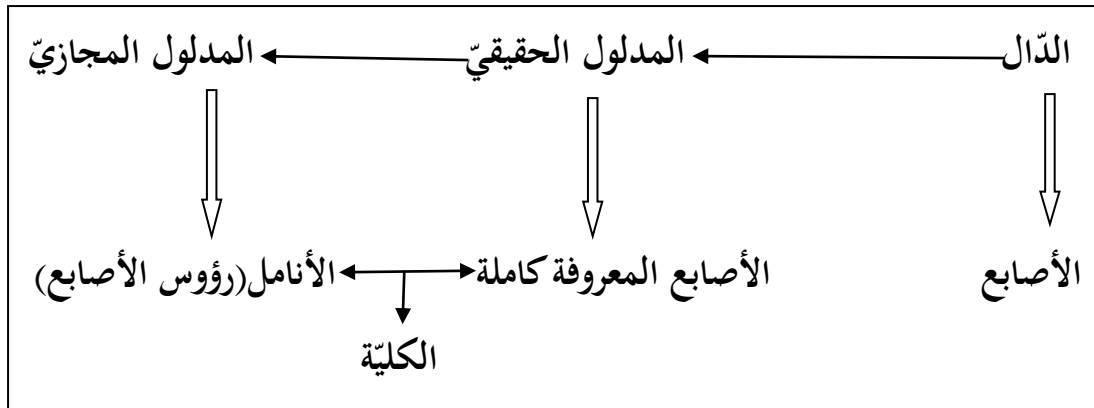
(١) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢ هـ، ج ١، ص ٤٥.

(٢) ينظر: محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت، ط ١٠، ١٤١٣ هـ، ج ١، ص ٢١.

الفصل الأول: العدول المجازي

المجاز المرسل في هذه الآية في قوله: (أصابهم)، وهو مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث عبّر بالأصابع وهي كل، وأراد رؤوس الأصابع أي: الأنامل وهي جزء، وهذا ما بينه بعض المفسرين كالزخشري حين قال: « فَإِنْ قُلْتَ: رَأَيْسُ الإِصْبَعِ هُوَ الَّذِي يُجْعَلُ فِي الأُذُنِ فَهَلَّا قِيلَ أَنَامِلُهُمْ؟ قُلْتُ: هَذَا مِنَ الاتِّسَاعَاتِ فِي اللُّغَةِ الَّتِي لَا يَكَادُ الحَاصِرُ يَحْضُرُهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿فَاعْسِلُْوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ (المائدة: ٦)، ﴿فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة: ٣٨) أَرَادَ البَعْضَ الَّذِي هُوَ إِلَى المَرْفِقِ وَالَّذِي إِلَى الرُّسْغِ ^(١) » ^(٢)، وَقَالَ أَبُو حِيَان: « وَأَرَادَ بِالأَصَابِعِ بَعْضَهَا، لِأَنَّ الأَصْبُعَ كُلَّهَا لَا تُجْعَلُ فِي الأُذُنِ، إِنَّمَا تُجْعَلُ فِيهَا الأُتْمَلَةُ، لَكِنَّ هَذَا مِنَ الاتِّسَاعِ، وَهُوَ إِطْلَاقُ كُلِّ عَلَى بَعْضٍ » ^(٣).

يمكن أن نوضح العدول الحاصل في الآية الكريمة بالمخطط الآتي:



(١) الرسغ: المفصل الذي بين الكف والذراع. ينظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة - بيروت، دط، الجزء 1 و 2 - 1377 هـ - 1958 م، والجزء 3 - 1378 هـ - 1959 م، والجزء 4 - 1379 هـ - 1960 م، والجزء 5 - 1380 هـ - 1960 م، ج 2، ص 585.

(٢) الزخشري (أبو القاسم، محمود بن عمرو، جار الله، 538 هـ)، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد وأخري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407 هـ، ج 1، ص 84.

(٣) أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف، أثير الدين، 745 هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، دط، 1420 هـ، ج 1، ص 141، وينظر: الرازي (محمد بن عمر، أبو عبد الله، فخر الدين، 606 هـ)، مفاتيح الغيب أو ما يسمى التفسير الكبير، د تح، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 3، 1420 هـ، ج 2، ص 317.

الفصل الأول: العدول المجازي

عندما نسير في الاتجاه المعجمي المعهود يقودنا الدال (الأصابع) إلى المدلول الحقيقي للكلمة (الأصابع المعروفة كاملة)، لكن عند النظر إلى الواقع نجد أنه يستحيل إدخال الإصبع كاملة في الأذن، وهنا يجب علينا أن ننحرف عن هذا المسار - بالاعتماد على علاقة الكلية - إلى المدلول المجازي (الأنامل) وهو المقصود.

أمّا عن السرّ في استخدام هذا المجاز فقد رجعه بعض المفسّرين إلى المبالغة؛ إذ استخدام الأصابع أبلغ من استخدام الأنامل⁽¹⁾.

وزاد الألوسي فقال «وفي الآية مُبَالِغَةٌ فِي فَرْطِ دَهْشَتِهِمْ وَكَمَالِ خَيْرَتِهِمْ»⁽²⁾.
وعلل ابن عرفة التعبير بالأصابع بدل الأنامل بشدّة الجعل وقوّة الشدّ لها حتّى كأنهم يجعلون الإصبع كلّها⁽³⁾.

وقال أبو السعود: «إيراد الأصابع بدّل الأنامل للإشباع في بيان سدّها باعتبار الذات كأنّهم سدّوها بحُمْلَتِهَا لَا بِأَنَامِلِهَا فَحَسَبُ كَمَا هُوَ الْمُعْتَادُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا إِمَاءً

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص84، والبيضاوي (أبو سعيد، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ناصر الدين، 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418 هـ، ج1، ص51، والنسفي (أبو البركات، عبد الله بن أحمد، حافظ الدين، 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998م، ج1، ص59، والنيسابوري (الحسن بن محمد، نظام الدين، 850هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1416 هـ، ج1، ص177، والمظهري (محمد ثناء الله، 1225هـ)، التفسير المظهري، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان، دط، 1412 هـ، ج1، ص31.

(2) الألوسي (محمود بن عبد الله، شهاب الدين، 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ، ج1، ص175.

(3) ينظر: ابن عرفة (محمد بن محمد التونسي المالكي، أبو عبد الله، 803هـ)، تفسير ابن عرفة، تح: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، ط1، 1986م، ج1، ص164.

الفصل الأول: العدول المجازي

إلى كَمَالٍ حَيْرَتِهِمْ وَفَرَطٍ دَهْشَتِهِمْ وَبُلُوغِهِمْ إِلَى حَيْثُ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْجَوَارِحِ عَلَى النَّهْجِ الْمَعْتَادِ « (1).

وقال محمد رشيد رضا: « وَعَبَّرَ عَنِ الْأَنَامِلِ بِالْأَصَابِعِ هَذَا التَّعْيِيرَ الْمَجَازِيَّ اللَّطِيفَ لِلِإِشْعَارِ بِشِدَّةِ عِنَايَتِهِمْ بِسَدِّ آذَانِهِمْ، وَمُبَالَغَتِهِمْ فِي إِدْخَالِ أَنْامِلِهِمْ فِي صَمَالِيحِهَا، كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُحَاوِلُ بِمَا دَهْمُهُ مِنَ الْخَوْفِ أَنْ يَغْرَسَ إِبْصَعَهُ كُلَّهَا فِي أُذُنِهِ حَتَّى لَا يَكُونَ لِلصَّوْتِ مَنَقْدٌ إِلَى سَمْعِهِ، لِمَا يَحْدِثُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْمَوْتِ الزُّوَامِ، وَمُعَاجَلَةِ الْحِمَامِ، وَهَذَا هُوَ الْجُبْنُ الْحَالِغُ، وَمُنْتَهَى حُدُودِ الْحِمَاقَةِ « (2).

استنادا إلى أقوال المفسرين نلاحظ أنَّ التَّظْمِ القرآنيَّ أفادنا دلالات عديدة عندما عدل عن التعبير بالأنامل إلى التعبير بالأصابع، فقد عرفنا أنَّهم معتنون أشدَّ العناية بسدِّ آذانهم، وأنَّهم مبالغون في إدخال أناملهم فيها، وأنَّهم في غمرة من الخوف والدهشة والحيرة حتَّى خفي عليهم استعمال جوارحهم على النهج المعتاد.

الموضع الثالث: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾
(البقرة: ٤٣).

أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بني إسرائيل بأنَّ يدخلوا في دين الإسلام بأنَّ يقيموا الصَّلَاةَ على وجهها الصَّحيح، ويؤدُّوا الزكاة المفروضة على الوجه المشروع، ويكونوا مع الرَّاكِعِينَ من أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (3).

(1) أبو السعود (محمد بن محمد، 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، د تح، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دط، دت، ج 1، ص 53.

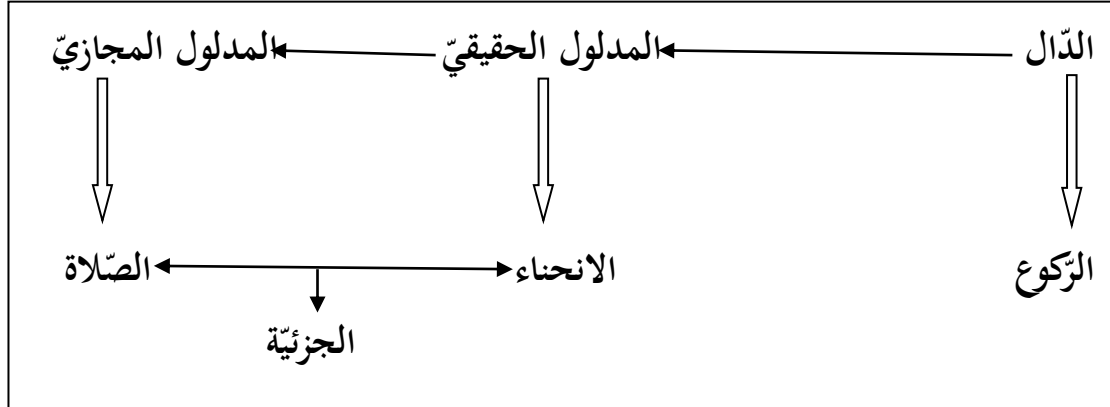
(2) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1990 م، ج 1، ص 148.

(3) ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ط 2، 1430هـ - 2009م، ص 7.

الفصل الأول: العدول المجازي

ويتجلى المجاز المرسل في هذه الآية في قوله ﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث عبّر بالجزء وهو الرُّكُوع، وأراد الكل وهو الصَّلَاة⁽¹⁾، وهذا ما قرّره الثعلبي بقوله: «وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ يَعْنِي وَصَلُّوا مَعَ الْمُصَلِّينَ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، يُخَاطَبُ الْيَهُودَ فَعَبَّرَ بِالرُّكُوعِ عَنِ الصَّلَاةِ إِذْ كَانَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِهَا»⁽²⁾.

يمكن أن نوضح العدول الحاصل في هذه الآية الكريمة بالمنحطط الآتي:



إنّ المدلول الحقيقي للرُّكُوع (الانحناء) غير مراد في الآية مستقلاً عن المدلول المجازي (الصَّلَاة) إذ لا يعقل أن يأمر الله عزّ وجلّ الناس بالرُّكُوع فقط مستقلاً عن الصَّلَاة؛ ولهذا ينحرف الذّهن عن المدلول الحقيقي للرُّكُوع إلى المدلول المجازي مباشرة.

ولا شك أنّ في العدول عن التعبير بـ(صلّوا مع المصلّين) إلى التعبير بـ(اركعوا مع الرّاكعين) -أي في العدول عن الحقيقة إلى المجاز- سرّاً لطيفاً وفائدة جليّة للمتأمل، وهذا ما

⁽¹⁾ ينظر: محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق، ط4، 1418 هـ، ج1، ص117.

⁽²⁾ الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج1، ص188، وينظر: الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص102، والسمعاني، تفسير القرآن، ج1، ص73، والبغوي (أبو محمد، الحسين بن مسعود، محيي السنة، 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420 هـ، ج1، ص110..

الفصل الأول: العدول المجازي

كشف عنه القرطبي حين قال: «إِنَّمَا خَصَّ الرُّكُوعَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكُنْ فِي صَلَاتِهِمْ رُكُوعٌ»⁽¹⁾.

إذاً فالأمر كان لبني إسرائيل بأن يركعوا مثل ركوع المسلمين، وكأنه بهذا العدول في الآية يحقق غرضين:

أحدهما: تأدية الصلاة مثل المسلمين.

والآخر: تنبيههم على عظم شأن الركوع.

كما يمكن أن نذكر فائدة أخرى وهي تنبيه من تناقل عن الركوع وتحذيره؛ إذ إن الركوع كان أثقل على القوم في الجاهلية، حتى لقد قال بعض من أسلم للنبي صلى الله عليه وسلم: على ألا أحرر إلا قائماً، أي على ألا أركع⁽²⁾.

هذا وقد يكون الغرض من هذا العدول جعل المأمور بالصلاة يستشعر المعنى اللغوي للركوع في صلاته؛ "لِأَنَّ الرُّكُوعَ وَالْحُضُوعَ فِي اللَّعَةِ سَوَاءٌ فَيَكُونُ نَهْيًا عَنِ الاسْتِكْبَارِ الْمَذْمُومِ وَأَمْرًا بِالتَّذَلُّلِ ... فَكَأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ أَمَرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْإِنْقِيَادِ وَالْحُضُوعِ وَتَرْكِ التَّمَرُّدِ" ⁽³⁾.

الموضع الرابع: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا

تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص345.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص345.

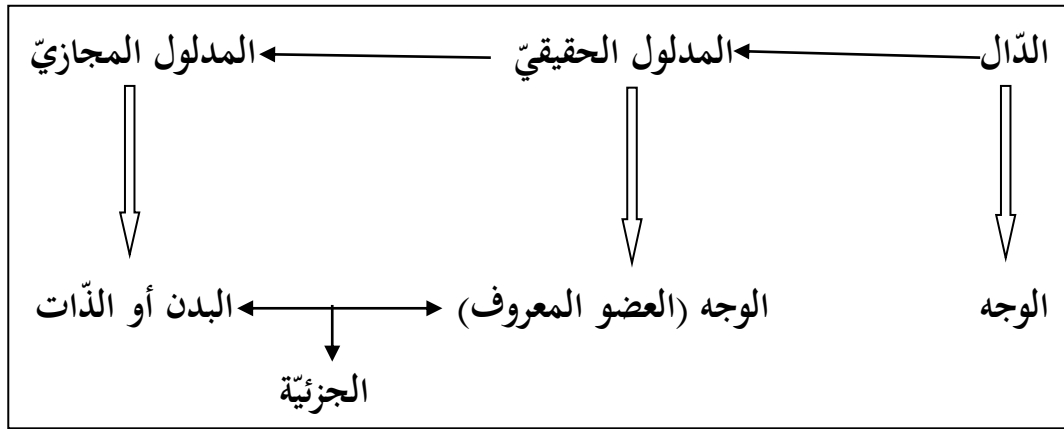
(3) الرازي، مفاتيح الغيب، ج3، ص487، وينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص77، والنيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج1، ص275، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج1، ص97.

الفصل الأول: العدول المجازي

يخبرنا الله عزّ وجلّ في هاتين الآيتين أن " ليس الأمر كما زعموا أنّ الجنة تخصّ بطائفة دون غيرها، وإنّما يدخل الجنة من أخلص لله وحده لا شريك له، وهو متّبع للرّسول محمّد صلى الله عليه وسلّم في كلّ أقواله وأعماله. فمن فعل ذلك فله ثواب عمله عند ربّه في الآخرة، وهو دخول الجنة، وهم لا يخافون فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدّنيا " (1).

المجاز المرسل في هذا الموضع في قوله: (وجهه) وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث عبّر بالوجه وهو جزء وأراد البدن أو الذات وهو كلّ، قال أبو زهرة: «ومعنى أسلّم وجهه لله تعالى أسلّم نفسه كلّها لله تعالى، فتكون كلّ جوارحه وكلّ أحاسيسه وحركات قلبه خالصة لله تعالى خائفة منه خاضعة لكلّ ما يأمر وينهى، وعبّر بالوجه فإنّه كثير ما يُعبّر به عن الذات» (2).

يمكن أن نوضّح العدول الحاصل في الآية الكريمة بالمنحطّ الآتي:



(1) نخبة من علماء التفسير، التفسير الميسر، ص17.

(2) أبو زهرة (محمد بن أحمد بن مصطفى، 1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت، ج1، ص366، وينظر: الطبري (محمد بن جرير، أبو جعفر، 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 1420 هـ - 2000م، ج2، ص511-512، والماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج1، ص541، والواحيدي (علي بن أحمد، أبو الحسن، 468هـ)، التفسير البسيط، تح: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430 هـ، ج3، ص247، والراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، ج1، ص204.

الفصل الأول: العدول المجازي

إذا اتَّجهنا إلى المدلول الحقيقي للدَّالِّ قادنا إلى العضو المعروف (الوجه)، لكنَّ السياق يأبى ذلك؛ إذ معنى أسلم: استسلم وخضع ودان⁽¹⁾، ولا يعقل أن يستسلم ويخضع الوجه وحده، وهنا ينحرف الذَّهن باتجاه المدلول المجازي وهو الذات أو البدن كُلُّه وهو المقصود.

ويكمن السرُّ في العدول عن ذكر الكلِّ إلى ذكر الجزء في أمور:

أولاً: أن الوجه هو أشرف أعضاء الإنسان وأعظمها حرمة، وخضوعه يستدعي خضوع باقي الأعضاء، قال مكِّي بن أبي طالب: « وَخَصَّ الْوَجْهَ بِالذِّكْرِ دُونَ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ لِأَنَّهُ أَشْرَفُ أَعْضَاءِ بَنِي آدَمَ وَأَعْظَمُهَا حُرْمَةً. فَإِذَا خَضَعَ وَجْهَهُ الَّذِي هُوَ أَكْرَمُ الْأَعْضَاءِ كَانَ مَا سِوَاهُ آخَرَى أَنْ يَخْضَعَ »⁽²⁾.

ثانياً: أنَّ الوجه هو موضع معظم الحواسِّ (الدُّوق، الشَّم، السَّمْع، الإبصار)، وفيه يظهر العزَّ والدَّلَّ وبه يكون الفكر والتَّخَيُّل⁽³⁾.

ثالثاً: أنَّ من أعظم العبادات السَّجدة وهي لا تحصل إلَّا بالوجه⁽⁴⁾.

رابعاً: مذهب إليه البقاعي حين قال: « وَالْوَجْهُ مُجْتَمِعُ حَوَاسِّ الْحَيَوَانِ، وَأَحْسَنُ مَا فِي الْمَوْتَانِ - وَهُوَ مَا عَدَا الْحَيَوَانِ - وَمَوْقِعُ الْفِتْنَةِ مِنَ الشَّيْءِ الْفَتَّانِ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَا يُحَاوَلُ إِبْدَاؤُهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ »⁽⁵⁾.

(1) ينظر: ابن عطية (أبو محمد، عبد الحق بن غالب، 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422 هـ، ج1، ص198.

(2) مكِّي، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج1، ص403، والبعوي

(3) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص198، والرازي، مفاتيح الغيب، ج4، ص6، والخازن (علي بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسن، 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ، ج1، ص71، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص563.

(4) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج4، ص6.

(5) البقاعي (إبراهيم بن عمر، أبو الحسن، برهان الدين، 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ-1995م، ج1، ص222.

الفصل الأول: العدول المجازي

خامساً: أنّ بالوجه تكون المواجهة، وفيه تتجلى مظاهر الاستجابة والطاعة والخضوع⁽¹⁾.

إنّ هذا المجاز المرسل المتمثل في التعبير بالوجه وإرادة الذات يتكرّر في موضعين آخرين من سورة البقرة، وتفسيرهما مثل تفسير الموضع الذي نحن بصددده، ولهذا سنكتفي بذكر الآية وموطن المجاز ونحيل القارئ على بعض التفاسير التي أشارت إلى ذلك.

الموضع الخامس: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١١٥).

المجاز المرسل في قوله (وجه الله) وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث عبّر بالوجه وهو جزء وأراد الذات الإلهية وهي كلّ⁽²⁾.

الموضع السادس: قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ زَيَّ تَقَلُّبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٤).

المجاز المرسل في قوله: (وجهك، وجوهكم)، وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث عبّر بالوجه وهو جزء وأراد البدن كلّ وهو كلّ، قال الرازي: «المراد من الوجه ههنا جملة بدن الإنسان لأنّ الواجب على الإنسان أن يستقبل القبلة بجمليته لا بوجهه فقط والوجه

(1) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج 1، ص 367.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 2، ص 536، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج 1، ص 198، والماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج 1، ص 545، ومكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج 1، ص 412، والماوردي، النكت والعيون، ج 1، ص 177، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج 1، ص 200، وابن الجوزي (أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي، جمال الدين، 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 1، 1422 هـ، ج 1، ص 104، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 2، ص 83-84.

الفصل الأول: العدول المجازي

يُذَكَّرُ وَيُرَادُّ بِهِ نَفْسُ الشَّيْءِ لِأَنَّ الْوَجْهَ أَشْرَفُ الْأَعْضَاءِ وَلِأَنَّ بِالْوَجْهِ تُمَيِّزُ بَعْضُ النَّاسِ عَنْ بَعْضٍ، فَلِهَذَا السَّبَبِ قَدْ يُعَبَّرُ عَنْ كُلِّ الذَّاتِ بِالْوَجْهِ» (1).

وذهب بعضهم إلى أنَّ في قوله (تقلَّب وجهك) أيضا مجازا مرسلا ولكنهم اختلفوا في العلاقة، فذهب أبو حيَّان إلى أنَّه من قبيل إطلاق الكلِّ وهو الوجه وإرادة الجزء وهو البصر⁽²⁾، وذهب السَّمين الحلبيُّ إلى أنَّه من قبيل إطلاق المحلِّ وهو الوجه وإرادة الحال وهو البصر⁽³⁾.

والحقُّ أنَّ المتأمل في الآية وسبب نزولها يجد الصَّواب مع أبي حيَّان والسَّمين الحلبيِّ في ما ذهبوا إليه من أنَّ تقلَّب الوجه يراد به تقلَّب البصر، وأمَّا نوع العلاقة فالقولان صحيحان لأن كل واحد نظر باعتبار يخالف اعتبار الآخر.

الموضع السابع: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤).

يخبرنا الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أنَّ الذين يُخْفُونَ ما أنزل الله في كتبه وغير ذلك من الحقِّ، ويحرصون على أخذ عوض قليل من عرض الدنيا مقابل هذا الإخفاء، هؤلاء

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج4، ص97، وينظر: أبو حيَّان، البحر المحيط، ج2، ص23، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج1، ص174، وأبو زهرة، زهرة التفاسير، ج1، ص447، و وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشرعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2، 1418 هـ، ج2، ص18.

(2) ينظر: أبو حيَّان، البحر المحيط، ج2، ص22.

(3) ينظر: السَّمين الحلبي (أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، أبو العباس، شهاب الدين، 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دط، دت، ج2، ص60، و النعماني (عمر بن علي، أبو حفص، سراج الدين، 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الأولى، 1419 هـ - 1998م، ج3، ص30.

الفصل الأول: العدول المجازي

ما يأكلون إلا نار جهنم تتأجج في بطونهم، ولا يكلمهم الله يوم القيامة لغضبه عليهم، ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم، ولهم عذابٌ موجع⁽¹⁾.

المجاز المرسل في هذه الآية الكريمة في قوله (النار) وهو مجاز مرسل قد اختلف العلماء في تحديد علاقته، فمنهم من قال إنَّ العلاقة مسببية؛ حيث عبّر بالمسبب وهو النار وأراد السبب وهو الحرام، قال الطبري في تفسير الآية: «هؤلاء الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب في شأن محمد صلى الله عليه وسلم بالحسيس من الرشوة يعطونها، فيحرفون لذلك آيات الله ويغيرون معانيها "ما يأكلون في بطونهم" بأكلهم ما أكلوا من الرشى على ذلك والجعالة، وما أخذوا عليه من الأجر "إلا النار" يعني: إلا ما يوردهم النار ويضليلهموها»⁽²⁾.

ومنهم من قال إنَّ العلاقة اعتبار ما يكون؛ حيث عبّر عن الحرام باسم ما يؤول إليه في المستقبل، قال الماوردي: «يُرِيدُ أَنَّهُ حَرَامٌ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ فَصَارَ مَا يَأْكُلُونَ نَارًا، فَسَمَّاهُ فِي الْحَالِ بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ فِي ثَانِي الْحَالِ»⁽³⁾.

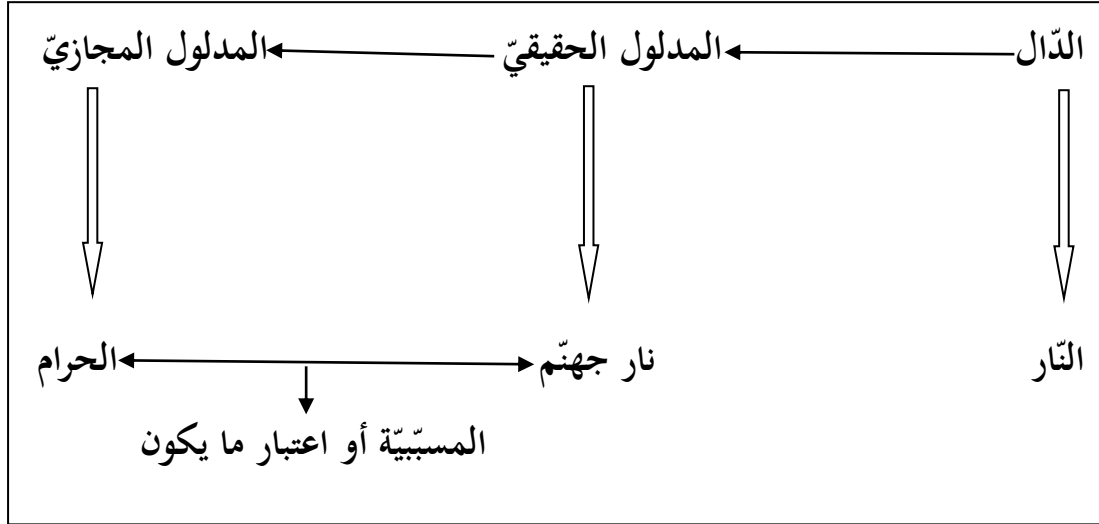
(1) ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص26.

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج3، ص329، وينظر: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج1، ص553-554، والزنجشيري، الكشف، ج1، ص215، وابن جزري (أبو القاسم، محمد بن أحمد، 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416 هـ، ج1، ص108، والسمين الحلبي، الدر المصون، ج2، ص242، والعلمي (مجير الدين بن محمد، 927 هـ)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تح: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية)، دمشق، ط1، 1430 هـ - 2009 م، ومحمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج2، ص84، والمراغي، تفسير المراغي، ج2، ص51، وابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، 1393 هـ)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر - تونس، دط، 1984 م، ج2، ص123، ومحمد الأمين الهرري الأثيوبي، تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط1، 1421 هـ - 2001 م، ج3، ص106، محمد بن صالح العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423 هـ، ج2، ص263.

(3) الماوردي، النكت والعيون، ج1، ص223، وينظر: الواحدي، التفسير البسيط، ج3، ص506، والوجيز، ص145، والجرجاني (أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن، 471 هـ)، دُرُجُ الدُّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالشُّوَرِ، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، ومحقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر، عمان - الأردن، ط1، =

الفصل الأول: العدول المجازي

ومنهم من لمح العلاقتين وذكرهما كما قال العزّ بن عبد السلام: «سَمِيَ مَا كُوهَتْ نَارًا، لِأَنَّهُ سَبَبُ عَذَابِهِمْ بِالنَّارِ، أَوْ لِأَنَّهُ يَصِيرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا، فَسَمَاهُ بِمَا يُؤُولُ إِلَيْهِ»⁽¹⁾.
يمكن أن نمثل العدول الحاصل في الآية الكريمة بالمخطط الآتي:



إنّ السّير في الاتجاه المعجمي المعهود للدّال (النّار) يقودنا إلى مدلولها الحقيقي (نار جهنّم) لكن بتتبّع السياق نجد أنّ النّار لا تؤكل وإنّما يؤكل سببها وهو المال الحرام أو الطّعام الحرام، وهنا ينحرف الذّهن باتجاه المدلول المجازي (الحرام) بمساعدة من العلاقة الموجودة بين المدلولين.

=1430 هـ - 2009 م، ج1، ص277، والسمعاني، تفسير القرآن، ج1، ص170، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص241، والرازي، مفاتيح الغيب، ج5، ص205، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص121، والجلالان (جلال الدين محمد بن أحمد، 864هـ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، 911هـ)، تفسير الجلالين، دار الحديث - القاهرة، ط1، دت، ص35، وابن عجيبة (أبو العباس، أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي، 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، مكتبة الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، دط، 1419 هـ، ج1، ص204، والقنّوجي (أبو الطّيب، محمد صديق خان بن حسن، 1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، صيدا - بيروت، دط، 1412 هـ - 1992 م، ج1، ص345.

⁽¹⁾ سلطان العلماء (عبد العزيز بن عبد السلام، أبو محمد، عز الدين، 660هـ)، تفسير القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط1، 1416هـ - 1996 م، ج1، ص181، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص235، والمظهري، التفسير المظهري، ج1، ص172.

الفصل الأول: العدول المجازي

وأياً كانت العلاقة بين المدلول الحقيقي والمدلول المجازي فلا شك أنّ هناك غرضاً من التعبير بالنار بدل الحرام؛ ذلك أنّ التعبير القرآنيّ بذكره لأكل النار يوصل لنا رسالة غرضها التّهويل، ويرسم لنا صورة محسوسة مخيفة تصوّر ناراً مشتعلة في البطون تشويهاً كما تشوي نار السّعير الجلود يوم القيامة، وهي صورة ممتدة في الزمان والمكان، ويُسْتَحْضَر من الآخرة (صورة النار) في سرعة خاطفة لتعذيب هؤلاء على فعلتهم، زيادة في التصوير والتأثير في النفوس⁽¹⁾. كما أنّ السياق اللاحق يبيّن أن المقام مقام تقريع وتأنيب، فالله عز وجل يزدريهم ويهينهم ويهملهم، فلا يكلمهم يوم القيامة ولا يطهرهم من ذنوبهم، ومع هذا يجزيهم بالعذاب الموجه الأليم؛ هذا العذاب المعنويّ يناسبه ذكر العذاب الحسيّ بالنار التي هي لهم طعام⁽²⁾.

وذكر أبو زهرة أنّ في قوله (بطونهم) مجازاً مرسلًا علاقته الجزئية؛ حيث عبّر بالبطون وأراد جميع البدن لأنّ النار تحرق جميع البدن في جهنّم، ثم بيّن الغرض من هذا المجاز فقال: «عَبَّرَ سُبْحَانَهُ عَنْ حَالِهِمْ فِي الثَّمَنِ الَّذِي أَخَذُوهُ شَرِّهَا، طَمَعًا وَإِثَارًا لِلْبَاطِلِ، وَتَرْكًا لِلْحَقِّ بِأَنَّهُمْ أَكَلُوا نَارًا، نَزَلَتْ فِي بُطُونِهِمْ وَأَلْهَبَتْهَا وَمَزَقَتْ لُحُومَهُمْ، وَاخْتَارَ التَّعْبِيرَ بِكَوْنِ النَّارِ فِي بُطُونِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمَالَ الْبَاطِلَ يُطْلَبُ لِأَجْلِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَمِلَذَّاتِهَا، وَالتَّعْبِيرُ عَنِ الْجُزْءِ وَإِرَادَةُ الْكُلِّ إِذِ الْمُرَادُ أَنَّ النَّارَ تُعْمَهُمْ، وَتَشْمَلُ كُلَّ أَجْزَائِهِمْ، وَلَكِنْ عَبَّرَ بِالْجُزْءِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْجُزْءَ لَهُ مَزِيدٌ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ؛ لِأَنَّ شَهْوَتَهُمْ وَشَرَّهَهُمْ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَخْتَارُونَ ذَلِكَ الثَّمَنَ الْحَقِيرَ وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا فَإِنَّ الَّذِي تَرَكُوهُ مِنَ الْحَقِّ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي كَتَمُوهُ»⁽³⁾.

الموضع الثامن: قَالَ تَعَالَى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ

فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٩٤).

⁽¹⁾ ينظر: عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، ط1،

1422 هـ - 2001 م، ص112.

⁽²⁾ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص158.

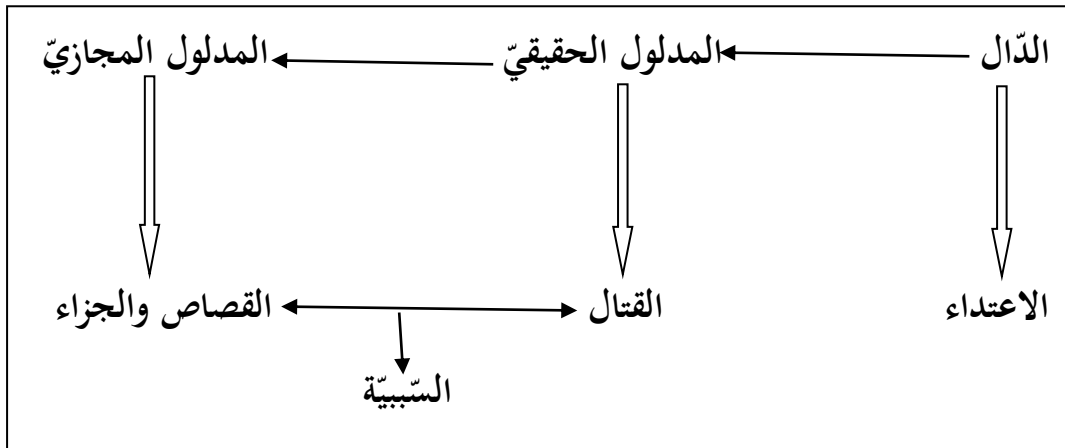
⁽³⁾ أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج1، ص513.

الفصل الأول: العدول المجازي

يخبرنا الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أنه شرع القصاص والمعاملة بالمثل، وأمرنا أن ندفع عدوان المعتدين بمثله، بشرط أن نتقي الله ولا نسرف في المجازاة والقصاص، فالله ناصر المتقين⁽¹⁾.

المجاز المرسل في الآية في قوله: (فاعتدوا) وهو مجاز مرسل علاقته السببية، حيث عبّر بالسبب وهو الاعتداء وأراد المسبب وهو القصاص، قال الزجاج: «وُسِّمِيَ الثَّانِي اعتداءً لآلِهِ مجازاً اعتداءً فُسِّمِيَ بِمِثْلِ اسْمِهِ، لِأَنَّ صُورَةَ الْفَعْلَيْنِ وَاحِدَةٌ. وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا طَاعَةً وَالْآخَرُ مَعْصِيَةً، وَالْعَرَبُ تَقُولُ ظَلَمَنِي فُلَانٌ فَظَلَمْتُهُ أَيْ جَازَيْتُهُ بِظُلْمِهِ، وَجَهِلَ عَلَيَّ فَجَهِلْتُ عَلَيْهِ أَيْ جَازَيْتُهُ بِجَهْلِهِ»⁽²⁾، وقال ابن قتيبة: «فَالْعُدْوَانُ الْأَوَّلُ: ظُلْمٌ، وَالثَّانِي: جَزَاءٌ، وَالْجَزَاءُ لَا يَكُونُ ظُلْمًا، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ كَلَفَظَ الْأَوَّلُ»⁽³⁾.

يمكن أن نمثل العدول الحاصل في الآية الكريمة بالمنخطط الآتي:



(1) ينظر: لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط18، 1416 هـ - 1995 م، ص44.

(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص264.

(3) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 2007م، ص171، وينظر: الجصاص، أحكام القرآن، ج1، ص325، والسمعاني، تفسير القرآن، ج1، ص194، والكيماهراسي (علي بن محمد، أبو الحسن، عماد الدين، 504هـ)، أحكام القرآن، تح: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1405 هـ، ج1، ص87، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج1، ص239، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج1، ص157، والرازي، مفاتيح الغيب، ج5، ص292، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص356.

الفصل الأول: العدول المجازي

إذا نظرنا في السياق السابق للآية وجدنا أن الله عز وجل قد ذكر القصاص وهذا ما يجعل الدّهن يعدل عن المدلول الحقيقي وهو القتال ظلما وعدوانا إلى المدلول المجازي وهو القصاص والجزاء، والذي أسهم في سهولة هذا العدول وسرعة الانتقال هو العلاقة الموجودة بين المعنيين؛ إذ القصاص مسبب عن العدوان الابتدائي للكفار.

ويكمن السرّ في العدول عن لفظ القصاص إلى لفظ الاعتداء في كونه الأنسب للمقام؛ إذ إنّ المقام مقام حرب ومقاتلة واستحلال للحرمات من قبل الكافرين، وهذا ما يؤكده سياق الآية ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾ (البقرة: ١٩٤)، فجاء لفظ الاعتداء في هذا المقام تقوية لعزائم المسلمين، وتوطينا لهممهم^(١).

وذهب أبو زهرة في تعليل هذا العدول - بعد أن ذكر ما أورده العلماء من المقابلة والمشكلة - مذهبا جيّدا فقال: «وعندي أنّ تسمية مقاومة الاعتداء بمثله اعتداء، إذا كانت المقاومة حرباً ونزلاً، فيه إشارة إلى معنى إنسانيّ جليل، وهو أنّ القتل في كلّ صورته وأحواله، ولو كان ردّاً لمثله، فيه اعتداء على النفس الإنسانية التي حرّم الله قتلها بغير نفس أو فساد في الأرض، وأنّه عملٌ خطيرٌ تشعّر من هوله الأبدان، ولا يصحّ الإقدام عليه إلا إذا اضطرتّ الفضيلة والأخلاق إليه؛ وإنّ الإقدام عليه يكون كالإقدام على الضّرورات المحظورة في ذاتها، يُقدّر بقدرها. فلا يُسرفُ القاتل في القتل؛ لأنّه في أصله محظورٌ ممنوعٌ كأكل الميتة لا يُباح إلا للضّورة، ولا يصحّ للمقاتل باسم الإسلام أن يُسرفَ في القتل ما أمكنه الانتصار بدونه»^(٢).

إنّ ماذهب إليه أبو زهرة يؤيده السياق اللاحق إذ يقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٩٤)، فأمره جلّ وعلا بالتّقوى فيه دلالة واضحة على عدم الإسراف في القتل، وفي هذا ضبط لمشاعر الانتقام من العدو المعتدي، وتذكير

(١) ينظر، البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 1، ص 366.

(٢) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج 2، ص 592.

الفصل الأول: العدول المجازي

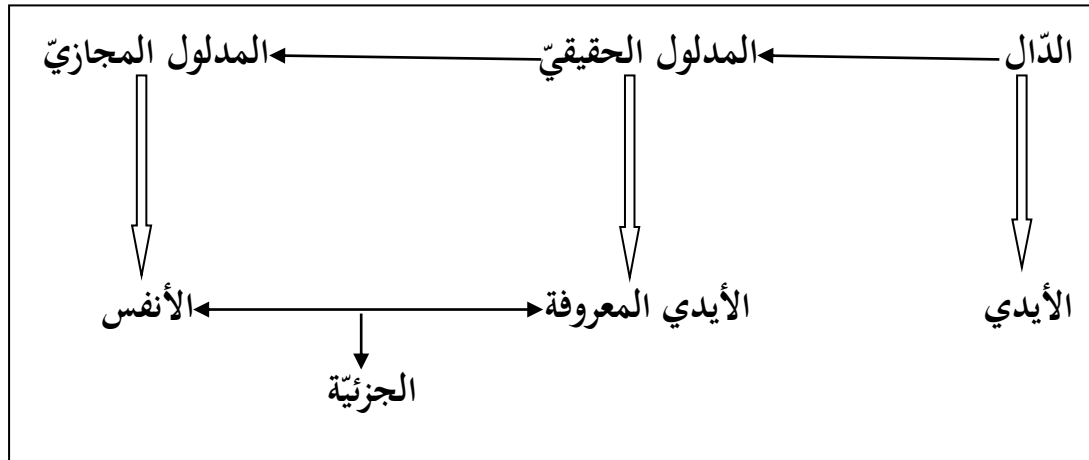
للمسلمين بالتقوى، فلا يأخذون أكثر من حقهم في تأديب العدو، وكسر شوكته حتى يؤيدهم الله بعونه ونصره ومدده (1).

الموضع التاسع: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥).

أمرنا الله تعالى في هذه الآية الكريمة بالاستمرار في الإنفاق لنصرة دين الله تعالى، والجهاد في سبيله، وأن لا نوقع أنفسنا في المهالك بترك الجهاد في سبيل الله، وعدم الإنفاق فيه، وأمرنا كذلك بالإحسان؛ لأنه يحب المحسنين (2).

المجاز المرسل في الآية في قوله (بأيديكم) وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث عبر بالأيدي وهي جزء وأراد الأنفس وهي كل (3).

يمكن تمثيل العدول الحاصل في الآية الكريمة بالمخطط الآتي:



(1) ينظر: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة، ط1، 1390هـ-1970م، ج1، ص216.

(2) ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص30.

(3) ينظر: التعلي، الكشف والبيان، ج2، ص91، والسمعاني، تفسير القرآن، ج1، ص194، والبغوي، معالم التنزيل، ج1، ص239، والزمخشري، الكشاف، ج1، ص237، والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، ص167، والخازن، لباب التأويل، ج1، ص123، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص252، والمظهري، التفسير المظهري، ج1، ص215، ومحمود صافي، الجدول في إعراب القرآن، ج2، ص400.

الفصل الأول: العدول المجازي

إنّ المدلول الحقيقي للأيدي غير مراد وإن كنا نلمحه لفظيًا، لأنّ السياق والواقع يبيان ذلك، فالتهلكة هي الهلاك، يقال هَلَكَ الرَّجُلُ يَهْلِكُ هَلَاكًا وَهُلُكًا وَتَهْلُكَةً وَتَهْلِكَةً⁽¹⁾، ومعناها هنا الموت أو إتلاف النفس، قال الطاهر بن عاشور: «وَمَعْنَى النَّهْيِ عَنِ الْإِلْقَاءِ بِالْيَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ النَّهْيُ عَنِ السَّبَبِ فِي إِتْلَافِ النَّفْسِ»⁽²⁾، وقال العثيمين: «و(التَّهْلُكَةُ): مِنْ الْهَلَاكِ؛ وَالْمَعْنَى لَا تُلْقَوْهَا إِلَى مَا يُهْلِكُكُمْ، وَيَشْمَلُ الْهَلَاكَ الْحَسِّيَّ وَالْمَعْنَوِيَّ، فَلِلْمَعْنَوِيِّ مِثْلُ أَنْ يَدْعَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْإِنْفَاقَ فِيهِ؛ وَالْحَسِّيَّ أَنْ يُعْرَضَ نَفْسُهُ لِلْمَخَاطِرِ، مِثْلُ أَنْ يُلْقَى نَفْسُهُ فِي نَارٍ، أَوْ فِي مَاءٍ يُغْرِقُهُ، أَوْ يَنَامُ تَحْتَ جِدَارٍ مَائِلٍ لِلسُّقُوطِ، أَوْ مَا أَشَبَهُ ذَلِكَ»⁽³⁾. ولما كان الهلاك أو التهلكة بهذا المعنى عدل الذهن عن المدلول الحقيقي إلى المدلول المجازي وهو النفس أو الذات، والذي ساعد على هذا العدول هو وضوح علاقة الجزئية بين المدلولين.

أمّا السبب في التعبير بالأيدي عن الأنفس فقد علّله أبو حيان - بعد أن ذكر أنّ الفعل ألقى قد ضُمِّنَ معنى الفعل أَفْضَى - فقال: «وَيَكُونُ إِذْ ذَاكَ قَدْ عَبَّرَ عَنِ الْأَنْفُسِ بِالْأَيْدِي، لِأَنَّ بَهَا الْحَرَكَةَ وَالْبَطْشَ وَالْإِمْتِنَاعَ»⁽⁴⁾.

يريد أبو حيان من هذا القول أن يشير إلى أنّ أغلب حركات الإنسان وأفعاله تتم عن طريق اليد، وهذا المعنى أشار إليه الألويسي فقال: «والمراؤُ بالأيدي الأنفُسَ مجازاً، وَعَبَّرَ بِهَا عَنْهَا لِأَنَّ أَكْثَرَ ظُهُورِ أَفْعَالِهَا بِهَا»⁽⁵⁾.

ويرى الطاهر بن عاشور أنّ التعبير بالأيدي على الأنفس مجاز بعلاقة البعضية لأنّ اليد أهمّ شيء في النفس⁽⁶⁾.

(1) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص266.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص214.

(3) العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، ج2، ص389.

(4) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص253.

(5) الألويسي، روح المعاني، ج1، ص474-475.

(6) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص213.

الفصل الأول: العدول المجازي

والذي يبدو لنا أنّ النّظم القرآنيّ راعى السياق السابق في هذا التعبير؛ إذ ذكر قبل كلمة (أيديكم) أمرين: أحدهما: الإنفاق، والآخر: في سبيل الله، ومعنى هذا الإنفاق والبذل والجهد، ولا تكون هذه الأفعال إلّا بالأيدي، فالمنفق ينفق بيمينه ما لا تعلمه شماله، والمجاهد في سبيل الله يقاتل ويضرب العدو بسيفه ورمحه وسلاحه.

الموضع العاشر: قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (البقرة: ٢١٠).

يخبرنا الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنّ هؤلاء الخارجين عن أمر الله ما ينتظرون إلّا أن يأتيهم عذاب الله وأمره من حيث ينتظرون الخير تنكيلا بهم وتشديدا عليهم، وتأتيهم الملائكة بما قدره الله وأراد له^(١).

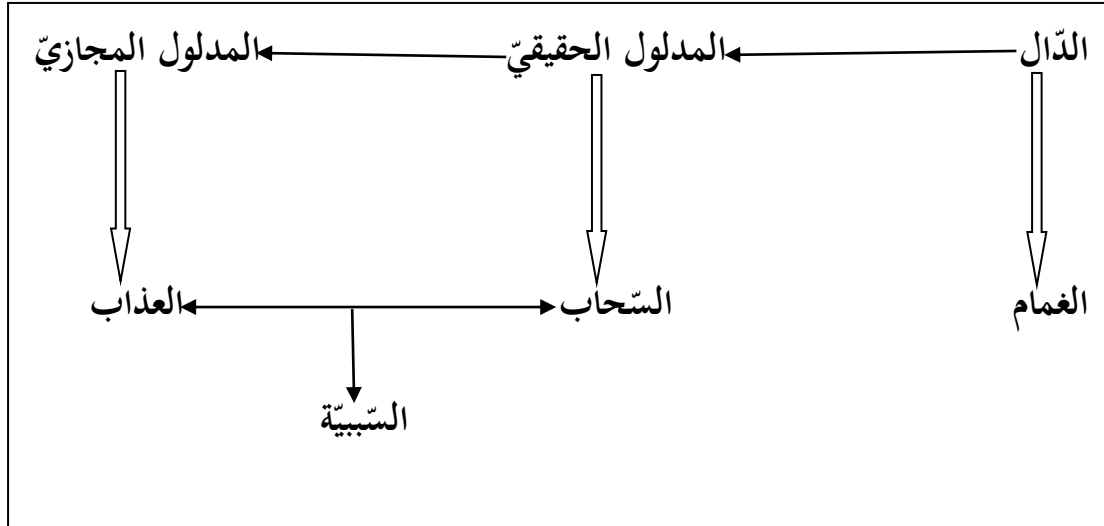
المجاز المرسل في قوله: (ظلل من الغمام)، وهو مجاز مرسل علاقته السببية، حيث عبّر بالغمام وهو سبب وأراد العذاب وهو مسبب؛ ذلك أنّ الغمام عند العرب هو مظنة للرحمة أو العذاب وسببهما، فمنه تنزل الأمطار النّافعة، وقد تنشأ عنه السيول المتلفة الجارفة فيصير عذابا^(٢).

يمكن أن نمثّل العدول الحاصل في الآية الكريمة بالمخطط الآتي:

(١) ينظر: محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، ج 1، ص 126.

(٢) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج 1، ص 280، والنعلبي، الكشف والبيان، ج 2، ص 129، والواحدي، الوجيز، ص 160، والراغب الأصفهاني، تفسير الراغب، ج 1، ص 435، والزخشري، الكشف، ج 1، ص 253، والرازي، مفاتيح الغيب، ج 5، ص 359، ومحمد صافي، الجدول في إعراب القرآن، ج 2، ص 431، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص 286، و محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص - سورية، ط 4، 1415هـ، ج 1، ص 310.

الفصل الأول: العدول المجازي



إنّ الدال (الغمام) يحتمل مدلولين: حقيقياً ومجازياً، فالحقيقي هو الدلالة على السحاب الذي يبشّر بالخير والرحمة، والمجازي هو الدلالة على العذاب، لكن عند النظر في السياق الذي وردت فيه الآية نجد أنّه سياق تهديد ووعد⁽¹⁾، وهذا ما تبينه الآيات السابقة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨ - ٢٠٩)، فقد دعاهم إلى الدخول في السلم وعدم اتباع خطوات الشيطان، ثم هدد من زلّ بعد مجيء البينات بالعزة والحكمة، قال أبو حيان: «وَفِي وَصْفِهِ هُنَا بِالْعِزَّةِ الَّتِي هِيَ تَتَّصِفُ بِالْعَلَبَةِ وَالْقُدْرَةِ اللَّتَيْنِ يَحْصُلُ بِهِمَا الْإِنْتِقَامُ، وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ خَالَفَهُ وَزَلَّ عَنْ مَنَهْجِ الْحَقِّ»⁽²⁾.

وإذا تبين هنا أنّ السياق للتهديد والوعيد فإنّ الذهن يعدل مباشرة عن المدلول الحقيقي ليرسو عند المدلول المجازي وهو العذاب الحاصل بسبب هذا الغمام.

ولا شكّ في أنّ في التعبير بالغمام وإرادة العذاب أسراراً لطيفة أشار إلى بعضها العلماء، فهذا الواحدي يقول: «فَحَذَفَ مَا يَأْتِي بِهِ تَهْوِيلاً عَلَيْهِمْ، إِذْ لَوْ ذَكَرَ مَا يَأْتِي بِهِ كَانَ

⁽¹⁾ ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص344.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ج2، ص342.

الفصل الأول: العدول المجازي

أَسْهَلَ عَلَيْهِمْ فِي بَابِ الْوَعِيدِ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ كَانَ أْبْلَغَ لَانْتِسَامِ خَوَاطِرِهِمْ وَذَهَابِ فِكْرَتِهِمْ فِي كُلِّ وَجْهِ»⁽¹⁾.

يشير الواحدي في القول السابق إلى أَنَّ السر في العدول يكمن في خَلْقِ التَّهْوِيلِ، وتشديد الوعيد، وتشيت الأفكار والخواطر وهذا أبلغ في التعذيب والتأثير في النفوس.

وقال الزمخشري: «فإن قلت: لِمَ يأتيهم العذاب في الْعَمَام؟ قلت: لأنَّ الْعَمَامَ مَظِنَّةُ الرَّحْمَةِ، فَإِذَا نَزَلَ مِنْهُ الْعَذَابُ كَانَ الْأَمْرُ أَفْظَعَ وَأَهْوَلَ، لأنَّ الشَّرَّ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ كَانَ أَعَمَّ، كَمَا أَنَّ الْخَيْرَ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ كَانَ أَسَرَّ، فَكَيْفَ إِذَا جَاءَ الشَّرُّ مِنْ حَيْثُ يُحْتَسَبُ الْخَيْرُ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ الصَّاعِقَةُ مِنَ الْعَذَابِ الْمُسْتَقْفَعِ لِحَيْثُهَا مِنْ حَيْثُ يُتَوَقَّعُ الْغَيْثُ»⁽²⁾.

إنَّ ماذهب إليه الزمخشري غير بعيد عما ذهب إليه الواحدي، فالغرض من هذا العدول عنده هو زيادة التهويل والفظاعة، فتحصل بذلك عقوبة حسية بالعذاب الذي جاء به الغمام، وعقوبة معنوية تتمثل في خيبة أملهم بعد أن ظنوا الخير واستبشروا بالرحمة عند رؤية الغمام.

وللرازي توجيه ثالث لهذا العدول، حيث يرى " أَنَّ الْعَمَامَ تَنْزِلُ عَنْهُ قَطَرَاتٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ وَلَا مَحْدُودَةٍ، فَكَذَا هَذَا الْعَمَامُ يَنْزِلُ عَنْهُ قَطَرَاتُ الْعَذَابِ نُزُولًا غَيْرَ مَحْصُورٍ " ⁽³⁾.

ونقل محمد رشيد رضا عن أستاذه محمد عبده توجيهها رابعا لهذا العدول فقال: «وإنَّ الْحِكْمَةَ فِي نُزُولِ الْعَذَابِ فِي الْعَمَامِ إِنِّزَالُهُ فَجَاءَهُ مِنْ غَيْرِ تَمْهِيدٍ يُنْذِرُ بِهِ، وَلَا تَوَطُّئَةٍ تُوْطِنُ النَّفْسَ عَلَى احْتِمَالِهِ، وَذَلِكَ أْبْلَغُ فِي هَوْلِهِ»⁽⁴⁾.

(1) الواحدي، التفسير البسيط، ج4، ص97-98.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص253.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، ج5، ص360.

(4) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج2، ص210-211.

الفصل الأول: العدول المجازي

نلاحظ أنّ جميع التوجيهات التي ذكرناها لهذا العدول تتفق كلها في تصوير شدة العذاب وهوله وهو ما يتناسب مع السياق الذي وردت فيه الآية.

الموضع الحادي عشر: قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢٢١).

يخبرنا الله تعالى في هذه الآية أنّ أولئك المتصفين بالشرك رجالا ونساءً يدعون كلّ من يعاشرهم إلى ما يؤدّي به إلى النار، والله سبحانه يدعو عباده إلى دينه الحق المؤدّي بهم إلى الجنة ومغفرة ذنوبهم بإذنه، ويبيّن آياته وأحكامه للناس؛ لكي يتذكروا، فيعتبروا^(١).

المجاز المرسل في هذه الآية الكريمة في ثلاثة ألفاظ وهي: (النار)، و(الجنة)، و(المغفرة)، حيث عبّر بالمسببات وأراد الأسباب؛ فالنار مسببة عن الشرك أو العمل غير الصالح، والجنة مسببة عن التوحيد والعمل الصالح، والمغفرة مسببة عن العمل الصالح أو التوبة، قال الألوسي: «أُولَئِكَ أي المذكورون من المشركين والمشرّكات يدعون إلى النار أي الكفر المؤدّي إليها إمّا بالقول أو بالحبّة والمخالطة ... وَاللَّهُ يَدْعُو بواسطة المؤمنين من يُقَارِئُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ أي إلى الاعتقاد الحقّ والعمل الصالح الموصلين إليهما»^(٢).

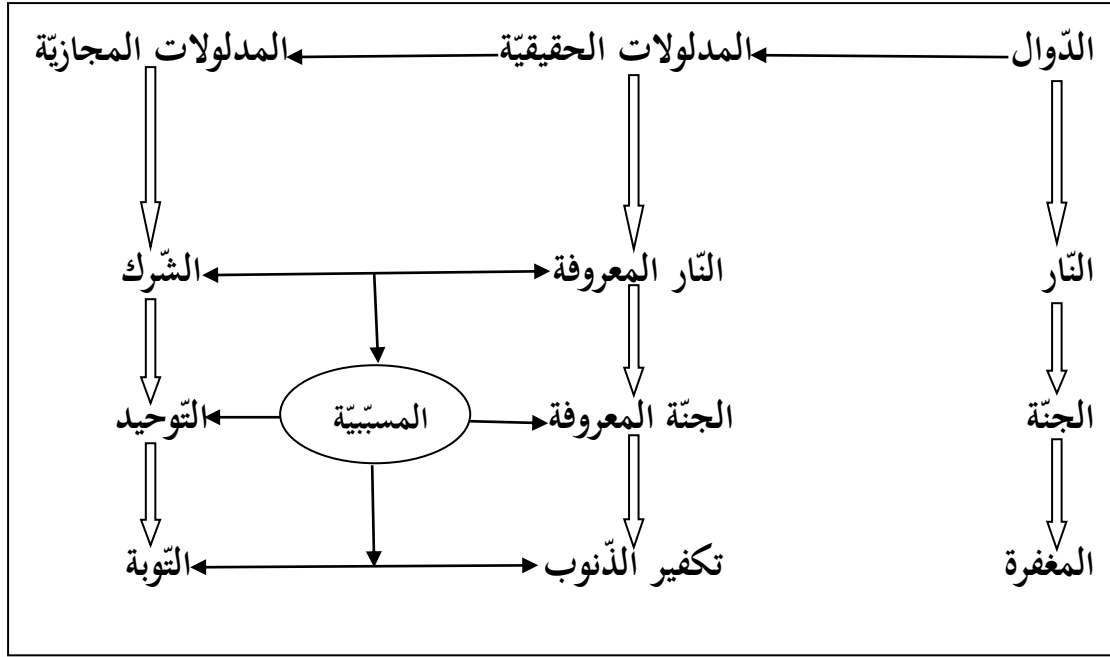
وقال الطاهر بن عاشور: «وَمَعْنَى الدُّعَاءِ إِلَى النَّارِ الدُّعَاءُ إِلَى أَسْبَابِهَا فإِسْنَادُ الدُّعَاءِ إِلَيْهِمْ حَقِيقَةٌ عَقْلِيَّةٌ، وَلَفْظُ النَّارِ بِحَاجَزٍ مُرْسَلٌ أُطْلِقَ عَلَى أَسْبَابِ الدُّخُولِ إِلَى النَّارِ فَإِنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ يَجُزُّ إِلَى النَّارِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ ... والدُّعَاءُ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ دُعَاءٌ لِأَسْبَابِهَا»^(٣).

يمكن أن نوضح العدول الحاصل في هذه الآية الكريمة بالمخطط الآتي:

(١) ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص35.

(٢) الألوسي، روح المعاني، ج1، ص514.

(٣) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص363، وينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص296، والماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج2، ص132، والواحدي، الوجيز، ص166، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص80، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص139.



إنّ ما يدعو الذّهن إلى العدول عن المدلولات الحقيقيّة إلى المدلولات المجازيّة هو السّياق الذي وردت فيه هذه الألفاظ وبيانها كالاتي:

- **لفظ النّار:** السّياق القبليّ لهذا اللفظ يبيّن أنّ المشركين والمشركات هم من يدعون إلى النّار، فإذا سرنا باتجاه المدلول الحقيقيّ وقعنا في تناقض أورده الرّازي حين قال: « فَكَيْفَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَرُبَّمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِالنَّارِ أَصْلًا، فَكَيْفَ يَدْعُونَ إِلَيْهَا » ⁽¹⁾، فتكذيب المشركين بالنّار أمر معلوم من القرآن لقوله تعالى: ﴿ كَلَّمَآ أَرَادُوآ أَن يَخْرِجُوآ مِنْهَا أَعِيدُوآ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾ (السّجدة: ٢٠)، وقال تعالى: ﴿ وَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الّتي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴾ (سبأ: ٤٢)، وقال أيضا: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ۖ ﴾ (١٣) هَذِهِ النَّارُ الّتي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴾ (الطّور: ١٣ - ١٤)، فلمّا كان الأمر كذلك لم نجد بداً من السّير نحو المدلول المجازيّ وهو كلّ ما يؤدّي إلى تلك النّار كالشّرك والعمل غير الصّالح.

⁽¹⁾ الرّازي، مفاتيح الغيب، ج6، ص413.

الفصل الأول: العدول المجازي

- **لفظ الجنة:** أخبرنا الله تعالى أنه يدعونا إلى الجنة، والجنة من الأمور الغيبية التي نؤمن بها ولا نعلم كنهها فهي حق لإخبار الله تعالى عنها، ومن المعلوم أنه لا دخول إلى الجنة إلا بعد الموت والحساب، وهذا ما يؤكد أن الذهن لا بد أن ينحرف باتجاه المدلول المجازي أي أن الدعوة هنا لكل ما يؤدي إلى هذه الحقيقة الغيبية من عمل صالح وإيمان وتوحيد.

- **لفظ المغفرة:** جاء لفظ المغفرة في الآية الكريمة بعد لفظ الجنة ليدل على أن هذه المغفرة تكون في الآخرة وليس في الدنيا، وفي هذا المعنى يقول ابن عرفة: «فإنَّها (أي المغفرة) إِنَّمَا أُخْرِتْ لِسَنَّاوَلِ الْآيَةِ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَلَمْ يَعْصِهِ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دُخُولاً أَوَّلِيّاً، وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَعَصَى فَإِنَّهُ يَدْخُلُ النَّارَ وَيُعَقَّرُ لَهُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَعَصَى وَغُفِرَ لَهُ فَإِنَّهُ أَيْضاً يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دُخُولاً أَوَّلِيّاً»⁽¹⁾، فدعوة الله لنا إلى المغفرة دعوة لكل سبب يؤدي إلى مغفرة ذنوبنا يوم القيامة.

أمّا عن سرّ العدول في الآية الكريمة فلم نجد في كتب التفسير التي وقفنا عليها ما يعلّل ذلك، ولكن بالتأمّل الدقيق للآية نستطيع أن نحصر الغرض في أمرين:

الأول: ما يحصل بهذه الألفاظ من الترهيب والترغيب، وما ينجرّ عن ذلك من الانتهاء والامتنال؛ ذلك أن لفظ النار لفظ مرعب مفرع يوحى بالوعيد والتّهديد فيحصل به من التّرهيب ما لا يحصل بغيره، وعند حصول الرّهبة يسارع العاقل إلى الانتهاء عمّا تُهي عنه. وكذلك الأمر في لفظتي الجنة والمغفرة فإنّهما توحيان بلطف الله ورحمته فيحصل بهما ترغيب شديد وطمع في رضوان الله تعالى ممّا يجعل المؤمن يسارع إلى الخيرات ويتعلّق بكلّ سبب يفضي به إليهما.

والثاني: بيان مآل وعاقبة من لم يستجب لما نهى عنه من الشّرك والعمل غير الصّالح، ومآل من استجاب لما أمر به من الإيمان والتّوحيد والعمل الصّالح.

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج2، ص638.

الموضع الثاني عشر: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ

يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۚ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

يخبرنا الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أنه لا يحلّ للأولياء أو الأزواج أن يمنعا المطلقات إذا أتممن عدتهن وأرادت إحداهن أن تستأنف زواجاً جديداً - من المطلق أو من رجل آخر غيره- إذا تراضى الطرفان على عقد جديد وإرادة حياة كريمة تؤدي إلى حسن العشرة بينهما⁽¹⁾.

المجاز المرسل في الآية الكريمة في قوله: (أزواجهن) وهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ماكان أو اعتبار ما يكون، وسبب الخلاف في العلاقة ناتج عن الخلاف في المقصود بالأزواج، هل هو الزوج السابق الذي طلق هذه المرأة، أو هو رجل جديد ترغب المرأة في الزواج منه؟ ذهب فريق من العلماء إلى أن المقصود بالأزواج في الآية الرجل المطلق استناداً إلى أن أولياء الأمور هم من يعضلون المرأة عن الزواج بالرجل الذي طلقها، ويؤيد هذا سبب نزول الآية الكريمة، قال الطبري: «ذكر أن هذه الآية نزلت في رجل كانت له أخت كان زوجها من ابن عم لها فطلقها، وتركها فلم يرأجعها حتى انقضت عدتها، ثم خطبها منه، فأبى أن يزوجه إياها ومنعها منه، وهي فيه راغبة»⁽²⁾.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن المقصود بالأزواج هنا زوج جديد باعتبار أن الزوج المطلق هو الذي يعضل هذه المرأة أن تتزوج غيره بعد أن طلقها وانقضت عدتها⁽³⁾.

أما القول الثاني فقد أكدّه الرازي بما لا يدع مجالاً للشك معتمداً في ذلك على السياق اللغوي للآية، حيث قال: «اختلف المفسرون في أن قوله: فلا تعضلوهن خطاب

(1) ينظر: لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن، ص54.

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج5، ص17، وينظر: الثعلبي، الكشف والبيان، ج2، ص179، والواحدي، الوجيز، ص172، وابن الجوزي، زاد المسير، ج1، ص205.

(3) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص144، والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، ص193، وأبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص493.

الفصل الأول: العدول المجازي

لِمَنْ؟ فَقَالَ الْأَكْثَرُونَ إِنَّهُ خِطَابٌ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ خِطَابٌ لِلْأَزْوَاجِ، وَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ، الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ جُمْلَةً وَاحِدَةً مُرَكَّبَةً مِنْ شَرْطٍ وَجَزَاءٍ، فَالشَّرْطُ قَوْلُهُ: وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ وَالْجَزَاءُ قَوْلُهُ: فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ وَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّرْطَ وَهُوَ قَوْلُهُ: وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ خِطَابٌ مَعَ الْأَزْوَاجِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْجَزَاءُ وَهُوَ قَوْلُهُ: فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ خِطَابًا مَعَهُمْ أَيْضًا، إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَصَارَ تَقْدِيرُ الْآيَةِ: إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ وَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ بَيْنَ الشَّرْطِ وَبَيْنَ الْجَزَاءِ مُنَاسَبَةٌ أَصْلًا وَذَلِكَ يُوجِبُ تَفَكُّكَ نَظْمِ الْكَلَامِ وَتَنْزِيهِهِ كَلَامَ اللَّهِ عَنْ مِثْلِهِ وَاجِبٌ، فَهَذَا كَلَامٌ قَوِيٌّ مَتِينٌ فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْقَوْلِ» (1).

ثم يمضي الرازي في تأكيد قوله وتأييده بأمرين:

أحدهما: أَنَّ سياق آيات الطَّلَاق التي تسبق هذه الآية الكريمة - من الآية رقم: 228 إلى الآية رقم: 231- يبيِّن أَنَّ الخطاب فيها للأزواج دون الأولياء فصرف الخطاب هنا إلى الأولياء على خلاف النظم (2).

والآخر: أَنَّ الله تعالى بيَّن في الآية السابقة لهذه الآية كيفية معاملة الأزواج مَعَ النِّسَاءِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ، فَإِذَا جَعَلْنَا هَذِهِ الْآيَةَ خِطَابًا لَهُمْ فِي كَيْفِيَّةِ مُعَامَلَتِهِمْ مَعَ النِّسَاءِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ كَانَ الْكَلَامُ مُنْتَظِمًا، وَالتَّرْتِيبُ مُسْتَقِيمًا، أَمَّا إِذَا جَعَلْنَاهُ خِطَابًا لِلْأَوْلِيَاءِ لَمْ يَحْصُلْ فِيهِ مِثْلُ هَذَا التَّرْتِيبِ الْحَسَنِ اللَّطِيفِ، فَكَانَ صَرَفُ الْخِطَابِ إِلَى الْأَزْوَاجِ أَوْلَى (3).

والحق عند تدقيق النظر وأيًا كان من يمنع المرأة من الزواج فالعلاقة - حسب رأينا - هي اعتبار ما يكون؛ ذلك أَنَّ المرأة إذا تزوجت مرةً أخرى فالرجل الذي يتزوجها يسمَّى زوجاً في اللحظة التي يعقد فيها القران لا قبلها، سواء أكان رجلاً آخر أم طليقها، فتسميتهم في الآية أزواجاً مجازاً باعتبار المال.

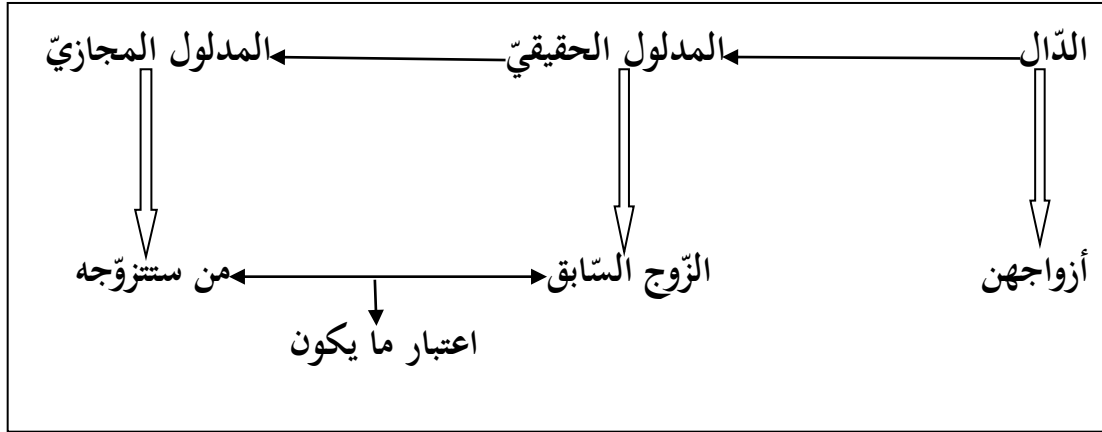
(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج6، ص454-455.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص455.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص455.

الفصل الأول: العدول المجازي

يمكن أن تمثل العدول الحاصل في الآية الكريمة بالمخطط الآتي:



إنَّ السَّير في الاتجاه المعجمي المعهود يقودنا إلى المدلول الحقيقي للفظ الأزواج، لكنَّ عند التأمُّل في سياق الآية نجد أنَّ السياق سياق طلاق وعُضْلٍ للمرأة عن الزَّواج مجدداً بالرجل السابق أو رجل جديد والمرأة عندما تطلِّق لا يسمَّى زوجها السابق زوجاً - وإنَّ رغبت في العودة إليه - حتَّى يعاد عقد القران بينهما، وكذلك لا يسمَّى الرجل الجديد الذي يرغب في عقد قرانه عليها زوجاً إلَّا بعد تمام العقد، ولذا فإنَّ الدَّهن ينحرف نحو المدلول المجازي وهو الزَّوج باعتبار المال أيَّ من ستزوجه في المستقبل.

ويرجع السَّر في تسمية من ستزوجه المرأة زوجاً إلى نكتة بلاغيَّة أشار إليها أبو زهرة فقال: « ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى عبَّرَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَارُهُمُ النِّسَاءُ وَيَمْنَعْنَ عَنْهُمْ ظُلْماً بالأزواج مَعَ أنَّ الزَّوَاجَ لَمْ يَتِمَّ، لِلإِشَارَةِ إِلَى الْحَقِيقَةِ الْمَقَرَّرَةِ الثَّابِتَةِ، وَهُوَ أَنَّ مَنْ يَقَعُ اخْتِيَارُهَا عَلَيْهِ، وَيَتَرَضَّيَانِ عَلَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَمْ يَكُنِ الزَّوَاجُ بَيْنَهُمَا فِيهِ مَا يَشِينُهَا أَوْ يَشِينُ أُسْرَتَهَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اِزْدَوَاجُهَا بِهِ، وَهُوَ فِي حُكْمِ الْفِطْرَةِ زَوْجُهَا، وَعَلَى الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا يُعَانِدُوا حُكْمَ الْفِطْرَةِ، بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يُنْفِذُوهُ وَيُثْبِتُوهُ، وَلَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُعَارِضَهُ»⁽¹⁾.

وبالإضافة إلى هذه النكتة يمكن أن نضيف ثلاثة نكت:

1- أنَّ في التعبير بالزَّوج عن الرجل الذي اختارته المرأة المطلقة وارتضته جبر لخطورها، وتحسين لنفسيتها المتضررة بسبب الطلاق.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج2، ص802.

الفصل الأول: العدول المجازي

2- أن في هذا التعبير إشارة أيضا إلى قرب تلك الحالة أي قرب وقوع هذا الزواج حتى كأنه واقع مشاهد⁽¹⁾.

3- أن في تسمية من اختارته المرأة زوجا تشنيع على الولي أو الطليق الذي يعضل هذه المرأة عن الزواج مرة أخرى، كما أنه يبين أن هذا العضل من الظلم العظيم الذي ينبغي تجنبه.

الموضع الثالث عشر: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٠).

هذا الموضع يتشابه مع الموضع السابق، والمجاز هنا في قوله: (أزواجا)، وهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ماكان؛ إذ إن المرأة التي تُوفِّي عنها زوجها لا تسمى زوجة بعد وفاته؛ لأن الزوجية تنقضي بالموت والمراد اللائي كن أزواجا⁽²⁾.

الموضع الرابع عشر: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

ينبه الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام فيقول له: "ألم تعلم -أيها الرسول- قصة الذين فرّوا من أرضهم ومنازلهم، وهم أُلوف كثيرة؛ خشية الموت من الطّاعون أو القتال، فقال لهم الله: موتوا، فماتوا دفعة واحدة عقوبة على فرارهم من قدر الله، ثم أحياهم الله تعالى بعد مدة؛ ليستوفوا آجالهم، وليتّعظوا ويتوبوا"⁽³⁾.

المجاز المرسل في الآية الكريمة في قوله: (الموت)، وهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون، حيث عبّر عن الجهاد في سبيل الله أو الطّاعون بالموت لأنه يؤول إليه، قال الطبري نقلا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ، خَرَجُوا فِرَاراً مِنَ الطّاعُونِ،

(1) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص427.

(2) ينظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن، ج2، ص513.

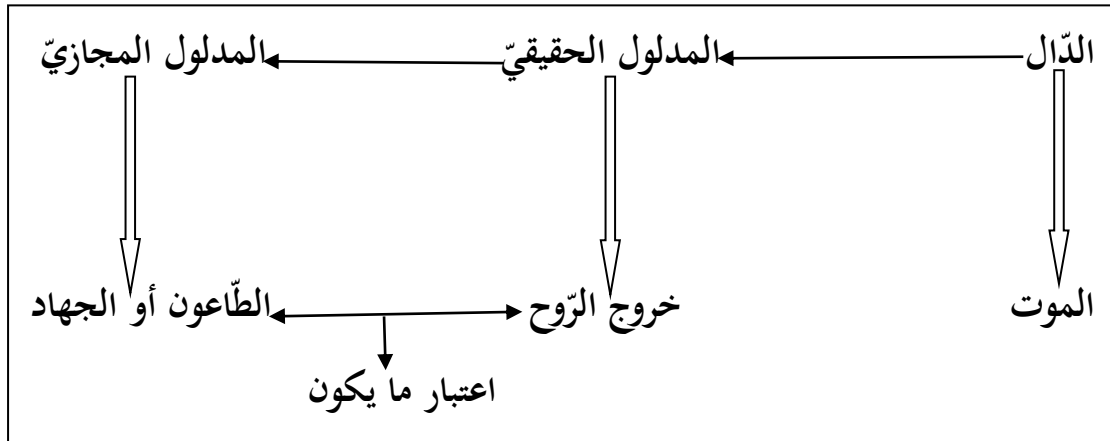
(3) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص39.

الفصل الأول: العدول المجازي

قَالُوا: "نَأْتِي أَرْضاً لَيْسَ فِيهَا مَوْتُ!" حَتَّى إِذَا كَانُوا بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ لَهُمُ اللَّهُ: "مُوتُوا".
فَمَرَّ عَلَيْهِمْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُحْيِيَهُمْ، فَأَحْيَاهُمْ» (1).

وقال الطنطاوي: «والذي نراه أَنَّ الرواية الثانية التي تقول: إِنَّهُمْ قَوْمٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
فَرُّوا مِنَ الْجِهَادِ حِينَ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مَعْقُولُهُ الْمَعْنَى، وَيُؤَيِّدُهَا سِيَاقُ الْآيَاتِ، لِأَنَّ الْآيَاتِ تَحْضُرُ
النَّاسَ عَلَى الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَسْؤِقُ لَهُمْ قِصَّةَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَكِنِّي يَعْتَبِرُوا وَيَتَعَبَّطُوا وَلَا
يَتَخَلَّفُوا عَنِ الْجِهَادِ الَّذِي هُوَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ» (2).

وأيّا كان الأمر الذي جعلهم يخرجون من ديارهم، سواء أكان الجهاد أم الطّاعون فلا
شكّ أنّه يؤوّل إلى الموت وإن كان الطّاعون أكثر مآلاً إلى الموت من الجهاد.
يمكن أن نمثّل العدول الحاصل في الآية الكريمة بالمخطط الآتي:



نلاحظ أنّ الدّهن يعدل عن المدلول الحقيقي (خروج الرّوح) للدّال (الموت) نحو
المدلول المجازي (الطّاعون أو الجهاد) حتّى يتناسب مع مقام الحال ويتطابق مع الواقع؛ لأنّ
الذين خرجوا من ديارهم خرجوا خوفاً من الطّاعون الذي أَلَمَّ بقريتهم أو العدو الذي يتربّص

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج5، ص267، وينظر: ابن أبي حاتم (أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد،
327هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية
السعودية، ط3، 1419 هـ، ج2، ص456.

(2) الطنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1، دت،
ج1، ص557.

الفصل الأول: العدول المجازي

بهم، والذي سهّل التعبير بالموت بدلا عن الطّاعون أو الجهاد العلاقة القائمة بين اللفظين (اعتبار ما يكون).

ويمكن السّر في التعبير بالموت بدلا عن الطّاعون أو القتال في تحقيق التّناسب وحصول المقابلة مع الإحياء؛ لأنّ السياق اللاحق للآية يبيّن أنّ الله سيحيي هؤلاء الذين خرجوا بعد إمامتهم، ففي التعبير بالموت تجلية لقدرة الله تعالى على إحياء الموتى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فيه تعليم للمؤمنين ألا يفترّوا من قضاء الله حتّى في أصعب الظروف وأشدّ الأوقات، ولا شكّ أنّ معالجة الموت من أصعبها وأشدّها، فما كان دونه كالطّاعون أو الجهاد أو القتال من باب أولى.

بهذا نكون قد أتممنا الحديث عن المجاز المرسل في هذه السّورة المباركة لننتقل إلى النوع الثاني من أنواع المجاز وهو المجاز العقليّ فنستعرض المواضع التي وقفنا عليها ونشرحها ونحاول تبيان السر في العدول عن الإسناد الحقيقيّ إلى الإسناد المجازيّ.

3-2- المجازُ العقليّ في سورة البقرة

المجاز العقليّ - كما مر معنا - متعلّق بالإسناد وفيه عدول عن الإسناد إلى الفاعل حقيقة إلى شيء آخر تربطه به علاقة من العلاقات التي ذكرناها، وقد ورد هذا النوع من المجاز في سورة البقرة في سبعة مواضع، وسنكتفي بتحليل وشرح ثلاثة منها - حتى لا يطول الحديث عن المجاز - وأمّا بقيّة المواضع فنشير إلى موطن المجاز وعلاقته ونحيل القارئ إلى بعض المصادر التي ذكرت ذلك:

الموضع الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا

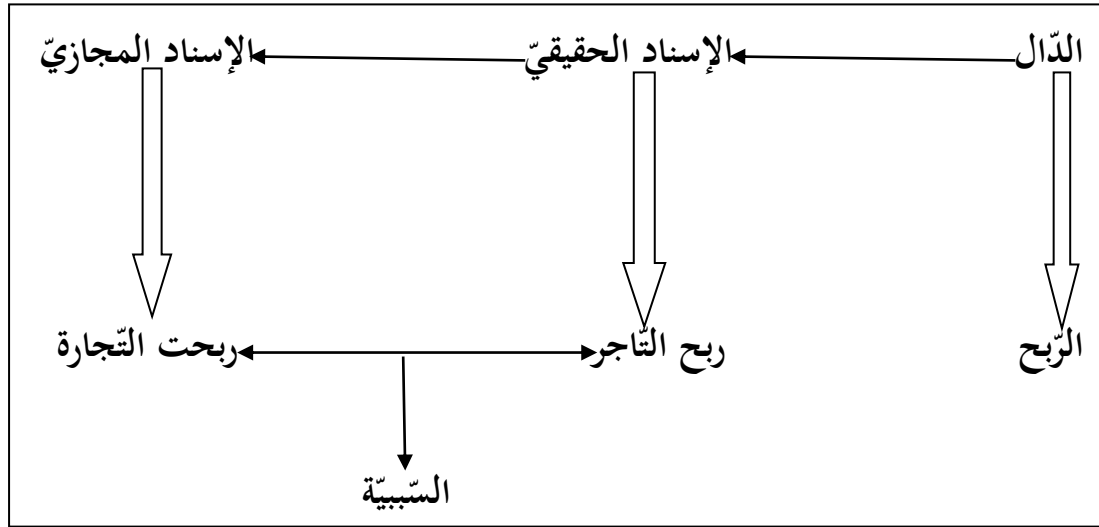
كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٦).

الفصل الأول: العدول المجازي

يخبرنا الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أنّ المنافقين قاموا بصفقة خاسرة، فأخذوا الكفر وتركوا الإيمان فما كسبوا شيئاً بل خسروا الهداية وهذا هو الخسران المبين ⁽¹⁾.

المجاز العقليّ هنا في قوله: (ما ربحت تجارتهم)، وهو مجاز عقليّ علاقته السببيّة، حيث أسند عدم الربح إلى التجارة والأصل أن تسند إلى التاجر لتلبّسها به، فهي سبب في الرّبح أو الخسران. قال أبو حيان: «وَنِسْبَةُ الرِّبْحِ إِلَى التِّجَارَةِ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ لِأَنَّ الَّذِي يَرِزُّ أَوْ يَخْسِرُ إِنَّمَا هُوَ التَّاجِرُ لَا التِّجَارَةُ» ⁽²⁾، وقال البيضاوي: «والتجارة: طلب الربح بالبيع والشراء. والربح: الفضل على رأس المال ... وإسناده إلى التجارة، وهو لأزايها، على الاتساع لتلبّسها بالفاعل، أو لمشابقتها إيّاه من حيث إنّها سبب الربح والخسران» ⁽³⁾.

يمكن أن نمثّل العدول الحاصل من الإسناد الحقيقي إلى الإسناد المجازي بالمنخبط الآتي:



⁽¹⁾ ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص3.

⁽²⁾ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص119.

⁽³⁾ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص49، وينظر: الفراء (يحيى بن زياد، أبو زكريا، 207هـ)، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاشي وآخرين، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، دت، ج1، ص14، و ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، 276هـ)، غريب القرآن، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دط، 1398هـ - 1978م، ص42، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص92-93، والخازن، لباب التأويل، ج1، ص28.

الفصل الأول: العدول المجازي

ومما يؤكد أنّ الإسناد في الآية إسناد مجازي صحّة نفي الرّيح عن التّجارة؛ لأنّه "لولا الإسناد المجازي لما صحّ أن يُنفى عن الشّيء ما يعلم كلّ أحد أنّه ليس من صفاته لأنّه يصير من باب الإخبار بالمعلوم ضرورة، فلا تظنّ أنّ النّفي في مثل هذا حقيقة فتتركه، إنّ انتفاء الرّيح عن التّجارة واقع ثابت لأنّها لا تُوصف بالرّيح" (1).

أمّا عن الأغراض والأسرار الكامنة وراء هذا العدول فيمكن أن نحملها في الآتي:

أولاً: اتّباع سنن العرب في كلامها والاكتفاء بفهم المخاطبين، وهذا ما أشار إليه الطّبري حين قال: « إنّما معنى ذلك: فما ربحوا في تجارتهم - لا فيما اشتروا، ولا فيما شروا - ولكن الله جلّ ثناؤه خاطب بكتابه عرباً فسلك في خطابه إيّاهم وبيانه لهم، مسلك خطاب بعضهم بعضاً، وبيانه المستعمل بينهم. فلمّا كان فصيحاً لديهم قول القائل لآخر: خاب سعيك، ونام ليّلك، وخسر بيعك، ونحو ذلك من الكلام الذي لا يخفى على سامعه ما يريد قائله - خاطبهم بالذي هو في منطقتهم من الكلام، فقال: (فما ربحت تجارتهم) إذ كان معقولاً عندهم أنّ الرّيح إنّما هو في التّجارة، كما التّوم في الليل. فاكتمى بفهم المخاطبين معنى ذلك، عن أن يقال: فما ربحوا في تجارتهم، وإن كان ذلك معناه» (2).

ثانياً: تحقيق الإيجاز والتّفخيم والبلاغة؛ ذلك أنّ لفظ الآية أخصر وأفخم وأبلغ من قولنا: (فما ربحوا في تجارتهم). قال الجرجاني: « ومن الذي يخفى عليه مكان العلوّ وموضع المزيّة وصورة الفرقان بين قوله تعالى ﴿فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ وبين أن يقال: "فما ربحوا في تجارتهم؟" (3).

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 300.

(2) الطبري، جامع البيان، ج 1، ص 317.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 295.

الفصل الأول: العدول المجازي

ثالثا: تحقيق المبالغة في المعنى وهذا ما أشار إليه أبو السعود بقوله: « وَفَائِدَتُهُ الْمَبَالِغَةُ فِي تَحْسِيرِهِمْ لَمَا فِيهِ مِنَ الْإِشْعَارِ بِكَثْرَةِ الْخَسَارِ وَعُمُومِهِ الْمُسْتَتَبِعِ لِسَرَائِيَّتِهِ إِلَى مَا يُلَابِسُهُمْ » (1)، وقال أبو زهرة: « ونسب الرّيح إلى التّجارة، وهِيَ مَحَلُّ التّصَرُّفِ ... مَبَالِغَةٌ فِي نَفْيِ الرّيحِ وَثُبُوتِ الْخَسَارَةِ، لَمَنْ تَرَكَ الْهَدَايَةَ وَأَخَذَ الضَّلَالَ » (2).

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥).

في هذه الآية الكريمة بشارة للذين آمنوا وعملوا الصّالحات بما يسرّهم ويشرح صدورهم، وهو أنّ الله أعدّ لهم جنّات مثمرة تتخلّلها الأنهار الجارية تحت أشجارها وقصورها، وأنّه سيرزقهم ثمارا تشابه الثّمار التي يعرفونها في الصّورة والجنس ولكنها تمتاز في الطّعم واللّذة، ولهم فيها أيضا زوجات كاملات الطّهارة، وأنّهم سيقون في هذه الجنّة في حياة أبدية لا يخرجون منها (3).

ويكمن المجاز العقليّ في هذه الآية في قوله: (تجري من تحتها الأنهار) وهو مجاز عقليّ علاقته المكانيّة، حيث أسند الجري إلى الأنهار وهي لا تجري حقيقة بل يجري ماؤها وإنما ساغ إسناد الجري إليها؛ لأنّ الأنهار في لغة العرب "جَمْعُ نَهَرٍ يَفْتَحُ الْمَاءُ وَسُكُونُهَا وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ وَالنَّهْرُ الْأَخْذُودُ الْجَارِي فِيهِ الْمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ مَادَّةِ نَهَرٍ الدَّالَّةِ عَلَى الْإِنْشِقَاقِ وَالِاتِّسَاعِ وَيَكُونُ كَبِيرًا وَصَغِيرًا" (4)، وبما أنّه أخطود فهو مكان لجري المياه. قال البغوي: «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا، أَي: مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَمَسَاكِنِهَا الْأَنْهَارِ، أَي: الْمِيَاهُ فِي

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص49.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج1، ص140.

(3) ينظر: لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص8.

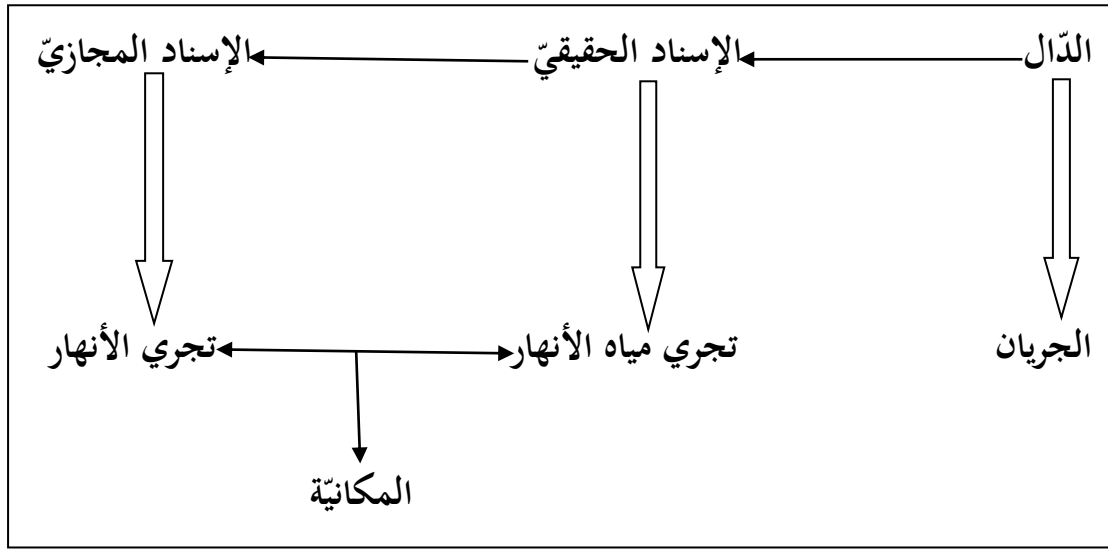
(4) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص354.

الفصل الأول: العدول المجازي

الأنهار، لِأَنَّ النَّهْرَ لَا يَجْرِي» ⁽¹⁾، وقال القرطبي: «(الأنهار) أي ماء الأنهار، فُنُسِبَ الْجُرْيُ إِلَى الْأَنْهَارِ تَوْشُّعًا، وَإِنَّمَا يَجْرِي الْمَاءُ وَحْدَهُ» ⁽²⁾.

وذكر أبو حيان أنَّ النَّهْرَ قد يطلق على الماء في المجرى المتسع ⁽³⁾ وحينئذ لا يكون هناك مجاز في الإسناد؛ لأنَّ فعل الجري إذ ذاك مسند إلى ما هو له فيكون التعبير حقيقياً.

يمكن أن نمثل العدول الحاصل في الآية الكريمة بالمخطط الآتي:



ويكمن السرّ في العدول عن الإسناد الحقيقيّ باتجاه الإسناد المجازيّ إلى تحقيق بعض الدلالات الزائدة والتي تكسب التعبير رونقا لفظياً وجمالاً معنوياً؛ ذلك أنَّ إسناد الجري إلى النَّهْرِ نفسه (المجرى) يدلّ على شدّة جري الماء حتّى يخيّل للنّاظر أنَّ الأخدود هو الذي يجري، وفيه أيضاً دلالة على غزارة هذا الماء الجاري حتّى كأنّ هذا النَّهْرَ كلّهُ قد اكتسب حركة الجري، وما هذا التّركيز على جريان الماء إلا لفائدة جليّة وهي أنَّ "الماء الجاري من النّعمة العظمى واللّذة الكبرى، وأنّ الجنّان والرّياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروقُ

⁽¹⁾ البغوي، معالم التنزيل، ج1، ص94، وينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج1، ص60، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج1، ص60.

⁽²⁾ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص239، وينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص108.

⁽³⁾ ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص177.

الفصل الأول: العدول المجازي

التواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجرى فيها الماء، وإلا كان الأنس الأعظم فائتاً، والسرور الأوفر مفقوداً، وكانت كتماثيل لا أرواح فيها، وصور لا حياة لها⁽¹⁾، وهذا أمر معلوم و"شَيْءٌ اجْتَمَعَ الْبَشَرُ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِ الْمَنَاطِرِ لِأَنَّ فِي الْمَاءِ طَبِيعَةَ الْحَيَاةِ وَلِأَنَّ النَّاطِرَ يَرَى مَنْظَرًا بَدِيعًا وَشَيْئًا لَدِيدًا " (2).

الموضع الثالث: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَتَى بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلْيُسْقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣).

يَحْتَنَّا الله عز وجل في هذه الآية الكريمة على كتابة الدين في السفر، فإن لم نجد كاتباً فليكن ضمان الدين رهناً يأخذه الدائن من المدين، كما يخبرنا بأن نؤدي الأمانة ولا نخونها ونهانا عن كتمان الشهادة عند طلبها؛ لأن من يكتتمها فهو آثم خبيث القلب⁽³⁾.

المجاز العقلي في هذه الآية الكريمة في قوله: (آثم قلبه) وهو مجاز عقلي علاقته السببية، حيث أسند الإثم إلى القلب وإنما الآثم الكاتم (كاتم الشهادة) لأن القلب يسبب ارتكاب الإثم⁽⁴⁾.

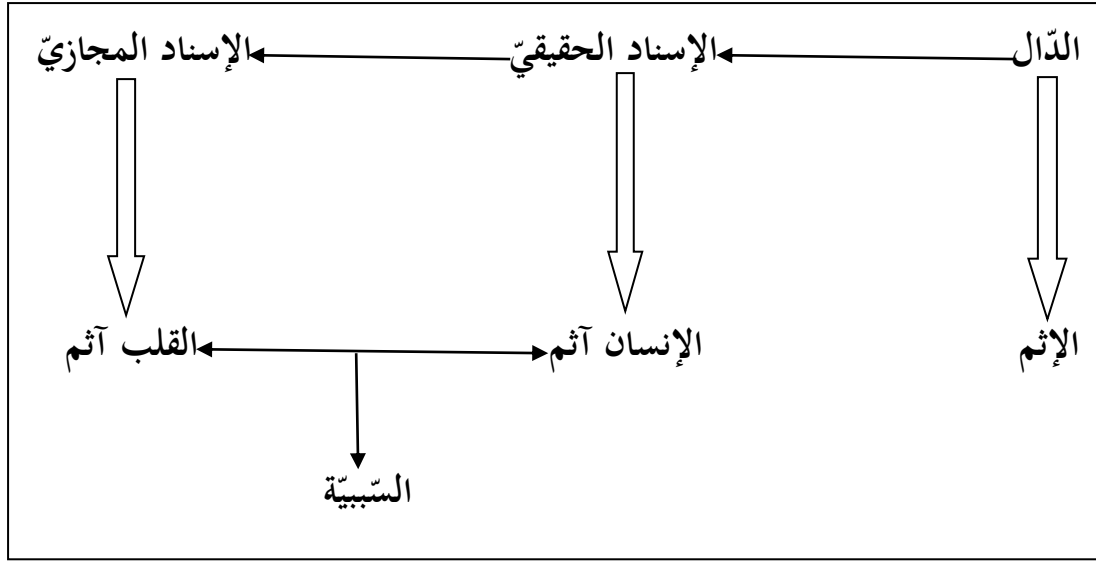
يمكن أن تمثل العدول الحاصل في الآية الكريمة بالمخطط الآتي:

(1) الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 107، وينظر: إسماعيل حقي الإستانبولي، روح البيان، د تح، دار الفكر، بيروت، دط، دت، ج 1، ص 82.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 354.

(3) ينظر: لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص 68.

(4) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص 128.



أما عن السرّ في العدول عن الإسناد الحقيقي إلى الإسناد المجازي فقد تساءل الزّخشي عن السبب في ذلك وأجاب فقال: « فإن قلت: هلا اقتصر على قوله: (فإنّه آثم) ؟ وما فائده ذكر القلب - والجمله هي الآئمة لا القلب وحده - ؟ قلت: كتمان الشهادة: هو أن يضمّرها ولا يتكلّم بها، فلمّا كان إنّما مُقْتَرَفًا بِالْقَلْبِ أُسْنِدَ إِلَيْهِ، لأنّ إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ. ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد: هذا ممّا أبصرتُه عيني، وممّا سمعته أُذني، وممّا عرفه قلبي، ولأنّ القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله، فكأنّه قيل: فقد تمكّن الإثم في أصل نفسه، ومملك أشرف مكان فيه. ولئلا يظنّ أنّ كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط، وليعلم أنّ القلب أصل متعلّقه ومعدن افتراه، واللسان ترجمان عنه. ولأنّ أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها ⁽¹⁾ ».

(1) الزخشي، الكشف، ج1، ص329-330، وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج7، ص102، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج1، ص165، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج2، ص799، والجلالان، تفسير الجلالين، ص63، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص272، وإسماعيل حقي، روح البيان، ج1، ص443، وابن عجيبة، البحر المديد، ج1، ص315.

الفصل الأول: العدول المجازي

يمكن أن نلخص الفوائد الكامنة وراء هذا العدول والتي ذكرها الزمخشري في قوله السابق في ما يأتي:

- 1- تحقيق البلاغة وحصول التوكيد من خلال إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها.
 - 2- القلب رئيس الأعضاء وأصل الجوارح.
 - 3- الذنب المتعلق بالقلب أعظم من الذنوب المتعلقة بالجوارح الأخرى.
- ورد البسيلي على الزمخشري ادّعاءه أنّ كتمان الشهادة من فعل القلب بقوله: « قوله: في الوجه الأوّل: كِتْمَانُ الشَّهَادَةِ من فعلِ القلبِ. يُرَدُّ بأنَّ الكَتَمَ إنما هو من فعلِ اللِّسانِ لَا القلبِ، وإِنَّمَا الَّذِي من فعلِ القلبِ، العلمُ، والجهلُ، والنِّسيانُ، والتَّنَاسِي، والتَّجَاهُلُ، وتجد الشخصَ ذاكراً الشَّهَادَةَ بقلبه ولا ينطقُ بِهَا فَقَدْ كَتَمَهَا »⁽¹⁾.
- وذهب الراغب الأصفهانيّ إلى أنّ إسناد الإثم إلى القلب من أجل المبالغة في الذمّ؛ لأنّ القلب مقرّ البرّ والإثم⁽²⁾.
- وأشار الكيا هراسي إلى أنّ إسناد الإثم إلى القلب مجاز أكّد من الحقيقة في الدلالة على الوعيد⁽³⁾.
- يمكن أن نعيد تلخيص الأسرار الكامنة خلف هذا العدول في الإسناد استناداً إلى أقوال المفسرين في النقاط الآتية:
- التوكيد.
 - المبالغة في الذمّ.
 - الدلالة على الوعيد.

(1) البسيلي (أحمد بن محمد، أبو العباس، 830هـ)، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، تح: عبد الله بن مطلق الطواله، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ-1992م، ج1، ص410.

(2) ينظر: الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب، ج1، ص594.

(3) ينظر: الكيا هراسي، أحكام القرآن، ج1، ص269، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص415.

- بيان منزلة القلب من الجسد.

- تعظيم شأن كتمان الشهادة.

الموضع الرابع: قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢).

المجاز العقلي هنا في قوله: (هدى للمتقين) وهو مجاز عقلي علاقته السببية، حيث أسند الهداية إلى القرآن؛ لأنه سبب الهداية، والهادي في الحقيقة هو الله تعالى (1).

الموضع الخامس: قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٧٤).

المجاز العقلي في الآية الكريمة في قوله: (وإن منها لما يهبط من خشية الله) وهو مجاز عقلي علاقته السببية، حيث أسند الهبوط المقيد بخشية الله إلى الحجارة " وَالْمَرَادُ هُبُوطُ الْقُلُوبِ أَيْ قُلُوبِ النَّاطِرِينَ إِلَى الصُّحُورِ وَالْجِبَالِ أَيْ خُضُوعُهَا فَأَسْنَدَ الْهَبُوطُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا سَبَبُهَا كَمَا قَالُوا نَافَةَ تَاجِرَةً أَيْ تَبَعْتُ مَنْ يَرَاهَا عَلَى الْمُسَاوَمَةِ فِيهَا " (2).

الموضع السادس: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة: ٢٠٠).

المجاز العقلي في هذه الآية الكريمة في قوله: (أو أشد ذكرًا)، وهو مجاز عقلي علاقته المصدرية؛ حيث أسند الذكر إلى الذكر، وتقدير الكلام: (أو ذكرًا أشد ذكرًا)، والأصل أن

(1) ينظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 1، ص 72.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 566، وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 1، ص 115، والشوكاني (محمد بن علي، 1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، مصر، دط، دت، ج 1، ص 214.

الفصل الأول: العدول المجازي

يسند الذكر إلى الذكر، ولكن لما كان المصدر ملابسا للذاكر أصبح كأنه شخص عاقل أجنبي يقوم به (1).

الموضع السابع: قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١).

المجاز العقلي في هذه الآية الكريمة في قوله: (حبة أنبت)، وهو مجاز عقلي علاقته السببية؛ حيث أسند الإنبات إلى الحبة؛ لأنها سبب في ذلك والمنبت في الحقيقة هو الله عز وجل (2).

بعد أن أضحينا الحديث عن المجاز العقلي، والمجاز المرسل الذي ينضوي تحت قسم المجاز اللغوي ورأينا تجليات هذين المجازين في مواضع من سورة البقرة نتقل إلى القسم الثاني من قسمي المجاز اللغوي وهو الاستعارة، والتي أفردناها بفصل مستقل نظرا لأهميتها البالغة وكثرة دوراتها في كلام العرب عامة وفي النظم القرآني خاصة.

(1) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1، ص132، والسمين الحلبي، الدر المصون، ج2، ص338، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج2، ص585، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص209، ومحمود صافي، الجدول في إعراب القرآن، ج2، ص418، ومحبي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج1، ص301.

(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص310، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج1، ص157، والنسفي، مدارك التنزيل، ج1، ص216، وأبو حيان، البحر المحیط، ج2، ص654، والألوسي، روح المعاني، ج2، ص32، ووهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج3، ص41.

الفصل الثاني

العدول الاستعاري

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

سبق وأن عرفنا أن المجاز ينقسم إلى قسمين: عقلي ولغوي، ورأينا أن اللغوي ينقسم أيضاً إلى قسمين: مرسل - وقد مر معنا - واستعارة - وهذا ما سيتم التطرق إليه في هذا الفصل إن شاء الله تعالى - وإنما أفردنا الاستعارة بفصل مستقل لتشعبها وكثرة الكلام فيها وكثرة دوراتها في الكلام العربي.

1- مفهوم الاستعارة

1-1- في اللغة

الاستعارة في اللغة من مادة (ع و ر) وهي مشتقة من العارية والعارة وهو ما تداوله الناس بينهم. وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إيّاه. والمعاورة والتعاور شبه المداولة والتداول في الشيء يكون بين اثنين. قال الأزهري: «ومعنى تعاورت الرياح رسم الدار: تداولته، فمرة تهب جنوباً، ومرة تهب شمالاً، ومرة قبلاً، ومرة دُبوراً»⁽¹⁾.

أما اشتقاقها فتقول فيه: استعار يستعير استعاره فهو مُستعير والمفعول: مُستعار، وشيء مُستعار أي متداول⁽²⁾.

ويبين ابن الأثير سبب تسمية الاستعارة بهذا الاسم فقال: «الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، ج3، ص105، وينظر: ابن منظور (محمد بن مكرم، أبو الفضل، جمال الدين، 711هـ)،

لسان العرب، دتج، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ، ج4، ص618.

(2) ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1574.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

يَسْتَعِيرُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ شَيْئًا؛ إِذْ لَا يَعْرِفُهُ حَتَّى يَسْتَعِيرَ مِنْهُ، وَهَذَا الْحُكْمُ جَارٍ فِي اسْتِعَارَةِ الْأَلْفَافِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَاَلْمَشَارَكَةُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ فِي نَقْلِ الْمَعْنَى مِنْ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ كَالْمَعْرِفَةِ بَيْنَ الشَّخْصَيْنِ فِي نَقْلِ الشَّيْءِ الْمُسْتَعَارِ مِنْ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ⁽¹⁾.

يمكن تلخيص المعاني السابقة في الآتي:

- 1- الاستعارة من مادة (ع و ر) وهي مشتقة من العارية أو العارة والتعاور.
- 2- الاستعارة تقتضي وجود شيئين يحصل بينهما تداول وتبادل.
- 3- الاستعارة لا تكون إلا بين متعارفين تجمع بينهما صلة.
- 4- الاستعارة مصدر صريح وفعلها هو (استعار).

1-2- في الاصطلاح

الاستعارة مجاز لغوي عند أكثر البلاغيين، وهي من أوائل فنون التعبير الجميلة في اللغة العربية⁽²⁾ مما جعلها تنال حظًا وافرا من العناية والدراسة فذكروا لها تعريفات متعددة ومتباينة على مرّ العصور واختلاف الثقافات، وسنعرض لبعضها بإيجاز.

عرّفها الجاحظ عندما كان بصدد التعليق على قول الشاعر:

وَطَفِقْتُ سَحَابَةً تَغْشَاهَا تَبْكِي عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا⁽³⁾

فقال: « وَجَعَلَ الْمَطَرُ بُكَاءً مِنَ السَّحَابِ عَلَى طَرِيقِ الاسْتِعَارَةِ، وَتَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ غَيْرِهِ إِذَا قَامَ مَقَامَهُ »⁽⁴⁾.

(1) ابن الأثير، المثل السائر، ج 1، ص 347.

(2) ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ص 82.

(3) البيت من الرجز، ولم نقف على تحريجه.

(4) الجاحظ (عمرو بن بحر، أبو عثمان، 255هـ)، البيان والتبيين، تح: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت،

دط، 1423 هـ، ج 1، ص 142.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

نلاحظ أنّ الجاحظ قد اقتصر في تعريفه للاستعارة على المدلول اللغويّ الذي تشير إليه القائم على التّداول والتّبادل، فتسمية الشيء باسم غيره عبارة عن تداول وتناوب في التّسمية.

وعرّفها الرّماني فقال: «الاستعارة تعليقُ العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللّغة على جهة النّقل للإبانة»⁽¹⁾.

إنّ في تعريف الرّمانيّ إشارة إلى الخروج عن أصل وضع الكلمة في اللّغة، وذكرنا للفائدة المترتبة عن نقل العبارة من معناها الذي وضعت له في أصل اللّغة إلى المعنى الآخر المجازي، وهذه الفائدة هي الإبانة أي الإيضاح والبيان.

وغير بعيد عن تعريف الرّماني تعريف أبي هلال العسكري لها حيث قال: «الاستعارة: نقلُ العبارة عن موضع استعمائها في أصل اللّغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى وفصل الإبانة عنه، أو تأكيدُه والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسينِ المعرض الذي يبرز فيه»⁽²⁾.

نلاحظ أنّ أبا هلال العسكري لم يزد على تعريف الرّمانيّ إلا في الأغراض المتوخّاة من نقل العبارات عن أصلها إلى المعاني المجازيّة، ويمكن تلخيص هذه الأغراض في الأمور الآتية:

1- شرح المعنى وتوضيحه والإبانة عنه.

2- تأكيدُه في نفس السّامع والمبالغة فيه.

(1) الرماني (علي بن عيسى، أبو الحسن، 384هـ)، النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ص82.

(2) العسكري (أبو هلال، الحسن بن عبد الله، 395هـ)، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البحايي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، ط1، 1998م-1419هـ، ص268.

3- تحقيق الإيجاز الحاصل من الإشارة إلى المعنى بالقليل من اللفظ.

4- ظهور المعاني في حلة أنيقة وصورة حسنة.

لم تخرج التعريفات التي ذكرنا عن مجرد بيان نقل العبارة عن أصلها الذي وضعت له في أصل اللغة إلى معنى آخر غير موضوعه له في الأصل مع بيان بعض الأغراض من هذا النقل، وهذا فاسد - كما ذكر صاحب كتاب الطراز - من وجوه ثلاثة:

1- يلزم من هذه التعريفات أن يكون كل مجاز من باب الاستعارة وهو خطأ.

2- يلزم عليها أن تكون الأعلام المنقولة يدخلها المجاز، وتكون من نوع الاستعارة وهو باطل، فإن المجازات لا تدخلها فضلاً عن الاستعارة.

3- يلزم منها أننا لو وضعنا اسم السماء على الأرض، أن يكون مجازاً، وهذا باطل لا يقول به أحد⁽¹⁾.

ثم جاء عبد القاهر الجرجاني وذكر فصلاً في اللفظ يطلق ويراد به غير ظاهره⁽²⁾، وهو يقصد المجاز والكناية والاستعارة، وأشار إلى أن لهذا الضرب اتساعاً وتفناً⁽³⁾.

وعند حديثه عن المجاز ذكر أن الناس قد عوّلوا في حدّه على حديث النقل، وأنّ كلّ لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز⁽⁴⁾، لكنّه آثر أن يقتصر على ما هو أشهر وأظهر ليخلص به الحديث إلى الاستعارة، وهناك نرى أنّه جاء بشيء جديد وفكرة حديثة عن مفهوم

(1) ينظر: العلوي (يحيى بن حمزة، المؤيد بالله، 745هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية - بيروت، ط1، 1423 هـ، ج1، ص104-105، وأحمد الصاوي، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين دراسة تاريخية فنية، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1988م، ص130.

(2) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص66.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص66.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص66.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

الاستعارة حيث قال: «فَلَا سِتْعَارُهُ: أَنْ تُرِيدَ تَشْبِيهَ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، فَتَدْعَ أَنْ تُفْصَحَ بِالتَّشْبِيهِ وَتُظْهِرَهُ، وَتُجَيَّءَ إِلَى اسْمِ الْمَشَبَّهِ بِهِ فَتُغَيِّرَهُ الْمَشَبَّهَ وَتُجَرِّبَهُ عَلَيْهِ» (1).

الشَّيْءُ الجديد الَّذِي ذكره الجرجانيّ هو العلاقة الَّتِي تربط بين المعنى الأصليّ والمعنى المجازيّ وهي المشابهة أي إنّ الاستعارة قائمة على التشبيه، ويدلّك على ذلك ما مثل به الجرجاني حيث قال: «تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ: "رَأَيْتُ رَجُلًا هُوَ كَالْأَسَدِ فِي شَجَاعَتِهِ وَقُوَّةِ بَطْشِهِ سَوَاءً"، فَتَدْعُ ذَلِكَ وَتَقُولُ: "رَأَيْتُ أَسَدًا"» (2).

ونلاحظ أنّ تعريف الجرجانيّ -الَّذِي مَرَّ آنفاً- للاستعارة في كتابه دلائل الإعجاز يختلف عن تعريفه إيّاها في كتابه أسرار البلاغة، حيث عرّفها بقوله: «اعْلَمْ أَنَّ الاسْتِعَارَةَ فِي الْجُمْلَةِ أَنْ يَكُونَ لِلْفِظِ أَصْلٌ فِي الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ مَعْرُوفٌ تَدُلُّ الشَّوَاهِدُ عَلَى أَنَّهُ اخْتُصَّ بِهِ حِينَ وُضِعَ، ثُمَّ يَسْتَعْمِلُهُ الشَّاعِرُ أَوْ غَيْرُ الشَّاعِرِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْأَصْلِ، وَيُنْقَلُ إِلَيْهِ نَقْلًا غَيْرَ لَازِمٍ، فَيَكُونُ هُنَاكَ كَالْعَارِيَّةِ» (3).

إنّ هَذَا التّعريف تعريف سطحيّ لا يختلف عن تعريف الرّمانيّ والعسكريّ ونستطيع أن نرجّح هنا أنّ أسرار البلاغة سابق في التّأليف لدلائل الإعجاز، ومعلوم أنّ الباحثين مختلفون في هذه المسألة اختلافا كبيرا (4).

وبعد الجرجانيّ سار علماء البلاغة على نهجه في حدّ الاستعارة، ومن أبرزهم السّكاكيّ حيث عرفها بقوله: «هِيَ أَنْ تَذْكُرَ أَحَدَ طَرَفِي التَّشْبِيهِ وَتُرِيدَ بِهِ الطَّرْفَ الْآخَرَ مَدْعِيًّا دُخُولَ الْمَشَبَّهِ فِي جِنْسِ الْمَشَبَّهِ بِهِ دَالًّا عَلَى ذَلِكَ بِإِثْبَاتِكَ لِلْمَشَبَّهِ مَا يُخْصُّ الْمَشَبَّهَ بِهِ» (5).

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 67.

(2) المصدر نفسه، ص 67.

(3) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 30.

(4) ينظر: أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 1، 1393هـ-1973م، ص 29.

(5) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 369.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

ثم جاء القزويني وعرفها بتعريف مشابه لتعريف السكاكي حيث جعلها الضرب الثاني من المجاز، وعرفها بأنها " مَا كَانَتْ عَلاَقَتُهُ تَشْبِيهُ مَعْنَاهُ بِمَا وُضِعَ لَهُ " (1).

وعلى هذا درج علماء البلاغة المحدثون فقد عرفها الهاشمي بقوله: « هِيَ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ لِعِلَاقَةٍ (المشابهة) بَيْنَ الْمَعْنَى الْمُنْقُولِ عَنْهُ وَالْمَعْنَى الْمُسْتَعْمَلِ فِيهِ، مَعَ (قَرِينَةٍ) صَارِفَةٍ عَنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ » (2).

نلاحظ أنه لا بدّ من وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، والقرينة عند البلاغيين هي الأمر الذي تجعله دليلاً يصرف ذهنك إلى أنّ المراد باللفظ غير ما وضع له في الأصل (3)، وهي إمّا مقالية أي لفظية، أو غير ذلك أي حالية تفهم من السياق (4).

بناء على ما سبق يشترط في الاستعارة وجود خمسة أركان :

1-المستعير.

2-المستعار منه.

3-المستعار له.

4-العلاقة.

5-القرينة (5).

(1) الخطيب القزويني، الإيضاح، ص212.

(2) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص258، وينظر: المراغي، علوم البلاغة، ص259، وعبد الرحمن بن حبنكة، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ-1996م، ج2، ص229.

(3) ينظر: شمس الدين الكرماني (محمد بن يوسف، 786 هـ)، تحقيق الفوائد الغيائية، تح: علي بن دخيل الله العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1424 هـ، ج2، ص680-681، وأحمد الحمالوي، زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، المطبعة الأميرية، بولاق - مصر، ط1، 1905م، ص102.

(4) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، دط، 1405 هـ - 1982م، ص175، وفضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط12، ص190.

(5) ينظر: عبد الله الفرهاوي، أحسن الصياغة في حلية البلاغة، ص16.

2- أقسام الاستعارة

للاستعارة أقسام عديدة؛ ذلك أنّ التقسيم يختلف باختلاف الاعتبار الذي اعتمد في أثناء التقسيم، فأحيانا نقسم باعتبار ذكر طرفي الاستعارة أو حذفهما، وأحيانا نقسم باعتبار جمود اللفظ المستعار واشتقاقه، وأحيانا باعتبار الجامع وهلّ جراً، ولكن حتى نتجنب كثرة التقسيمات سنتطرق إلى ما اشتهر منها في كتب البلاغة.

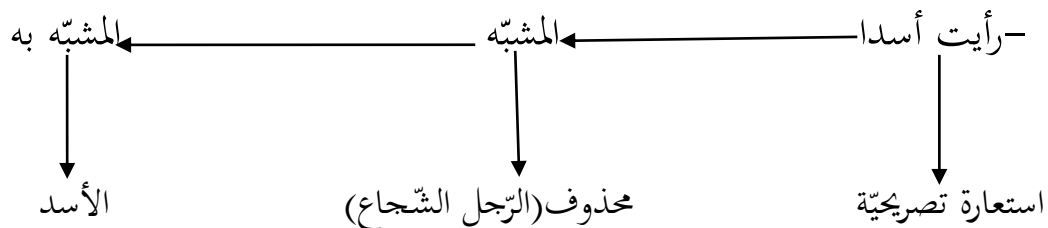
2-1- تقسيم الاستعارة باعتبار ما يُذكر من الطرفين

قسم علماء البلاغة باعتبار الطرفين إلى قسمين: تصريحية ومكنية، والمقصود بالطرفين: المشبه والمشبه به أو المستعار له والمستعار منه، ويعدّ هذا التقسيم بهذا الاعتبار أشهر تقسيم وعليه المعول في مدارسنا العربية ولهذا سنعتمد عليه في الجانب التطبيقي إن شاء الله تعالى.

2-1-1- الاستعارة التصريحية

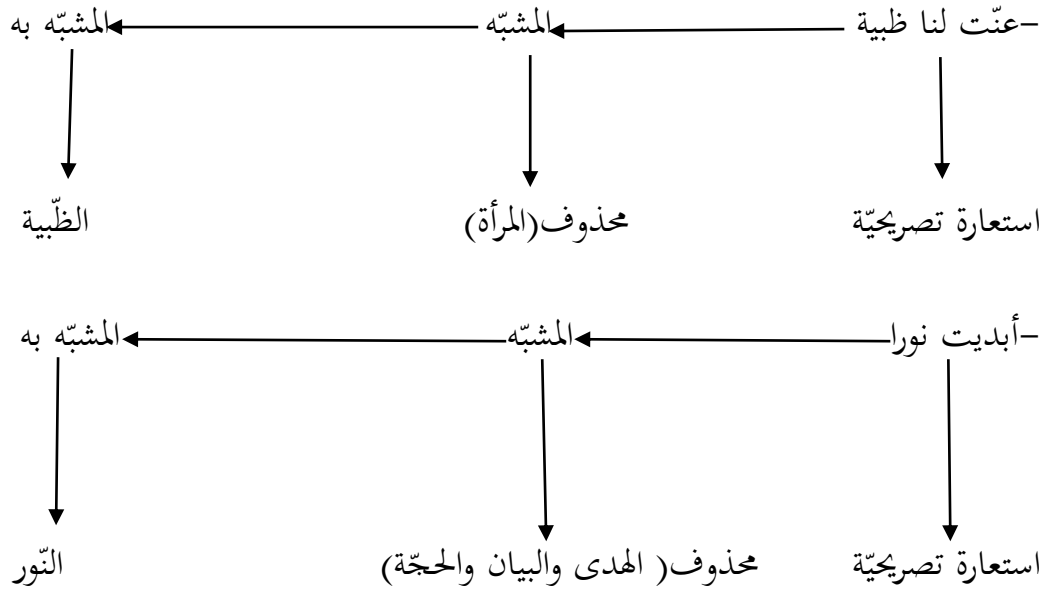
وهي التي صرّح فيها بلفظ المشبه به (المستعار منه) دون المشبه (المستعار له)، وقد عرفها الجرجاني ورأى بأنها نقل الاسم " عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه، وتجعله متناولاً له تناوّل الصفة مثلاً للموصوف، وذلك قولك رأيت أسداً وأنت تعني رجلاً شجاعاً وعنت لنا ظبية وأنت تعني امرأة وأبديت نوراً وأنت تعني هدىً وبياناً وحجّةً وما شاكل ذلك" (1).

نلاحظ من تمثيل الجرجاني حذف المشبه وذكر المشبه به على النحو الآتي:



(1) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص44، وينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص373.

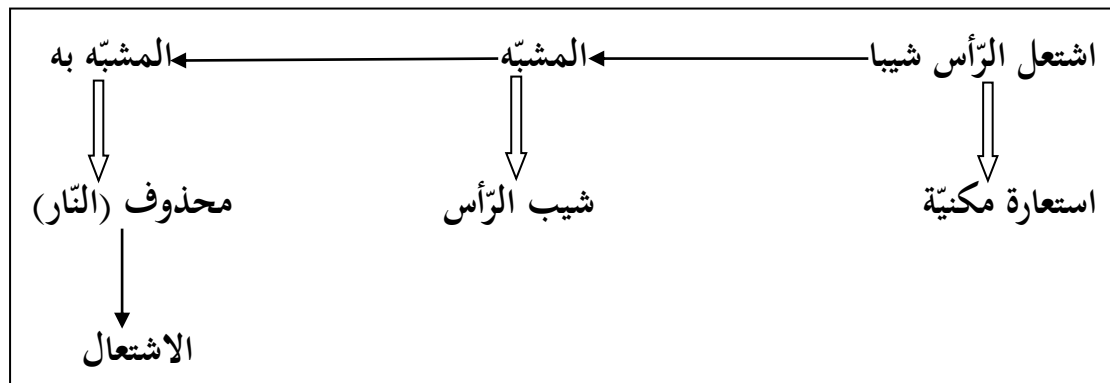
الفصل الثاني: العَدُولُ الاستعاريّ



2-1-2- الاستعارة المكنية

وهي ما حذف فيها المشبّه به ورُمزَ له بشيء من لوازمه، وقد أشار إليها الجرجاني بقوله: «أَنْ يُؤْخَذَ الاسمُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَيُوضَعَ مَوْضِعاً لَا يُبَيَّنُ فِيهِ شَيْءٌ يُشَارُ إِلَيْهِ فَيَقَالُ: هَذَا هُوَ الْمَرَادُ بِالاسْمِ وَالَّذِي اسْتُعِيرَ لَهُ، وَجُعِلَ خَلِيفَةً لاسْمِهِ الْأَصْلِيِّ وَنَائِباً مَنَابَهُ»⁽¹⁾.

ومن أمثلة الاستعارة المكنية قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم: ٤)، حيث شبه الشيب بالنار في البياض والانبساط ثم حذف المشبّه به وهو النار وأبقى على شيء من لوازمه وهو الاشتعال كما في المخطط الآتي:



⁽¹⁾ الجرجاني، أسرار البلاغة، ص44-45، وينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص373، وابن الزملاكي (عبد الواحد بن عبد الكريم، 651هـ)، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، تح: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، لبنان، ط1، 1383هـ-1964م، ص41، وعبد الله الفرهاوي، أحسن الصياغة في حلية البلاغة، ص14، وأحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص260.

ومن الأمثلة التي مثل بها الجرجاني قول الشاعر:

وَعْدَاةٌ رِيحٌ قَدْ كَشَفَتْ وَقِرَّةٌ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زَمَامُهَا⁽¹⁾

حيث استعار لريح الشمال يدا وللعداة زماما فشبه الشمال بإنسان والعداة بالناقة ثم حذف المشبه به في كل منهما وهو الإنسان والناقة وأبقى على شيء من لوازمهما وهي اليد والزمام.

ويرى الجرجاني أنّ الاستعارة التصريحية أسهل وأكثر عفوية من المكنية، ومرّد ذلك عنده إلى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة⁽²⁾.

فالتشبيه في الاستعارة التصريحية إذا نظرت إليه " وجدته يأتيك عفواً، كقولك في رأيت أسداً رأيت رجلاً كالأسد أو رأيت مثل الأسد أو شبيهاً بالأسد " ⁽³⁾.

أمّا إذا نظرت إليه في الاستعارة المكنية " وجدته لا يؤاتيك تلك المؤاتاة ... وإنما يتراءى لك التشبيه بعد أن تحرق إليه سِتْراً، وتعمل تأملاً وفكراً، وبعد أن تُغيّر الطريقة، وتخرج على الحدو الأول " ⁽⁴⁾.

(1) البيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري (41هـ) رضي الله عنه في ديوانه، تح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1425 هـ - 2004 م، ص114 والرواية: (وعداة ريح قد وزعت وقرة....)، وينظر: القرشي (أبو زيد، محمد بن أبي الخطاب، 170هـ)، جمهرة أشعار العرب، تح: علي محمد البجادي، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، دت، ص261، وأبو بكر الأنباري (محمد بن القاسم، 328هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992 م، ج1، ص199، والآمدي (أبو القاسم، الحسن بن بشر، 370 هـ)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دت، ج1، ص15، والعسكري، الصناعتين، ص285،

(2) ينظر: الجرجاني، أسرار البلاغة، ص47.

(3) المصدر نفسه، ص47.

(4) المصدر نفسه، ص47.

2-2- تقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار

النظر في هذا التقسيم إلى اللفظ المستعار من حيث الجمود والاشتقاق، والاستعارة بحسب هذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين: أصلية وتبعية.

2-2-1- الاستعارة الأصلية

وهي "ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس، يدل على واحد غير معين من جنسه سواء كان اسم عين كالأسد والثعلب والبحر والعيث والسهم، أو اسم معنى وهو المصارف كالقتل والنوم واليقظة" (1).

ويدخل في قسم الاستعارة الأصلية اسم الجنس المؤول ويقصد به الأعلام التي اشتهرت بنوع من الوصف كحاتم الذي اشتهر بالكرم فكأنه لشهرته بتلك الصفة صار اسم جنس (2).

ومن أمثلة الاستعارة الأصلية استعارتهم البدر للرجل الجميل كقولنا: (صافحت البدر)، فالبدر في هذا المثال اسم جنس جامد.

إنّ النظر في الاستعارة الأصلية يكون متوجّها نحو المستعار سواء أكان له أم منه، ومعنى هذا أنّ الاستعارة الأصلية قد تكون تصريحية وقد تكون مكنية (3).

وسميت هذه الاستعارة أصلية لأنها أكثر وجوداً في الكلام (4)، ولعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبر (5).

(1) بسيوني عبد الفتاح، علم البيان، ص 177.

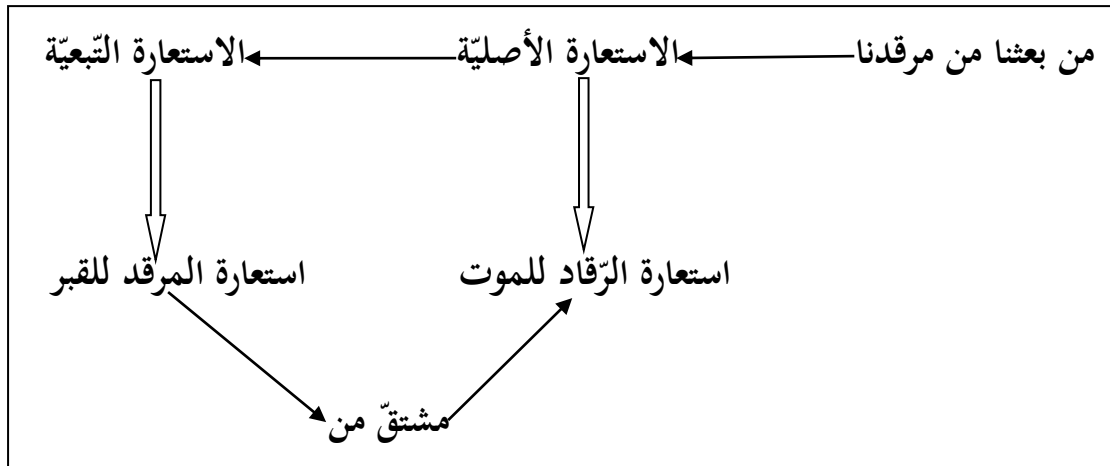
(2) ينظر: بسيوني عبد الفتاح، علم البيان، ص 177، والسيد جعفر باقر، أساليب البيان في القرآن، ص 550.

(3) ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 264.

(4) ينظر: بسيوني عبد الفتاح، علم البيان، ص 178.

(5) ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 264.

وهي ما كان اللفظ المستعار فيها اسماً مشتقاً أو فعلاً أو حرفاً⁽¹⁾، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوايَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ (يس: ٥٢). فالمرقد اسم مكان استعير للقبر بجامع خفاء الأثر في كلٍّ، ثم اشتقَّ من الرقاد - بمعنى الموت - مَرَقَد بمعنى مكان الموت (القبر)⁽²⁾.
أما عن سبب تسميتها بالتَّبعية فلأنَّها تابعة لاستعارة أخرى في المصدر؛ لأنَّ الاستعارة تعتمد على التشبيه والتشبيه يعتمد كونه المشبه موصوفاً، والأفعال والأسماء المشتقة منها بمعزل عن أن توصف⁽³⁾؛ إذ هي جارية على المصادر كما أنَّ معاني الحروف جزئية لا تُتصوَّر الاستعارة فيها إلَّا بواسطة كليٍّ مستقلٍّ بالمفهومية، فلا بدَّ من إجراء التشبيه أولاً في متعلِّق معاني الحروف ثمَّ تتبعها الاستعارة في المعاني الجزئية⁽⁴⁾.
ولتوضيح ذلك أكثر نعود إلى المثال، حيث نجد أنَّ الاستعارة التَّبعية تابعة لاستعارة أصليَّة في المصدر على النحو الآتي:



(1) ينظر: محمد بن علي الجرجاني (729هـ)، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا- مصر، دط، 1418هـ-1997م، ص200، والمراغي، علوم البلاغة، ص274، وبسيوني عبد الفتاح، علم البيان، ص179، والسيد جعفر باقر، أساليب البيان في القرآن، ص556.

(2) ينظر: المراغي، علوم البلاغة، ص275.

(3) ينظر: السيد جعفر باقر، أساليب البيان في القرآن، ص556.

(4) ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص266، والمراغي، علوم البلاغة، ص276.

2-3- تقسيم الاستعارة باعتبار اجتماع الطرفين

تقسم الاستعارة باعتبار اجتماع الطرفين في شيء واحد وعدم اجتماعهما إلى قسمين: استعارة وفاقية واستعارة عنادية.

2-3-1- الاستعارة الوفاقية

وهي التي يمكن اجتماع طرفيها (المشبه والمشبّه به) في شيء واحد لما بينهما من التوافق⁽¹⁾ مثل قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (البقرة: ١٠)، حيث استعير المرض للتفاق، وأنت ترى أنّ بين المستعار له (المشبه) والمستعار منه (المشبه به) توافق؛ لأنّه يمكن اجتماعهما في شيء واحد، فالمرض والتفاق قد يجتمعان في قلب الإنسان⁽²⁾.

2-3-2- الاستعارة العنادية

وهي التي لا يمكن أن يجتمع طرفاها في شيء واحد لتعاندهما أي تنافيهما⁽³⁾، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ (النمل: ٨٠)، حيث استعير لفظ الموتى للكفرة الأحياء ومعلوم أنّ الكفر والموت لا يجتمعان في شيء واحد⁽⁴⁾.

2-4- تقسيم الاستعارة باعتبار الملائم

تقسم الاستعارة باعتبار اقترانها بما يلائم المستعار منه أو المستعار له أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام: مرشحة ومجردة ومطلقة.

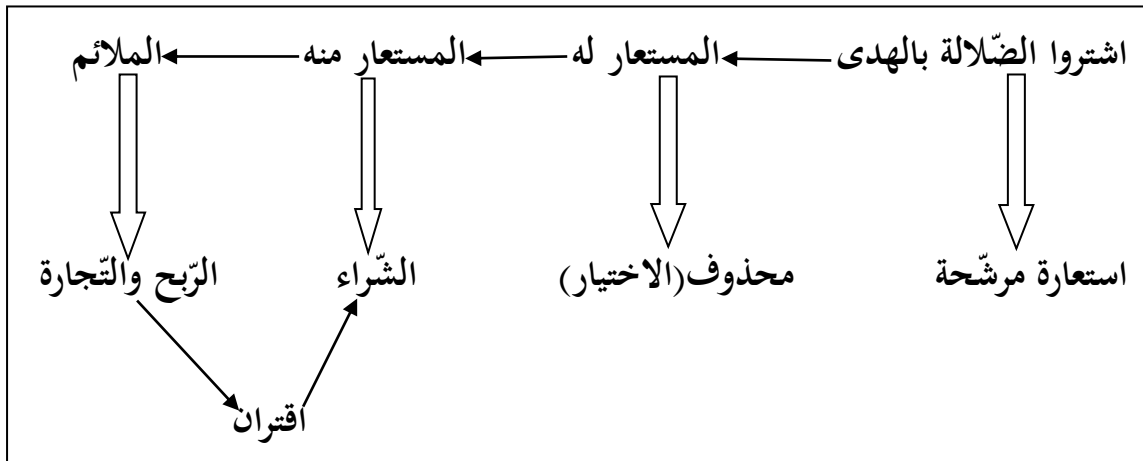
(1) ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 268، والمراغي، علوم البلاغة، ص 266.

(2) ينظر: بسيوني عبد الفتاح، علم البيان، ص 185.

(3) ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 268.

(4) ينظر: بسيوني عبد الفتاح، علم البيان، ص 186.

وهي الاستعارة المقرونة بما يلائم المستعار منه (المشبه به) بعد استيفائها للقرينة لفظيةً كانت أو حاليةً ⁽¹⁾ مثل قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٦)، حيث استعير الشراء للاستبدال والاختيار بجامع الحصول على أفضل الفائدة، ونحن نرى أنّ الاستعارة استوفت القرينة اللفظية (الضلالة) التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي، ولو تأملنا هذه الاستعارة لوجدنا أنّها قرّنت بما يلائم المشبه به (الشراء) وهذا الملائم هو ذكر الربح والتجارة ⁽²⁾.



وهي الاستعارة المقرونة بما يلائم المشبه به بعد استيفائها للقرينة ⁽³⁾ مثل قوله تعالى: ﴿فَاذْذُقْهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ (النحل: ١١٢) ففي هذه الآية استعارتان:

⁽¹⁾ ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 272، والمراغي، علوم البلاغة، ص 277، محمد شعبان، من بلاغة القرآن، ص 223، ومحمد فاضلي، دراسة ونقد في مسائل بلاغية، مؤسسة مطالعات وتحقيقات، طهران، دط، 1365هـ، ص 295.

⁽²⁾ ينظر: السيد جعفر باقر، أساليب البيان في القرآن، ص 587، ومحمد شعبان، من بلاغة القرآن، ص 223.

⁽³⁾ ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 272، والمراغي، علوم البلاغة، ص 277، ومحمد فاضلي، دراسة ونقد في مسائل بلاغية، ص 296.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

الأولى: استعارة الإذاقة -وهي في حقيقتها إحساس اللسان بأحوال الطعم- للإحساس بالألم والأذى.

والثانية: استعارة اللباس -وهو في حقيقته الشيء الذي يلبس- لما يغشى ويحيط بالإنسان من الجوع والخوف⁽¹⁾.

نلاحظ أنّ المشبه في الاستعارة الأولى وهو الإحساس بالألم والأذى يلائمه المشبه في الاستعارة الثانية وهو إحاطة الجوع والخوف وملازمتها، وبما أنّ المشبه قد قرن بما يلائمه فهي استعارة مجرّدة.

2-4-3- الاستعارة المطلقة

وهي الاستعارة التي لم تقترن بما يلائم المستعار له ولا المستعار منه، أو اقترنت بما يلائمهما معا⁽²⁾.

انطلاقاً من التعريف نلاحظ أنّ الاستعارة المطلقة تكون على شكلين:

الأول: خلّوها من الملائم مطلقاً، أي لا تقترن بما يلائم المستعار له والمستعار منه، مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۖ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥)، فقوله: (اشتروا الضلالة بالهدى) استعارة قرنت بقوله: (ما أصبرهم على النار) وهذا لا يلائم المستعار له والمستعار منه.

الثاني: اقترانها بما يلائم كلاً من المستعار له والمستعار منه، فهي استعارة جامعة للمرشحة والمجرّدة في آنٍ واحد، وهذا مما يؤدي إلى تعارضهما وسقوطهما فكأنّها لم تقترن بشيء⁽³⁾ وهذا مثل قول زهير:

⁽¹⁾ ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 14، ص 306-307.

⁽²⁾ ينظر: المراغي، علوم البلاغة، ص 278.

⁽³⁾ ينظر: السيد جعفر باقر، أساليب البيان في القرآن، ص 393.

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ لَهُ لِبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ⁽¹⁾

ففي هذا البيت استعار الأسد للرجل الشجاع ثم أردفه بما يلائم المستعار له (الرجل الشجاع)، وبما يلائم المستعار منه (الأسد).

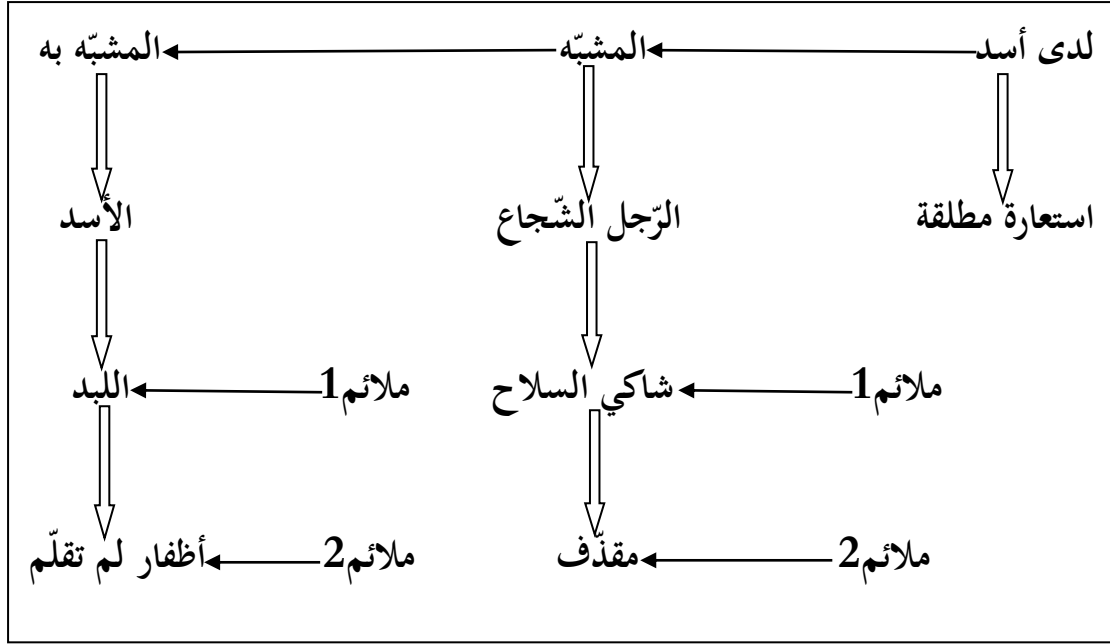
-قوله: (شاكِي السَّلَاحِ) تجريد؛ لأنّه من ملائمت المشبّه (الرجل الشجاع)، و(له لبْد) ترشيح؛ لأنّه من ملائمت المشبّه به (الأسد).

-وقوله (مُقَدِّفٍ) فإن أريد به المقذوف باللحم كناية عن الضخامة لم يكن تجريدا ولا ترشيحا؛ ملأه لئلا يكلّ منهما، وإن أريد به الذي يقذف بنفسه في المعارك فهو تجريد لأنّه ملائم للمشبّه.

-وقوله: (أظفاره لم تقلّم) ترشيح؛ لأنّ الأسد الحقيقي هو الذي ليس من شأنه تقليم الأظفار⁽²⁾.

(1) البيت من الطويل وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه، تح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1408هـ - 1998م، ص108، والسجستاني (أبو حاتم، سهل بن محمد، 248هـ)، الفرق، تح: حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 37، 1406 هـ - 1986 م، ص230، والسرقي (قاسم بن ثابت، أبو محمد، 302هـ)، الدلائل في غريب الحديث، تح: محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1422 هـ - 2001 م، ج2، ص490، وابن دريد (أبو بكر، محمد بن الحسن، 321هـ)، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1987م، مادة (ق ل م)، ج2، ص974، وابن قتيبة (أبو محمد، عبد الله بن مسلم، 276هـ)، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، دط، 1423هـ، ج1، ص201، و أبو الفتح العباسي (عبد الرحيم بن عبد الرحمن، 963هـ)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت، دط، دت، ص151، والبغدادي (عبد القادر بن عمر، 1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ - 1997م، ج3، ص16.

(2) ينظر: المراغي، علوم البلاغة، ص278، وحامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، دط، دت، ج1، ص115.



وتجدر الإشارة إلى أنّ الاستعارة المرشحة أبلغ وأقوى من الاستعارة المطلقة والمجردة لاشتغالها على تقوية المبالغة وكمالها لأنّ مبنى الاستعارة " على تناسي التشبيه وادّعاء أنّ المشبه هو المشبه به، لا شيء سواه، والترشيح الذي هو ذكر ملائم المشبه به إمعان في هذا التناسي وغلوّ في دعوى الاتحاد، وكأنّ ليس هناك استعارة حتّى إنّك لتجد الشاعر أو الناثر يمعن في إنكارها، ويخيّل للسامع أنّ الأمر محمول على حقيقته" (1).

كما أنّ المطلقة تلي المرشحة في القوة، وتبقى المجردة في المرتبة الدّنيا؛ لاشتغالها على ما يلائم المشبه وهو يتعارض مع ما تقتضيه الاستعارة من تناسي التشبيه (2).

2-5- تقسيم الاستعارة باعتبار الأفراد والتّركيب

تقسّم الاستعارة باعتبار كونها مفردة أو مركّبة إلى قسمين: استعارة مفردة واستعارة تمثيلية.

(1) حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، ج1، ص117.

(2) ينظر: المراغي، علوم البلاغة، ص279، وحمد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، ج1، ص117.

2-5-1- الاستعارة المفردة

وهي ما كان فيها المستعار لفظاً مفرداً كما هي الحال في الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية، فهي تجري على المستعار له والمستعار منه مفردين مع كون وجه الشبه أيضاً مفرداً⁽¹⁾.

2-5-2- الاستعارة التمثيلية

سمّاها الجرجاني بالتمثيل على حدّ الاستعارة وضرب لها أمثلة فقال: «وأما التمثيل» الذي يكون مجازاً لجيئك به على حدّ الاستعارة، فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه: "أراك تُقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى" فالأصل في هذا: أراك في تردّدك كمن يُقدّم رجلاً ويؤخّر أخرى، ثم اختصر الكلام، وجعل كأنه يُقدّم الرجل ويؤخّرها على الحقيقة... وتقول للرجل يُعمل الحيلة حتى يُميل صاحبه إلى الشيء قد كان يابأه ويمتنع منه: "ما زال يقتل في الذروة والغارب"⁽²⁾ حتى بلغ منه ما أراد، فتجعل بظاهر اللفظ كأنه كان منه قتل في ذروة وغارب، والمعنى على أنه لم يزل يزفّق بصاحبه رفقاً يشبه حاله فيه حال الرجل يجيء إلى البعير الصعب فيحكّه ويفتل الشعر في ذروته وغاربه، حتى يسكن ويستأنس⁽³⁾.

وسمّى القزويني هذا النوع من الاستعارة بالمجاز المركّب⁽⁴⁾، وقال في شرح مثال: "أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى": «شبه صورة تردّده في المبايعة بصورة تردّد من قام ليذهب في أمر فتارة يريد الذهاب فيقدّم رجلاً، وتارة لا يريد فيؤخّر أخرى»⁽⁵⁾.

(1) ينظر: السيد جعفر باقر، أساليب البيان في القرآن، ص 616.

(2) الذروة: أعلى الجبل، والغارب: ما بين سنام البعير وعنقه.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 68-69.

(4) ينظر: القزويني، الإيضاح، ص 231.

(5) المصدر نفسه، ص 231.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

وسميت هذه الاستعارة تمثيلية لجريان التشبيه فيها بين الهيئات المركبة من متعدد⁽¹⁾، أو لبيان عظم شأنها كأنّ غيرها ليس فيه تمثيل أصلاً إذ الاستعارة التمثيلية مبنية على تشبيه التمثيل ووجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، ولهذا صارت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات وأدقّها⁽²⁾.

وترجع دقة هذه الاستعارة إلى أنّك "تعمدُ إلى صورتين مركبتين من أجزاء عدّة فتحاول الرّبط بينهما، وتحصر جهات اتّحادهما وتشبّه إحداها بالأخرى فلا يخفى ما أنت محتاج إليه في المهارة حينئذ، كما لا ينكر الأثر الذي تراه في مخاطبك إذا أدليت إليه في معرض كلامك بمثل، فكم تجد لديه من الأريحية، وكيف يغني إيجاز المثل عن الشرح والإسهاب"⁽³⁾.

وإذا فشت الاستعارة التمثيلية، وكثر استعمالها سميت "مثلاً" والمثل يراعى فيه المعنى الذي ورد فيه أولاً، فيخاطب به المفرد والمثنى والجمع، مذكراً، أو مؤنثاً من غير تغيير في أصل العبارة مثل المثل المشهور: "الصَّيْفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ"⁽⁴⁾ بكسر تاء الفاعل، فقد ورد في امرأة، ثم

(1) ينظر: حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، ج1، ص145.

(2) ينظر: السيد جعفر باقر، أساليب البيان في القرآن، ص617.

(3) المراغي، علوم البلاغة، ص288.

(4) ينظر: المفضل الضبي (المفضل بن محمد، 168هـ)، أمثال العرب، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط2، 1403هـ - 1983م، ص51، القاسم بن سلام (أبو غنيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، 224هـ)، الأمثال، تح: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1400هـ - 1980م، ص247-248، والعسكري (أبو هلال، الحسن بن عبد الله، 395هـ)، جبهة الأمثال، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر - بيروت، ط2، 1988م، ج1، ص575-576، والهاشمي (زيد بن عبد الله، أبو الخير، بعد 400هـ)، الأمثال، تح: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1423هـ، ص96، والبكري (أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، 487هـ)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1971م، ص357-358، والميداني (أبو الفضل، أحمد بن محمد، 518هـ)، مجمع الأمثال، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، دط، دت، ج2، ص68.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

شاع استعماله وذاع، حتّى صار مثلاً يضرب لمن فرط في تحصيل شيء وقت إمكان تحصيله، ثمّ طلبه في زمن يتعدّر فيه تحصيله.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبّهت هيئة من فرط في شيء وقت إمكان تحصيله، ثم طلبه في وقت يتعدّر الحصول عليه فيه، بهيئة امرأة تركت زوجها، ثم أتت إليه بعد فراقها تطلب اللبن منه، والجامع الهيئة الحاصلة من التفریط في شيء وقت إمكانه، وطلبه وقت تعدّره، ثمّ استعير المركّب الموضوع للمشبه به للمشبه، بعد التّناسي والادّعاء على سبيل الاستعارة التّمثيلية، والقرينة حالية إذ إنّ حالة المقول فيه المثل على غير ما يدلّ عليه اللفظ وضعاً⁽¹⁾.

⁽¹⁾ ينظر: حامد عوني، المنهاج الواضح في البلاغة، ج 1، ص 146.

3- الاستعارة في سورة البقرة

لا شكّ في أنّ الاستعارة فنّ بديع من فنون القول، ومجال من مجالات الافتنان والإبداع حيث يمتطي الأديب متن الألفاظ ويخلق بها في آفاق الخيال متجاوزا مجالات الوضع اللغويّ ليفترع من الصّور ما يلبس به الألفاظ معانيّ جديدةً، ويقترض للمعاني ألفاظا تأبأها قيود الوضع اللغويّ، فهو بحقّ مجال تتكاثر فيه مفردات اللغة ويتحوّل اللفظ الواحد بين يدي الحاذق الأريب في صناعة الكلام إلى معدن يحيله أشكالا مختلفة ويكسوه حللا متباينة الألوان والأصباغ⁽¹⁾.

وإذا كانت الاستعارة مبنية على التشبيه و" كانت تشبيهات القرآن قد تميّزت بخصائص بديعة في التصوير البياني... فإنّ هذه الخصائص البيانية ميّرت كذلك استعارات القرآن، إذ خاطبت الإنسان بأسلوب بلاغيّ بديع لتخرجه من الحيرة إلى اليقين ومن الضلال إلى الهدى ومن العمى إلى الإبصار"⁽²⁾.

ويرجع السرّ في جمال الاستعارة في القرآن الكريم إلى ما امتازت به من الخصائص الفنية التي يمكن أن نجملها في الآتي:

1- حسن التصوير.

2- الإيضاح.

3- الإيجاز.

4- اختيار الألفاظ.

5- حسن التراكيب.

(1) ينظر: محمد الأمين الخضري، من بيان القرآن، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط1، 1412هـ-1991م، ص49.

(2) محمد الحجوي، في رحاب القرآن، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو- المغرب، دط، 1431هـ-2010م، ص179.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

6-مراعاة حسن التشبيه الذي تنبني عليه الاستعارة⁽¹⁾.

ولبيان تجليات الاستعارة في القرآن الكريم سنقف عند بعض المواضع من سورة البقرة بالشرح والبسط والتّمعن في دلالاتها واستخراج بعض الأسرار في العدول إليها دون الوقوف على كثرة التقسيمات التي أشرنا إليها إذ ليس هذا غرضنا وإنما الغرض إلقاء الضوء على بعض هذه الاستعارات وذكر نوعها والوقوف عند الأسرار الدافعة نحو استعارة الألفاظ بعضها لبعض والعدول عن الحقيقة إلى المجاز.

الموضع الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٧).

يخبرنا اللع عز وجل في هذه الآية أنّ أولئك الكفرة قد تمكّن الكفر منهم حتّى كأنّ قلوبهم مختوم عليها بحجاب لا يدخلها غير ما فيها، وكأنّ أسماعهم مختوم عليها كذلك، فلا تسمع وعده الحقّ، وكأنّ أبصارهم قد غشيها غطاء فهي لا تدرك آيات الله الدالة على الإيمان، ولذلك استحقّوا أن ينالهم العذاب الشديد⁽²⁾.

في هذه الآية استعارتان وكلاهما يجوز حملهما على أنّهما استعارتان تصرّحيان أو تمثيلتان، يقول الطنطاوي: «فَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تُفِيدُ عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِعَارَةِ أَوْ التَّمْثِيلِ أَنَّ هُنَاكَ حَوَاجَزَ حَصِينَةً، وَأَقْفَالاً مَتِينَةً قَدْ ضُرِبَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى أَسْمَاعِهِمْ، وَغِشَاوَاتٍ مُطْبِقَةً عَلَى أَبْصَارِهِمْ حَتَّى أَصْبَحُوا لَا يُخَفِّفُهُمْ نَذِيرٌ وَلَا يُرَغِّبُهُمْ بَشِيرٌ»⁽³⁾.

⁽¹⁾ ينظر: محمد السيد شيخون، الاستعارة وأثرها في الأساليب العربية، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط2،

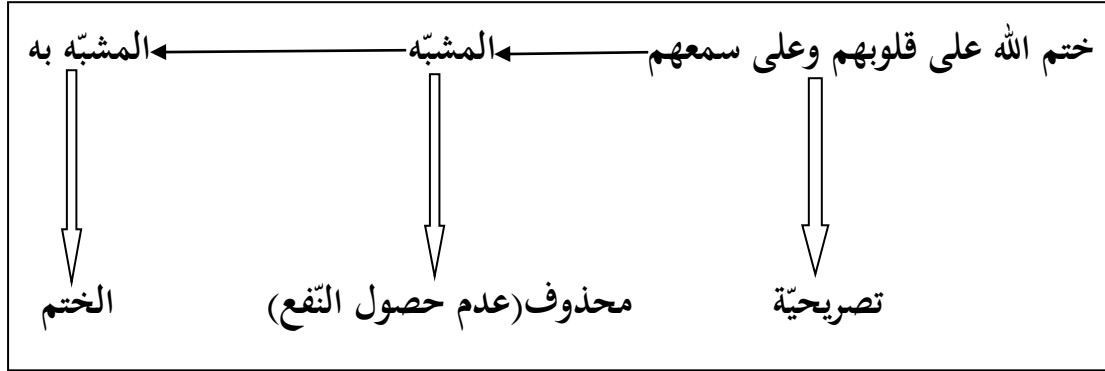
1415هـ-1994م، ص83.

⁽²⁾ ينظر: لجنة من علماء الأزهر، المنتخب، ص4.

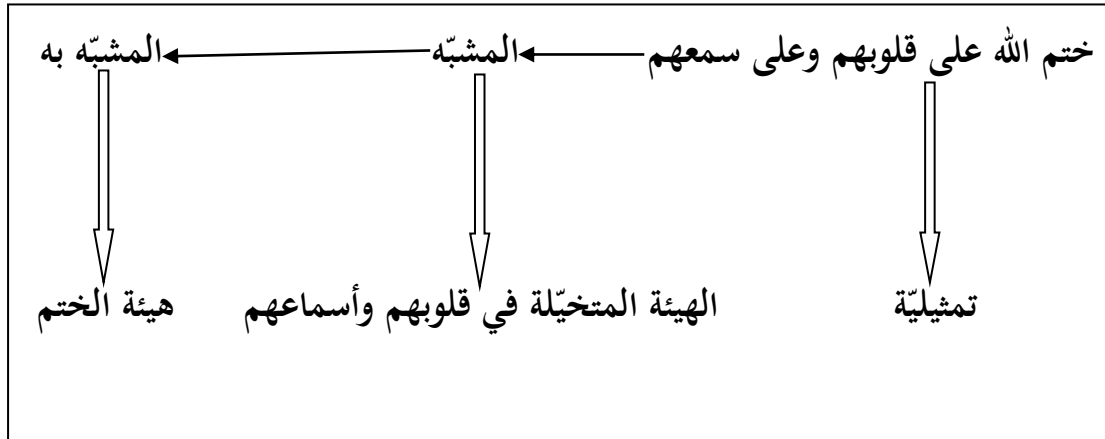
⁽³⁾ الطنطاوي، التفسير الوسيط، ج1، ص51.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

- الاستعارة الأولى في قوله: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ . فإن قلنا هي استعارة تصريحية فمعنى هذا أنه جعل قلوبهم في عدم نفوذ الإيمان والحق والإرشاد إليها، وأسماعهم في استكاثها عن سماع الآيات والنذر كأثامها محتوم عليها⁽¹⁾.



وإن قلنا إنها استعارة تمثيلية فالمعنى أنه شبه هيئة وهمية متخيلة في قلوبهم من التصميم على الكفر وإمساكهم عن التأمل في الأدلة بهيئة أشياء ضُربَ بينها وبين الاستنفاع بها بالخبم والتغطية⁽²⁾.

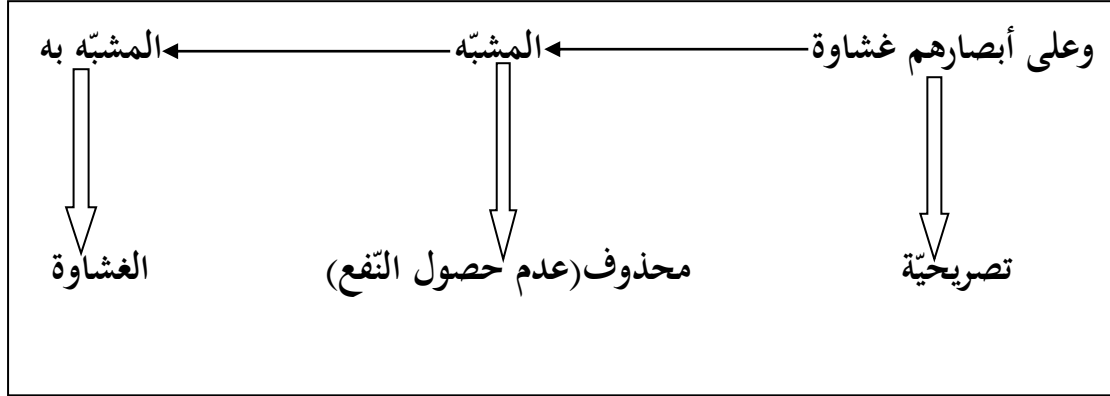


(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص48، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص37، والظاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص254-255.

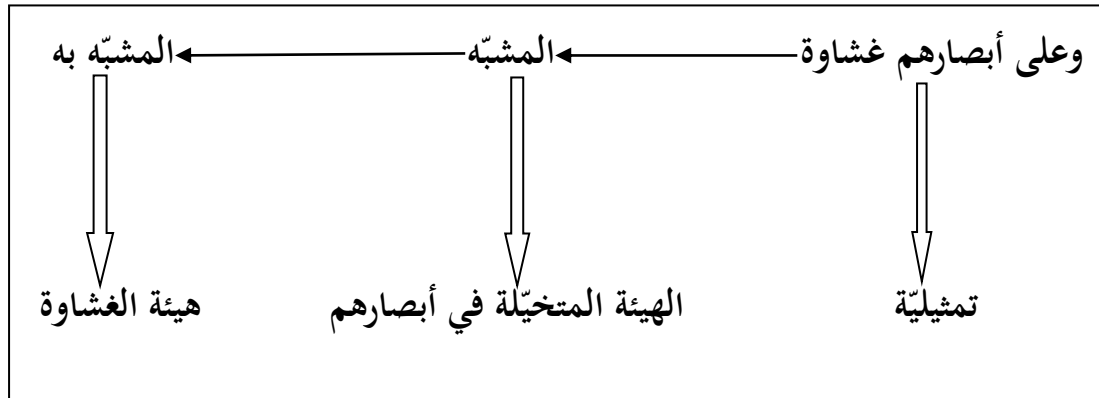
(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص48-49، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص37، والظاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص255، وأبو زهرة، زهرة التفاسير، ج1، ص118.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

- الاستعارة الثانية في قوله: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ فإن قلنا بأنها استعارة تصريحية فلمعنى أنه جعل أبصارهم لأنها لا تحتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تحتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غُطِّيَ عليها وحُجِبَتْ وحِيلَ بينها وبين الإدراك⁽¹⁾.



وإن قلنا إنها استعارة تمثيلية فالمعنى أنه شبه الهيئة المتخيلة في أبصارهم من عدم التأمل في الوجدانية وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم بهيئة الغشاوة⁽²⁾.



استنادا إلى ما سبق نجد أنّ الختم والغشاوة قد عُذِلَ بهما عن الحقيقة واستُعْمِلَا في غير ما وضعَا له شيء معقول على سبيل الاستعارة؛ فالختم في حقيقته هو "مَصْدَرُ خَتَمْتُ الشَّيْءَ، وَمَعْنَاهُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الشَّيْءِ وَالْإِسْتِثْقَاءُ مِنْهُ حَتَّى لَا يَدْخُلَهُ شَيْءٌ، وَمِنْهُ خَتَمُ الْكِتَابِ وَالْبَابِ وَمَا يُشَبِّهُ ذَلِكَ حَتَّى لَا يُوصَلَ إِلَى مَا فِيهِ وَلَا يُوضَعَ فِيهِ غَيْرُهُ. وَالْغِشَاوَةُ:

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص48.

(2) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص255.

الفصل الثاني: العدول الاستعاريّ

الْغِطَاءُ، وَمِنْهُ غَاشِيَةُ السَّرِّجِ " (1) فما السّرّ في استعارة الختم والغشاوة وهما حسيّان لعدم حصول التّفّع وهو أمر معنويّ؟

يمكن أن نحصر السّرّ في هذا العدول في أربعة أمور:

1-المبالغة في بيان حال قلوب هؤلاء الكفرة وأسماعهم وأبصارهم، فقلوبهم غير واعية لما وصل إليها، وأسماعهم غير مؤدّية لما يطرّقها من الآيات البينات إلى العقل على وجه مفهوم، وأبصارهم غير مهديّة للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعات (2).

2-تجسيد الصّورة وإيضاحها؛ ذلك أنّ استعارة ألفاظ محسوسة لمعانٍ معقولة تُسهم في جعل الصّورة ماثلة أمامك في الواقع حتّى كأنّك ترى قلوب الكفار وقد ختم عليها كأنّها كتاب أو باب لا يصل إليها شيء، وكأنّك ترى آذانهم وكأنّها مسدودة المنفذ لا تسمع شيئاً ممّا يلقي إليها، وكأنّك ترى أبصارهم قد حجبت بغطاء فلا يصل إليها نور ولا تهددي سبيلاً.

3-إثارة دهشة المتلقّي من خلال إخضاعه لعمل تأويليّ يسعى فيه إلى إزالة دهشته من الغموض الذي يكتنف هذا العدول مع إعطائه متعة الكشف وما يتبعها من الهيبة والاستعظام (3).

4-تحقيق الحجاج والإقناع من خلال الادّعاء أي ادّعاء الختم للقلوب والآذان والغشاوة للأبصار، وتحقيق الإمتاع من خلال التّصوير، فالعدول الاستعاريّ كلّما كان متعالياً

(1) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص46

(2) ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص46.

(3) ينظر: أسماء زيدان، العدول عن الحقيقة إلى المجاز، مجلة آفاق العلوم، جامعة الجلفة، الجزائر، العدد4، 2016،

الفصل الثاني: العدول الاستعاريّ

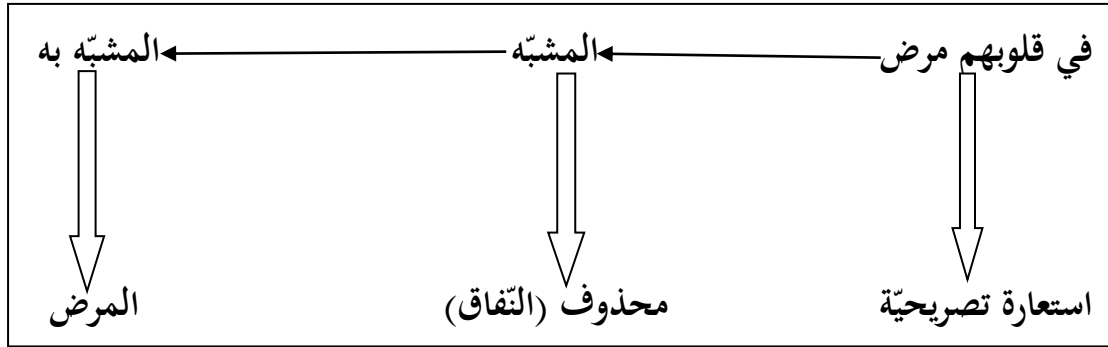
عن الحقيقة إلى المجاز نزاعاً إلى المبالغة من التوسط كان أقرب إلى الحاجة غنيّاً بأدوات الإقناع وأسهم في الإفحام، وأشدّ في الإمتاع⁽¹⁾.

إنّ هذه الأسرار الثلاثة الأخيرة وهي : تجسيد المعقولات في أمور محسوسة، وإثارة الدهشة، وتحقيق الحجاج والإقناع من خلال الادّعاء، والإمتاع من خلال التصوير -التي تعد أبعاداً تداوليّة في الاستعارة- نستطيع تعميمها على كل استعارات القرآن، ولهذا لا حاجة إلى تكرارها في كلّ المواضع.

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ

﴿البقرة: ١٠﴾.

يخبرنا الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنّ المنافقين في قلوبهم شكٌ وفساد، فابتُلوا بالمعاصي الموجبة لعقوبتهم، فزادهم الله شكّاً، ولهم عقوبة موجعة بسبب كذبهم ونفاقهم⁽²⁾.
الاستعارة في هذه الآية في قوله: (في قلوبهم مرض) وهي استعارة تصريحيّة " فقد استعير المرض ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي -صلى الله عليه وسلّم- وغير ذلك من فنون الكفر المؤدّي إلى الهلاك الروحيّ " ⁽³⁾.



(1) ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ-2006م، ص105، وخليفة بوجادي، تداولية الاستعارة من خلال أسرار البلاغة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة حمّة لخضر، الوادي- الجزائر، العدد5، 2013، ص174، وعيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، سورة البقرة نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة- الجزائر، 2014-2015م، ص149.

(2) ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص3.

(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن، ج1، ص51.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

نلاحظ أنّ المرض استعير للتناق وهو يدلّ على أنّه خرج من معناه الحقيقيّ إلى معناه المجازيّ، قال الطاهر بن عاشور: «والمُرَادُ بِالْمَرَضِ فِي هَاتِهِ الْآيَةِ هُوَ مَعْنَاهُ الْمَجَازِيُّ لَا مُحَالَةً لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي اتَّصَفَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ مَذْمَتِهِمْ وَبَيَانٍ مَنْشَأً مُسَاوِي أَعْمَالِهِمْ»⁽¹⁾.

ومن المعاني المجازيّة التي يستعار لها المرض "سوء الاعتقاد، والغلّ، والحسد والميل إلى المعاصي، والعزم عليها، واستشعار الهوى، والجن، والضعف، وغير ذلك ممّا هو فساد وآفة شبيهة بالمرض" ⁽²⁾.

وذكر أبو حيّان سبعة وعشرين من المعاني التي تحصل في القلب وتسمّى مرضاً مجازاً وهي: " الرّين، والرّينع، والطّبع، والصّرف، والضيق، والحرّج، والختم، والإقفال، والإشراب، والرّعب، والقساوة، والإصرار، وعدم التطهير، والنفور، والاشمئزاز، والإنكار، والشكوك، والعمى، والإبعاد بصيغة اللّعن، والتأبّي، والحميّة، والبغضاء، والعفلة، والعمرّة، واللّهو، والإرتياب، والتّناق " ⁽³⁾.

ونقل أبو حيّان الخلاف في كون المرض المذكور في الآية حقيقة أو مجازاً، ورجّح كونه مجازاً وعلّل ذلك بأنّه لو كان في القلوب مرض على الحقيقة لكانت أجسامهم مريضة بمرضها، ودليله على ذلك ما قاله بعض المفسّرين الذين استشهدوا بأمرين :

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص279.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص59.

(3) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص96.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

أحدهما: حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ فِي جَسَدِ ابْنِ آدَمَ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ " (1)، والثاني: القانون الطبي وما يقتضيه علم التشريح (2).

والذي سَوَّغ الانتقال من المدلول الحقيقي للمرض إلى المدلول المجازي له وهو النفاق والجهل والحسد وغير ذلك إنما هو المشابهة الحاصلة بين المرض وهذه الأعراض، فالمرض يفسد البدن ويخرجه عن الاعتدال اللائق به، ويوجب الخلل في أفاعيله وأحياناً يؤدي إلى الموت. والجهل والنفاق وسوء العقيدة وغير ذلك تؤدي إلى الهلاك الروحي (3).

أما عن الأسرار الكامنة وراء هذا العدول والأغراض المتوخاة منه فيمكن أن نلخصها في العناصر الآتية:

1- تجسيد الأمور المعنوية التي تصيب القلب في صورة محسوسة، فالحسد والجهل والنفاق أمور معنوية لا تظهر على الإنسان، والمرض شيء محسوس يظهر في الجسم بما يعتريه من خلل، فاستعارة المرض لهذه الأمور المعنوية يجعلها ماثلة للرأي.

2- التَّهْوِيل الحاصل بذكر المرض؛ ذلك أنَّ النفس الإنسانية تخاف المرض وأسبابه ممَّا يجعلها تحتاط هرباً منه وفراراً من أسبابه، ففي استعارة المرض لتلك الأمور تهويل لشأنها وتحذير منها وهذا أكبر داعٍ إلى اجتنابها وعدم قربانها.

3- المبالغة في ذم المنافقين والتشجيع عليهم وبيان سوء أعمالهم.

(1) ينظر: البخاري (محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله، 256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تح: محمد الناصر، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم 52، ج1، ص20، ومسلم، صحيح مسلم، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم 1599، ج3، ص1219.

(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص95.

(3) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص41-42.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

4- تحقيق الإيجاز؛ ذلك أنّ كلمة مرض تغني عن الكثير من المعاني التي يستعار المرض لها كالتّفاق والجهل والحسد والطّبع والشكّ والغفلة وغيرها وقد رأينا أنّ أبا حيان قد عدّها سبعة وعشرين معنى.

5- بيان عاقبة التّفاق والحسد وغيره على صاحبه مقارنة بعاقبة المرض، فكما أنّ مرض الأبدان يمنعها من التّصرف الكامل فكذلك ما هم فيه من التّفاق والكفر يكون مانعا لهم من إدراك الفضائل⁽¹⁾.

6- الإشارة إلى عدم صحّة يقين المنافقين وضعف دينهم أو شكّهم لأنّ الشكّ تردّد بين الأمرين والمنافق متردّد، والمريض متردّد بين الحياة والموت⁽²⁾.

الموضع الثالث: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْقَوْلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا عَمَلَكُمُ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (البقرة: ١٤) .

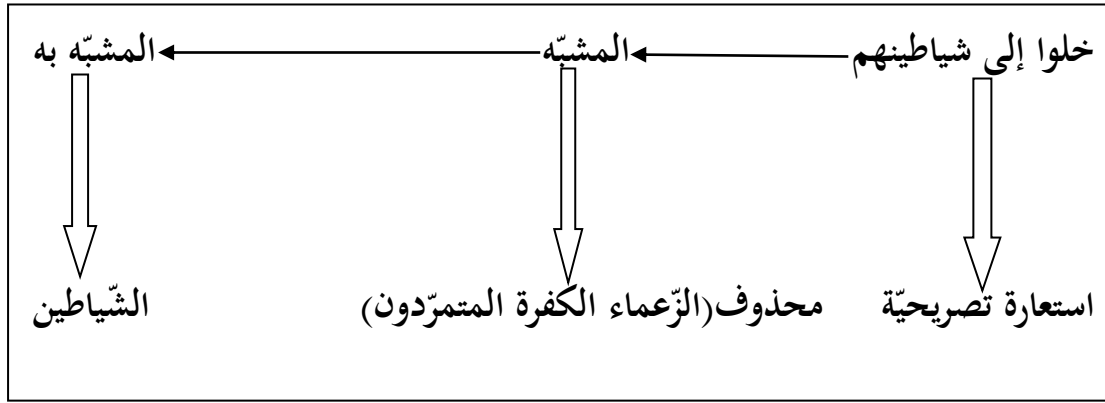
يخبرنا الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنّ المنافقين إذا قابلوا المؤمنين قالوا: صدّقنا بالإسلام مثلكم، وإذا انصرفوا وذهبوا إلى زعمائهم الكفرة المتمرّدين على الله أكّدوا لهم أنّهم على ملّة الكفر لم يتركوها، وإنّما كانوا يَسْتَحِقُّونَ بالمؤمنين، ويسخرون منهم⁽³⁾.

الاستعارة في هذه الآية في قوله: (خلوا إلى شياطينهم) وهي استعارة تصريحيّة حيث استعار الشّياطين لزعماء الكفرة المتمرّدين أو بعبارة أخرى شبه الكفّار المتمرّدين بالشّياطين ثمّ حذف المشبّه وترك المشبّه به .

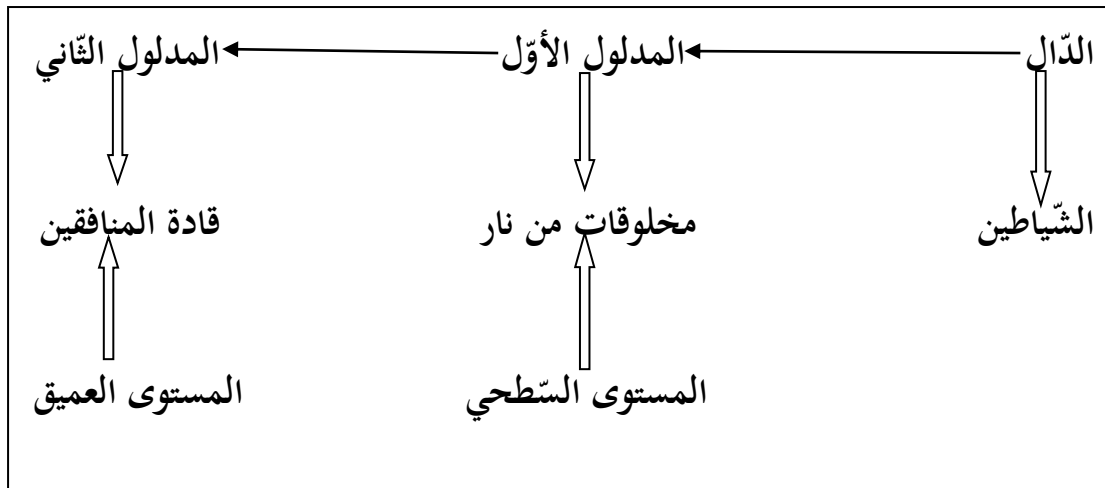
(1) ينظر: الطنطاوي، التفسير الوسيط، ج 1، ص 56.

(2) ينظر: القاسمي، محاسن التّأويل، ج 1، ص 250.

(3) ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص 3.



فالمراد بالشياطين في هذه الآية الكريمة معناها المجازي وهو " زعماء الكفرة " أو " قادة المنافقين " ولكنّ النّظم القرآنيّ عدل عن هذه الألفاظ إلى لفظ "الشياطين" الدّالّ في حقيقته على " نوع من المخلوقات المجردة طبيعتها الحارة النارية وهم من جنس الجنّ " ⁽¹⁾، ومعنى هذا أنّ لفظ "الشياطين" لا يحتفظ - في هذا السياق - بمدلوله الأصليّ الذي يصل إليه المتلقّي مباشرة بمجرد الوقوف عند البنية السّطحيّة للعبارة، وإنّما يكتسب مدلولاً جديداً يفهم من سياق الآية الكريمة وهو قادة المنافقين أو زعماء الكفرة ولا يتأتّى هذا إلّا بالنّظر في المستوى العميق للصّيغة.



(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص290.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

إذا تأملنا مدلولي لفظ "الشياطين" وجدنا أنّ هناك علاقة سوغت العدول عن المدلول الأول الحقيقيّ إلى المدلول الثاني المجازيّ وهذه العلاقة هي العلاقة التي تقوم عليها الاستعارة وهي المشابهة الحاصلة بين الشياطين وقادة المنافقين وهي التمرّد والعناد والكفر⁽¹⁾.

ويمكن أن نحصر السرّ في العدول عن الحقيقة إلى المجاز في الآية الكريمة في أربعة أمور:

1-المبالغة في ذمّ قادة المنافقين وساداتهم، وإظهار عنادهم وتمرّدهم وكفرهم وعتوّهم وصدّهم عن سبيل الحقّ كما هو دأب الشياطين من الجنّ.

2-تنفير النّاس من هؤلاء المنافقين؛ إذ إنّ الإنسان العاقل يستعيز بالله من الشيطان ويهرب منه ولا ينصاع لوساوسه.

3-بيان أنّ هؤلاء المنافقين والكفرة مطرودون من رحمة الله تعالى وأنّ جزاءهم النار وبئس المصير، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأعراف: ١٨)، وأتّهم ملعونون كما لعن إبليس أيضا قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (الحجر: ٣٥).

4-بيان عدم أنس المؤمنين بهؤلاء المنافقين وعدم اطمئنانهم إليهم فهم لا يجالسوهم ولا يسامروهم⁽²⁾.

الموضع الرابع: قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِخَرْتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٦).

(1) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 1، ص 46.

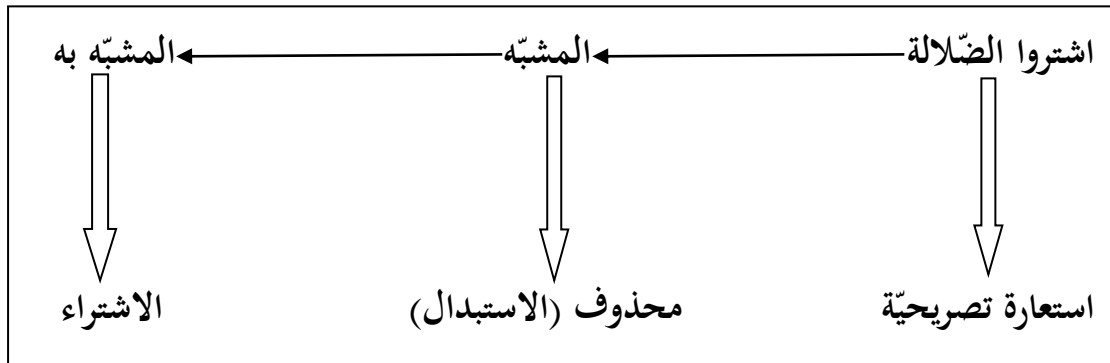
(2) ينظر: الطنطاوي، التفسير الوسيط، ج 1، ص 61.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

يشير سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة إلى أولئك المنافقين الذين باعوا أنفسهم في صفقة خاسرة، فأخذوا الكفر، وتركوا الإيمان، فما كسبوا شيئاً، بل خسروا الهداية. وهذا هو الخسران المبين ⁽¹⁾.

وتكمن الاستعارة في الآية الكريمة في قوله: (اشتروا الضلالة بالهدى) وهي استعارة تصريحية حيث استُعير الشراء للاستبدال والمعنى أنهم أخذوا الضلالة بدلا من الهدى أخذاً منوطاً بالرغبة فيها والإعراض عنه ⁽²⁾.

ومما زاد هذه الاستعارة جمالا وحُسنا أنها رُشِّحت بما يلائم المستعار منه وهو الرِّيح والتجارة ومعلوم أنهما من دواعي الشراء .



المراد بالاشتراء هنا هو معناه المجازي وهو الاستبدال، ولكن النظم القرآني عدل عن هذا اللفظ إلى لفظ "اشتروا" الدال في حقيقته على استبدال السلعة بالثمن ⁽³⁾، ومعنى هذا أن لفظ "اشتروا" لا يحتفظ بمدلوله الأصلي الذي يصل إليه المتلقي مباشرة بمجرد الوقوف عند البنية السطحية للعبارة، وإنما يكتسب مدلولاً جديداً يفهم من سياق الآية الكريمة وهو الاستبدال؛ ذلك أن الضلالة ليست سلعة وهذا ما جعلها قرينة تمنع من إرادة المدلول الأصلي للاشتراء وعدلت بنا إلى المدلول الثاني المجازي.

⁽¹⁾ ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص3.

⁽²⁾ ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص48.

⁽³⁾ ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص48.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

ويكمن السرّ في استعارة الاشتراء للاستبدال " أَنَّ الْأَوَّلَ أَخْصُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْإِسْتِبْدَالَ لَا يَكُونُ شِرَاءً إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهِ فَائِدَةٌ يَقْصِدُهَا الْمُسْتَبْدَلُ مِنْهُ سَوَاءٌ كَانَتْ الْفَائِدَةُ حَقِيقِيَّةً أَوْ وَهْمِيَّةً.

ثَانِيَهُمَا: أَنَّ الشِّرَاءَ يَكُونُ بَيْنَ مُتَبَايِعَيْنِ بِخِلَافِ الْإِسْتِبْدَالِ، فَإِذَا أَخَذْتَ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِكَ بَدَلَ آخَرَ، يُقَالُ: إِنَّكَ اسْتَبَدَلْتَ ثَوْبًا بِثَوْبٍ، فَالْمَعْنَى الَّذِي تُؤَدِّيهِ الْآيَةُ: أَنَّ أَوْلَيْكَ الْقَوْمَ اخْتَارُوا الضَّلَالََةَ عَلَى الْهُدَى لِفَائِدَةٍ لَهُمْ بِإِزَائِهَا يَعْتَقِدُونَ الْخُصُولَ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ، فَهُوَ مُعَاوَضَةٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ يُقْصَدُ بِهَا الرِّبْحُ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْإِشْتِرَاءِ وَالشِّرَاءِ، وَمَثْلُهُمَا الْبَيْعُ وَالِإِنْتِیَاعُ، وَلَا يُؤَدِّيهِ مُطْلَقُ الْإِسْتِبْدَالِ " (1).

وعَلَّلَ الطَّنطاوي سبب التعبير بالاشتراء بأنّ ذلك كفيل بتحديد مقدار الرغبة في الضلالة والزهد في الهدى؛ لأنّ المشتري في العادة يكون شديد الرغبة فيما يشتري رغبة تجعله شديد الزهد فيما يبذله من ثمن (2).

ومن الأغراض التي يمكننا أن نعلّل بها هذه الاستعارة ونفسّر بها هذا العدول: الدّعوة إلى الحذر والحرص على التزام الطريق الصّحيح؛ ذلك أنّ لفظ الاشتراء وترشيحه بذكر التجارة والربح يدلّك على أنّك في صفقة وتجارة في هذه الدّنيا الفانية، ومعلوم أنّ الصّفقات تحتاج إلى بذل الأموال، والمال أحبّ الأشياء إلى قلوب البشر بدليل قوله تعالى: ﴿وَمُحِبُّونَ الْمَالِ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠)، فإذا علمت أنّ في الصفقة مالا سيضيع إذا لم تحسن التّصرّف أو حدثت عن الطريق كان ذلك مدعاة للحرص عليه وعدم إضاعته - مثل فعل أولئك المنافقين الذين أضاعوا أموالهم وخسروا في تجارتهم - ولا يتأتّى لك هذا إلا بسلوك الطريق المسقيم وعدم الحيّدان عنه.

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 1، ص 139.

(2) ينظر: الطنطاوي، التفسير الوسيط، ج 1، ص 63.

الموضع الخامس: قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ

اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: ٢٧).

يخبرنا الله عز وجل في هذه الآية الكريمة عن الذين ينكثون عهد الله الذي أخذه عليهم بالتوحيد والطاعة وأكدّه بإرسال الرسل وإنزال الكتب ويخالفون دين الله بقطع ما أمر الله به أن يكون موصولا كوصل ذوي الأرحام، ويفسدون في الأرض أتهم هم الخاسرون في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

الاستعارة في الآية في قوله: (ينقضون عهد الله) وهي استعارة مكنية، حيث شبه العهد بالحبْل ثم حذف المشبّه به (الحبْل) وأبقى على شيء من لوازمه وهو النقص، والنقض في اللغة حقيقة في فسخ وحلّ ما رُكِبَ ووُصِلَ، بِفِعْلِ يُعَاكِسُ الْفِعْلَ الَّذِي كَانَ بِهِ التَّرْكِيْبُ⁽²⁾.

قال الزّخشي - معلقا على هذه الاستعارة - : «فَإِنْ قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ سَاعَ اسْتِعْمَالُ النَّقْضِ فِي إِبْطَالِ الْعَهْدِ؟

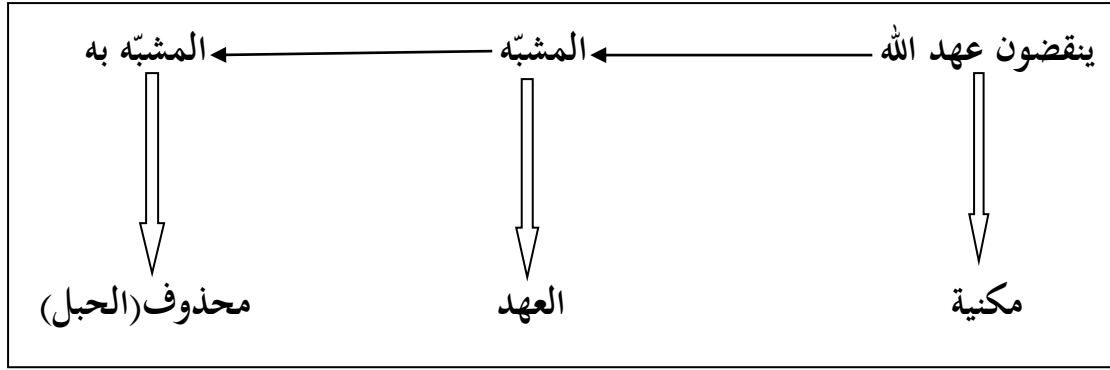
قُلْتُ: مِنْ حَيْثُ تَسْمِيَتُهُمُ الْعَهْدَ بِالْحَبْلِ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِعَارَةِ، لِمَا فِيهِ مِنْ ثَبَاتِ الْوُصْلَةِ بَيْنَ الْمُتَعَاهِدِينَ... وَهَذَا مِنْ أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ وَلَطَائِفِهَا أَنْ يَسْكُتُوا عَنْ ذِكْرِ الشَّيْءِ الْمُسْتَعَارِ، ثُمَّ يَرْمُزُوا إِلَيْهِ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ رَوَادِفِهِ، فَيُنَبِّهُوا بِتِلْكَ الرَّمْزَةِ عَلَى مَكَانِهِ»⁽³⁾.

نفهم من كلام الزّخشي أنّ الشَّيْءَ الَّذِي سَوَّغَ استعارة الحبْل للعهد هو الارتباط الحاصل بين اللفظين، والعلاقة القائمة بينهما وهي علاقة المشابهة، فالحبْل يصل بين شيئين والعهد يصل بين طرفين.

(1) ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص5، ولجنة من علماء الأزهر، المنتخب، ص8.

(2) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، 368.

(3) الزخشي، الكشف، ج1، ص119-120.



ويجوز أيضاً أن يكون قوله: (ينقضون عهد الله) استعارة تصريحية - بعد لمح الاستعارة المكنية أي تشبيه العهد بالحبل - وذلك باستعارة النقض لإبطال العهد، وهذا ما صرح به الشوكاني حين قال: «وَاسْتَعْمَالُ النَّقْضِ فِي إِبْطَالِ الْعَهْدِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ»⁽¹⁾، وقال الطاهر بن عاشور: «وَقَدْ اسْتُعْمِلَ النَّقْضُ هُنَا مَجَازًا فِي إِبْطَالِ الْعَهْدِ بِقَرِينَةٍ إِضَافَتِهِ إِلَى (عَهْدِ اللَّهِ) وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مِنْ مُحْتَرَعَاتِ الْقُرْآنِ بُنِيَتْ عَلَى مَا شَاعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي تَشْبِيهِ الْعَهْدِ وَكُلِّ مَا فِيهِ وَصْلٌ بِالْحَبْلِ وَهُوَ تَشْبِيهُ شَائِعٌ فِي كَلَامِهِمْ»⁽²⁾.

ويرى ابن عاشور أنّ العرب تطلق القطع والصّرم أيضاً على إبطال العهد، لكنّ النّظم القرآنيّ أثر استعارة النّقض - الذي هو حلّ طيّات الحبل - لإبطال العهد دون غيره من الألفاظ لأمرين:

أحدهما: أنّها تمثيل لإبطال العهد رويدا رويدا وفي أزمنة متكرّرة.

ثانيهما: أنّ النّقض أبلغ في الدّلالة على الإبطال من القطع والصّرم ونحوهما؛ لأنّ في النّقض إفسادا لهيئة الحبل وزوال رجاء عودها، وأمّا القطع فهو تجزئة⁽³⁾.

(1) الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 69.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 368.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 368.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

وذهب الألوسي إلى أنّ وجه جواز الاستعارة التصريحية هنا وحسنها لا يتأتى إلا بعد ملح الاستعارة المكنية حيث قال: «والحاصل أنّ في الآية استعارة بالكناية، والنقض استعارة تحقيقية تصريحية حيث شبه إبطال العهد بإبطال تأليف الجسم، وأطلق اسم المشبه به على المشبه لكنّها إنّما جازت وحسنت بعد اعتبار تشبيه العهد بالحبل، فهذا الاعتبار صارت قرينة على استعارة الحبل للعهد»⁽¹⁾.

ويمكن أن نحصر السرّ في استعارة الحبل للعهد واستعارة النّقض لإبطال العهد في الأمور الآتية:

1- التأكيد على مكانة العهد وأنه حبل وثيق بين المتعاهدين لا ينبغي المساس به ونكثه وإفساده؛ لأنّه لا سبيل إلى إصلاحه بعد النّقض.

2- ما يقتضيه لفظ الحبل من المعاني التي ينصرف الذّهن إليها عند إطلاقه وبخاصّة عند إضافته إلى الله تعالى ومن هذه المعاني:

- أنّ هناك صلة وثيقة ورابطة قويّة بين العبد وربّه والتي ينبغي المحافظة عليها حتّى تستمرّ ولا تقطع أبداً.
- أنّ هذا الحبل هو سبيل السّعادة في الدّنيا والنّجاة في الآخرة.
- الدّعوة إلى التّمسك بهذا الحبل والاعتصام به لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِبَهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصِلَهَا﴾ قال أسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَذْيُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ

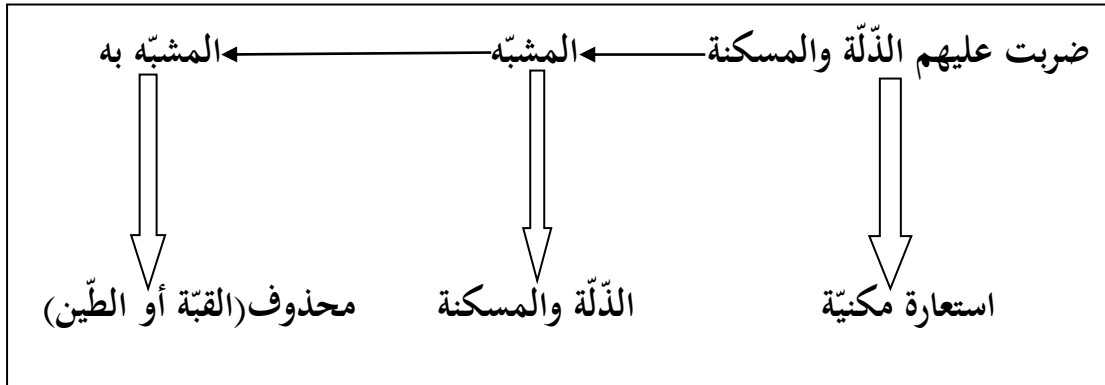
(1) الألوسي، روح المعاني، ج 1، ص 212.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُ وَبَغْضٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَغْيًا
الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ (البقرة: ٦١).

يخبرنا الله عز وجل في هذه الآية الكريمة عن استنكاره طَلَبَ بني إسرائيل الأُطعمة التي هي أقلّ قدرا، وتركهم الرزق النافع الذي اختاره الله لهم، ولذلك أمرهم بالهبوط من تلك البادية إلى أيّ مدينة حتى يجدوا مشتياتهم فأصابتهم صفة الدّلّ وفقر النفوس وانصرفوا ورجعوا بغضب من الله لإعراضهم عن دينه وكفرهم وقتلهم الأنبياء ظلما وعدوانا وتجاوزا للحدّ وعصيانا^(١).

الاستعارة في هذه الآية الكريمة في قوله: (ضربت عليهم الدّلة والمسكنة)، وهي استعارة مكنية، حيث شبه الدّلة والمسكنة بالقبة أو الطّين الذي يلتصق بالحائط ثمّ حذف المشبه به (القبة أو الطّين) وأبقى على شيء من لوازمه وهو الضرب. قال الألوسي: «وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ أَيَّ جُعِلَ ذَلِكَ مُحِيطًا بِهِمْ إِحَاطَةً الْقُبَّةِ بِمَنْ ضَرَبْتُ عَلَيْهِ، أَوْ أُلْصِقَ بِهِمْ مَنْ ضَرَبَ الطِّينَ عَلَى الْحَائِطِ فِيهِ الْكَلَامُ استعارة بالكناية حيثُ شُبِّهَ ذَلِكَ بِالْقُبَّةِ أَوْ بِالطِّينِ»^(٢).



(١) ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص 9.

(٢) الألوسي، روح المعاني، ج 1، ص 276، وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 1، ص 107، ومحمد صافي، الجدول في إعراب القرآن، ج 1، ص 147.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

إنَّ الجامع بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هو علاقة المشابهة الحاصلة بينهما؛ ذلك أنَّ الدَّلة تشبه بالقبة في الشَّمول والإحاطة، وشبَّهت بالطين للصوقها بهم ك لصوق الطين بالحائط في عدم الانفكاك⁽¹⁾.

وجعلُ الضَّرب هنا من لوازم القبة أو الطين راجعٌ إلى استعمال العرب له في هذا المعنى، وهذا ما قرره الطاهر بن عاشور حين قال: «وَالضَّرْبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى التَّقَاءِ ظَاهِرٍ جِسْمٍ بِظَاهِرٍ جِسْمٍ آخَرَ بِشِدَّةٍ، يُقَالُ ضَرَبَ بَعْصًا وَيَدَهُ وَبِالسَّيْفِ وَضَرَبَ يَدَهُ الْأَرْضَ إِذَا أَلْصَقَهَا بِهَا، وَتَفَرَّعَتْ عَنْ هَذَا مَعَانٍ بِجَازِيَّةٍ تَرْجِعُ إِلَى شِدَّةِ اللَّصُوقِ. فَمِنْهُ ضَرَبَ فِي الْأَرْضِ: سَارَ طَوِيلًا، وَضَرَبَ قُبَّةً وَبَيْتًا فِي مَوْضِعٍ كَذَا بِمَعْنَى شَدَّهَا وَوَثَّقَهَا مِنَ الْأَرْضِ... وَضَرَبَ الطِّينَ عَلَى الْحَائِطِ أَلْصَقَهُ»⁽²⁾.

أما عن سرِّ العدول الحاصل في الآية الكريمة فيمكن حصره في ثلاثة أمور:

1- تأكيد حقيقة دلة ومسكنة اليهود بتصويرها بشيء محسوس؛ ذلك أنَّ " هذا الخبر الذي أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِهِ هُوَ مَعْلُومٌ فِي جَمِيعِ الْأَزْمِنَةِ، فَإِنَّ الْيَهُودَ أَقْمَاهُمُ اللَّهُ أَذَلَّ الْفِرْقِ وَأَشَدُّهُمْ مَسْكَنَةً وَأَكْثَرُهُمْ تَصَاغُرًا، لَمْ يَنْتَظِمْ لَهُمْ جَمْعٌ وَلَا خَفَقَتْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ رَايَةٌ، وَلَا ثَبَّتَتْ لَهُمْ وَلَايَةٌ، بَلْ مَا زَالُوا عِيْدَ الْعَصَى فِي كُلِّ زَمَنٍ... وَمَنْ تَمَسَّكَ مِنْهُمْ بِنَصِيبٍ مِنَ الْمَالِ وَإِنْ بَلَغَ فِي الْكَثَرَةِ أَيْ مَبْلَغٌ، فَهُوَ مُتَظَاهِرٌ بِالْفَقْرِ مُتَرَدِّدٌ بِأَتْوَابِ الْمَسْكَنَةِ " ⁽³⁾.

2- بيان عدم انفكاكهم عن هذه الدَّلة وتلك المسكنة وأنهم من دائرتهما لا يخرجون بل ينتقلون فيهما من جانب إلى جانب⁽⁴⁾.

(1) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل، ج1، ص315.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص527.

(3) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص109.

(4) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج1، ص251.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

3- تحقيق البلاغة لما في الاستعارة من دلالات زائدة عن الحقيقة، وهذا ما بينه الرماني عند شرحه آية شبيهة بالآية التي نحن بصدددها وهي قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٢) حيث قال: «حَقِيقَتُهُ حَصَلَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ. والاستعارة أبلغ لما فيه من الدلالة على تثبيت ما حصل عليهم من الذلة كما يثبت الشيء بالضرب لأن التمكن به محسوس، والضرب مع ذلك ينبئ عن الإذلال والنقص، وفي ذلك شدة الزجر لهم والتنفير من حالهم»^(١).

نفهم من كلام الرماني ثلاثة أمور:

أولاً: أنه جعل هذه الاستعارة تصريحية؛ ذلك أنه استعار الضرب للحصول أو بعبارة أخرى: شبه الحصول بالضرب ثم حذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

ثانياً: أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة لتضمنها دلالات زائدة عنها.

ثالثاً: أن الغرض عنده من هذا العدول هو الدلالة على تثبيت الذلة عليهم وإنشاء عن الإذلال والنقص وبيان لشدة الزجر الحاصل لهم وتنفير من حالهم .

الموضع السابع: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَهُمْ الْعَجَلُ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَا مُّرْكُم بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٣).

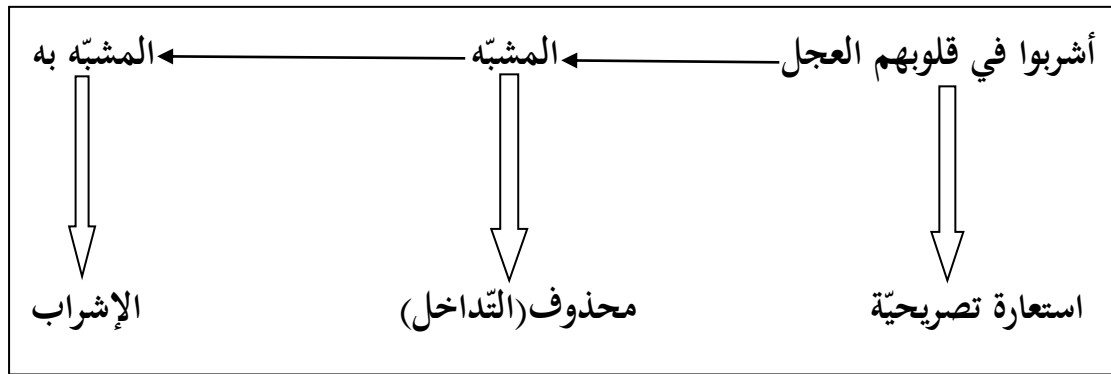
يخاطب الله عز وجل في هذه الآية بني إسرائيل ويقول لهم: واذكروا حين أخذنا عليكم عهداً مؤكداً باتباع موسى عليه السلام، وقبول ما جاء به من عند الله، ورفعنا فوقكم الجبل تخويفاً لكم، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم من التوراة بجد واجتهاد، واسمعوا سماع قبول وانقياد،

(١) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 90-91.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

وإلا أسقطنا الجبل عليكم، فقلتم: سمعنا بأذاننا وعصينا بأفعالنا، وتمكّنت عبادة العجل في قلوبكم بسبب كفركم⁽¹⁾.

الاستعارة في هذه الآية الكريمة في قوله: (أشربوا في قلوبهم العجل) وهي استعارة تصريحية، حيث استعير الإشراب لجعل الشيء متصلاً بشيءٍ ودخلاً فيه⁽²⁾ أو بعبارة أخرى: استعير الإشراب للتدخل والامتزاج. يقول محمد رشيد رضا: «هذه الاستعارة من فرائد الاستعارات يتمثل بها عند ذكر بلاغة القرآن. وإشراب الشيء الشيء: تخالطه إيّاه وامتزاجه به»⁽³⁾.



فالمراد بالإشراب الذي اشتق منه الفعل أشربوا في هذه الآية الكريمة معناه المجازي وهو "التدخل والامتزاج" ولكنّ النظم القرآني عدل عن القول: (تدخل أو امتزج في قلوبهم العجل) إلى لفظ "أشربوا" الدال في حقيقته على "تخالط المائع الجامد"⁽⁴⁾، ومعنى هذا أن لفظ "أشربوا" لا يحتفظ - في هذا السياق - بمدلوله الأصلي الذي يصل إليه المتلقي مباشرة بمجرد الوقوف عند البنية السطحية للعبارة، وإنما يكتسب مدلولاً جديداً يفهم من سياق

(1) ينظر: جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط3، 1436هـ، ص14.

(2) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص611.

(3) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص320.

(4) أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص495.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

الآية الكريمة وهو التداخل والامتزاج والتغلغل ولا يتأتى هذا إلا بالنظر في المستوى العميق للصياغة.

أما عن السرّ في العدول إلى لفظ الإشراب دون غيره من الألفاظ الدالة على التداخل والامتزاج فيمكن أن نحصرها في الأمور الآتية:

1- الإشارة إلى حبّهم الشديد للعجل وعبادته لأنّ " من عادة العرب أنّهم إذا أرادوا العبارة عن مخامرة حبّ أو بغض في القلب أن يستعيروا لها اسم الشراب إذ هو أبلغ منساغ في البدن، ولذا قال الأطباء: الماء مطيئة الأغذية والأدوية ومركبها الذي تسافر به إلى أقطار البدن " (1).

2- المبالغة في الحبّ حتّى كأنّهم غير مختارين في ذلك . قال ابن عاشور: « وَإِنَّمَا جُعِلَ حُبُّهُمْ الْعَجَلَ إِشْرَابًا لَهُمْ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ بَلَغَ حُبُّهُمْ الْعَجَلَ مَبْلَغَ الْأَمْرِ الَّذِي لَا اخْتِيَارَ لَهُمْ فِيهِ كَأَنَّهُمْ أَشْرَبَهُمْ إِيَّاهُ كَقَوْلِهِمْ أُولِعَ بِكَذَا وَشَغِفَ » (2).

3- بيان تغلغل حبّ العجل في أعماقهم لأنّ شُرْبَ الماءِ يَتَغَلَّلُ في الأعضاء حتّى يصل إلى باطنها، والطعام يجاورها وَلَا يَتَغَلَّلُ فِيهَا (3).

4- تصوير هذا المعنى الدّهني (حبّ العجل) في صورة مجسّمة تؤدّيه، حتّى لكأنّهم أُشْرِوهُ إِشْرَابًا في القلوب! ممّا يجعل الخيال يتمثّل تلك المحاولة العنيفة الغليظة، وتلك الصّورة السّاخرة الهازئة: صورة العجل يدخل في القلوب إدخالاً، ويحشر فيها حشراً (4).

(1) الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، ج1، ص262-263.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص611.

(3) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص134.

(4) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص91.

الموضع الثامن: قَالَ تَعَالَى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ

﴾ (البقرة: ١٣٨).

يخاطب الله عز وجل في هذه الآية عباده المؤمنين فيقول: الزموا دين الله الذي فطركم عليه ظاهراً وباطناً، فلا أحسن ديناً من دين الله، فهو موافق للفتوة، جالب للمصالح، مانع للمفاسد، وقولوا: نحن عابدون لله وحده لا نشرك معه غيره^(١).

الاستعارة في هذه الآية الكريمة في قوله: (صبغة الله) وهي استعارة تصريحية تختلف العلماء في تحديد المشبه المحذوف على أقوال:

الأول: أن المراد بالصبغة الدين (الإسلام)، أي إن الله عز وجل شبه الدين بالصبغة ثم حذف المشبه به والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هي الإضافة إلى الله عز وجل، قال ابن عطية: «سُمِّيَ الدِّينُ صِبْغَةً استعارةً مِنْ حَيْثُ تَظْهَرُ أَعْمَالُهُ وَسَمَتْهُ عَلَى الْمُتَدِينِ كَمَا يَظْهَرُ الصَّبْغُ فِي الثَّوْبِ وَغَيْرِهِ»^(٢).

(١) ينظر: جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن، ص 21.

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 1، ص 216، وينظر: أبو عبيدة (أبو عبيدة، معمر بن المثنى، 209هـ)، مجاز القرآن، تح: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط 1، ص 1381، ج 1، ص 59، والأخفش (سعيد بن مسعدة، أبو الحسن المجاشعي، 215هـ)، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1411 هـ - 1990 م، ج 1، ص 159، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص 64، والسجستاني (محمد بن عزيز، أبو بكر، 330هـ)، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، تح: محمد أديب جبران، دار قتيبة - سوريا، ط 1، 1416 هـ - 1995 م، ص 310، والباقلاني، إعجاز القرآن، ص 77، ومكي (أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، 437هـ)، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 2، 1405 هـ، ج 1، ص 113، والكرماني (محمود بن حمزة، أبو القاسم، برهان الدين، 505هـ)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، تح: شمران سركال، يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، ط 1، 1431 هـ، ج 1، ص 181.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

الثاني: أن المراد بالصبغة فطرة الله أو خلقته، قال البيضاوي: «صِبْغَةُ اللَّهِ أَيَّ صَبَغَنَا اللَّهُ صِبْغَتَهُ، وهي فطرة الله تعالى الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهَا حَلِيَّةُ الْإِنْسَانِ كَمَا أَنَّ الصَّبْغَةَ حَلِيَّةُ الْمَصْبُوغِ»⁽¹⁾.

الثالث: أن المراد بالصبغة الإيمان، قال أبو السعود: «الصَّبْغَةُ مِنَ الصَّبْغِ كَالْجَلْسَةِ مِنَ الْجُلُوسِ وهي الحالة الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا الصَّبْغُ عَبْرَ بَهَا عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا ذَكَرَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي فَصَّلَ لِكَوْنِهِ تَطْهِيراً لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَوْضَارِ الْكُفْرِ وَحَلِيَّةٌ تُزَيِّنُهُمْ بِآثَارِهِ الْجَمِيلَةِ وَمُتَدَاخِلًا فِي قُلُوبِهِمْ كَمَا أَنَّ شَأْنَ الصَّبْغِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الثَّوبِ»⁽²⁾.

ويرى الطاهر بن عاشور أن علاقة المشابهة في استعارة الصبغة للإيمان علاقة خفية حسنها قصد المشاكلة وهي من المحسنات البديعية ومرجعها إلى الاستعارة وإنما قصد المشاكلة باعث على الاستعارة، وإنما سمّاها العلماء المشاكلة لخداع وجه التشبيه فأغفلوا أن يسموها استعارة وسموها المشاكلة، وإنما هي الإتيان بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظ للفظ وقع معه⁽³⁾.

والمراد بالمشاكلة هنا مشاكلة النصارى في فعلهم، ذلك أن "النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون: هو تطهير لهم، وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال: الآن صار نصرانياً حقاً، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم: قولوا آمنا بالله،

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص109، وينظر: مجاهد (أبو الحجاج، مجاهد بن جبر، 104هـ)، تفسير مجاهد، تح: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1410 هـ - 1989م، ص214، وأبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص59، والسجستاني، غريب القرآن، ص310، والفيروز آبادي (أبو طاهر، محمد بن يعقوب، مجد الدين، 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، دط، الجزء 1، 2، 3: 1416 هـ - 1996 م، الجزء 4، 5: 1412 هـ - 1992 م، الجزء 6: 1393 هـ - 1973 م، ج1، ص109.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص168.

(3) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص744-745.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا. أو يقول المسلمون. صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتهم⁽¹⁾.

الرابع: ماذهب إليه الطاهر بن عاشور - بعد أن ذكر أن الصبغة هنا اسم للماء الذي يغتسل به اليهود عنواناً على التوبة لمغفرة الذنوب، وأنها عند النصارى أصلها التطهر في نهر الأردن وكانوا يسمون ذلك «معموديت» ويقولون أيضاً معموديتا وهي كلمة من اللغة الآرامية معناها الطهارة، وقد عرّبه العرب فقالوا معمودية - حين قال: «فإطلاق الصبغة على ماء المعمودية أو على الإغتسال به استعارة مبنية على تشبيه وجهه تخيلي إذ تخيلوا أن التعميد يكسب المعمد به صفة النصرانية ويلوّنهُ بلونها كما يلوّن الصبغ ثوباً مصبوغاً»⁽²⁾.

ورجح الراجب الأصفهاني أن تكون الصبغة هي الفطرة التي فطرنا الله عليها وهذه الفطرة هي الإيمان بالله عز وجل فقال: «الصبغة إشارة من الله - عز وجل - إلى ما أوجده فينا من بداية العقول التي ميّزنا بها من البهائم، ورشحنا به لمعرفته ومعرفة حسن العدالة وطلب الحق»⁽³⁾.

ورجح أبو حيان الأندلسي - بعد أن ذكر أقوالاً عدة في المراد من الصبغة - أن تكون مستعارة للدين أو الملة، ودليله على ذلك السياق السابق للآية وهو قوله تعالى: ﴿قُلُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرٰهٖمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦) فقد تضمنت هذه الآية أصل الدين الحنيفي ولهذا استعار الصبغة لها⁽⁴⁾.

(1) الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 196.

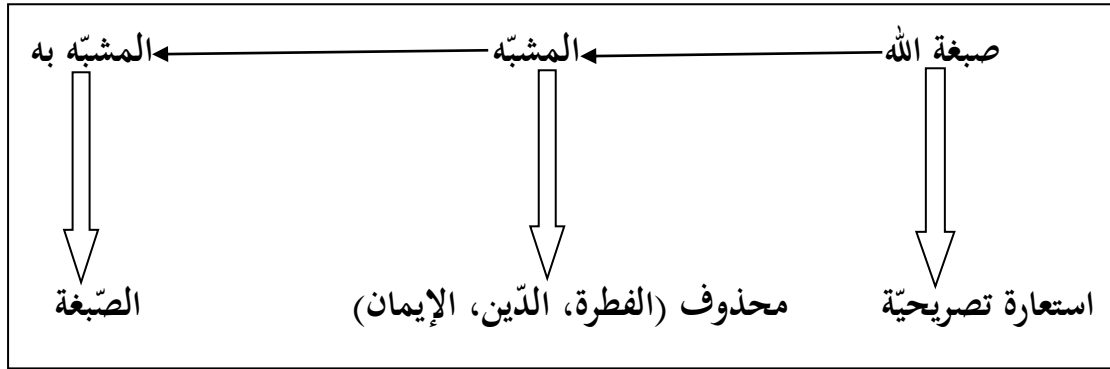
(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 742-743.

(3) الراجب الأصفهاني، تفسير الراجب، ج 1، ص 324.

(4) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 1، ص 655.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

نلاحظ أنّ هذه الأقوال متقاربة ويكمل بعضها بعضاً فالفطرة التي فطر الله الناس عليها لا شك أنّ الإيمان متضمّن فيها ولا يصح إيمان العبد إلّا إذا كان على الدّين الحقّ الذي هو الإسلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وأياً كان المحذوف فالاستعارة تصريحية .



أمّا عن السّرّ في العدول عن هذه الألفاظ المحذوفة إلى لفظ "الصبغة" فقد أشار بعض المفسّرين إلى شيء من ذلك، وهو ما يمكن أن نلخصه في الآتي:

1- تجسيم أثر الدّين والإيمان في الإنسان للإيجاء بتلاحم الظاهر والباطن في سلوكه "فصورة صباغة الثّوب الحسيّة، توحى بأنّ أثر الدّين في الإنسان، ليس أثراً داخليّاً فحسب، وإنّما هو أثر خارجيّ محسوس، يظهر في سلوك الإنسان، كما يظهر أثر الصّبغ في الأثواب"⁽¹⁾، وفي هذا حتّ على تلوين النّفس بالدّين وصبغها بالإيمان الصّحيح⁽²⁾.

(1) عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، ط1، 1422 هـ - 2001 م، ص126-127.

(2) ينظر: ولي الله الدهلوي (أحمد بن عبد الرحيم، 1176هـ)، الفوز الكبير في أصول التفسير، عزّبه من الفارسية: سلمان الحسيني النّدوي، دار الصحوة - القاهرة، ط2، 1407 هـ - 1986 م، ص115.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

2- الردّ على اليهود والنصارى وبيان بطلان مذهبوا إليه من التّعميد وأنّه ليس طهارة حقيقية كما هي طهارة الملتزمين بالدّين الإسلاميّ المتحلّين بالإيمان الصادق . يقول الطّاهر بن عاشور: «صِبْغَةُ اللَّهِ رُدٌّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مَعًا أَمَّا الْيَهُودُ فَلِأَنَّ الصَّبْغَةَ نَشَأَتْ فِيهِمْ وَأَمَّا النَّصَارَى فَلِأَنَّهَا سُنَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ فِيهِمْ، وَلَمَّا كَانَتْ الْمَعْمُودِيَّةُ مَشْرُوعَةً لَهُمْ لِعَلْبَةِ تَأْثِيرِ الْمَحْسُوسَاتِ عَلَى عَقَائِدِهِمْ رُدٌّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ صِبْغَةَ الْإِسْلَامِ الْإِعْتِقَادُ وَالْعَمَلُ ... أَيْ إِنْ كَانَ إِيمَانُكُمْ حَاصِلًا بِصِبْغَةِ الْفَسَيْسِ فإِيمَانُنَا بِصِبْغِ اللَّهِ وَتَلَوْنِيهِ أَيْ تَكْوِينِهِ الْإِيمَانَ فِي الْفِطْرَةِ مَعَ إِرْشَادِهِ إِلَيْهِ» (1).

3- بيان أنّ المُبَايَنَةَ بَيْنَ هَذَا الدِّينِ الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ، وَبَيْنَ الدِّينِ الَّذِي اخْتَارَهُ الْمُبْطِلُ ظَاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ، كَمَا تَظْهَرُ الْمُبَايَنَةُ بَيْنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَصْبَاغِ لِذِي الْحِسِّ السَّلِيمِ (2).

4- بيان أنّ الْإِنْسَانَ مَوْسُومٌ فِي تَرْكِيبِهِ وَبَنِيَّتِهِ بِالْعَجْزِ وَالْفَاقَةِ، وَالْآثَارِ شَاهِدَةٌ عَلَيْهِ بِالْحُدُوثِ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَى الْخَالِقِ فَهَذِهِ الْآثَارُ كَالصَّبْغَةِ لَهُ وَكَالْسَمَةِ اللَّازِمَةِ (3).

الموضع التاسع: قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

يخبرنا الله عزّ وجلّ في هذه الآية الكريمة أنّه يتولّى المؤمنين بنصره وتوقيفه وحفظه، يخرجهم من ظلمات الكفر، إلى نور الإيمان. وأنّ الكافرين أنصارهم وأولياؤهم الأنداد

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص744.

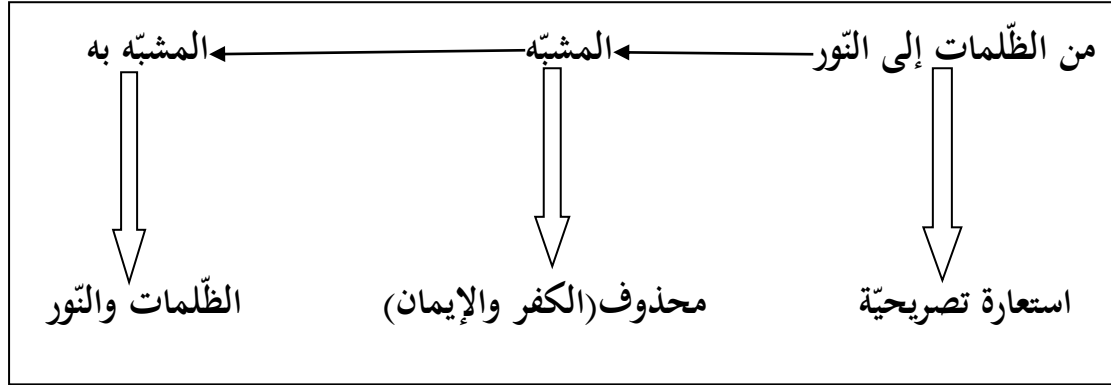
(2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج4، ص75.

(3) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج4، ص75، والنيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج1، ص415.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله، يُخرجونهم من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر، أولئك أصحاب النار المأزومون لها، هم فيها باقون بقاءً أبدياً لا يخرجون منها ⁽¹⁾.

الاستعارة في هذه الآية في قوله: (من الظلمات إلى النور) وهي استعارة تصريحية، حيث استعار سبحانه الكفر للظلمات، والإيمان للنور ⁽²⁾.



المراد بالظلمات والنور في هذا الموضع هو معناهما المجازي وهو الكفر والإيمان، ولكنّ النظم القرآني عدل عن هذين اللفظين إلى لفظ "الظلمات والنور" الدالّين في حقيقتهما على المعنى المعروف، ومعنى هذا أنّهما لم يحتفظا بمدلوليهما الأصليين الذين يصل إليهما المتلقي مباشرة بمجرد الوقوف عند البنية السطحية للعبارة، وإنما اكتسبا مدلولاً جديداً يفهم من سياق الآية الكريمة وهو الكفر والإيمان.

إنّ العدول الحاصل من الكفر والإيمان إلى الظلمات والنور من سمات التعبير القرآني، جاء في البحر المحيط: «كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ فَإِنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ غَيْرَ الَّتِي فِي الْأَنْعَامِ، وَهُوَ: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١) فَإِنَّهُ أَرَادَ بِهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» ⁽³⁾.

⁽¹⁾ ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص 43.

⁽²⁾ ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج 2، ص 15، ومحيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج 1، ص 389، ووهبة الزحيلي، المنير، ج 3، ص 19.

⁽³⁾ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 2، ص 618.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

إذا تأملنا العلاقة القائمة بين الظلمات والكفر والنور والإيمان وجدنا أنّها علاقة المشابهة، فالكفر ظلمة لالتباس طريقه ولأنّ الظلمة تحجب الأبصار عن إدراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن إدراك حقائق الإيمان، والإيمان نور لوضوح طريقه وبيان أدلته⁽¹⁾.

ويرجع السرّ في جمع الظلمات وإفراد النور إلى أنّ الحقّ واحد والكفر أجناس كثيرة وكلّها باطلة، ففي الجمع والإفراد إيدان بتفرد الحقّ، وانتشار الباطل وتشعبه⁽²⁾.

وإذا أردنا أن نميط اللثام عن السرّ والغرض المنشود من هذا العدول الحاصل في الآية الكريمة يسعفنا قول سيّد قطب: «تُمِّمُ يَمْضِي السَّيَاقُ يَصَوِّرُ فِي مَشْهَدٍ حِسِّيٍّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٍ... وَالْحَيَالُ يَتَّبَعُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، جِيئَهُ مِنْ هُنَا وَذَهَاباً مِنْ هُنَاكَ. بَدَلاً مِنَ التَّعْبِيرِ الذِّهْنِيِّ الْمَجْرَدِ، الَّذِي لَا يَحْرِّكُ خَيَالاً، وَلَا يَلْمَسُ حِسّاً، وَلَا يَسْتَجِيشُ وَجْدَاناً، وَلَا يُخَاطَبُ إِلَّا الذَّهْنُ بِالْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ.

فإذا أردنا أن ندرك فضل طريقة التصوير القرآنيّة، فلنُحاول أن نضع في مكان هذا المشهد الحيّ تعبيراً ذهنيّاً أيّاً كان. لنقل مثلاً: الله وليّ الذين آمنوا يهديهم إلى الإيمان. والذين كفروا أولياؤهم الطّاغوتُ يقودونهم إلى الكُفْرانِ.. إنّ التعبير يموت بين أيدينا، ويفقد ما فيه من حرّارةٍ وحركةٍ وإيقاعٍ»⁽³⁾.

يمكن أن نستخلص من كلام سيّد قطب بعض أسرار العدول الحاصل في الآية وهي:

(1) ينظر: الخازن، لباب التأويل، ج1، ص192، والنيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ج2، ص18.
(2) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص618، وابن كثير (أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1420هـ - 1999م، ج1، ص685، والقاسمي، محاسن التأويل، ج2، ص195.
(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص292-293.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

1- صيرورة المشهد المصوّر حسياً يتجلى في الظلمات والنور بدل أن يكون ذهنيًا مجردًا يتجلى في الكفر والإيمان، ممّا يجعله أشدّ تأثيرًا وأكثر إيجاءً.

2- تحريك الخيال، وملامسة الحسّ، واستحاشة الوجدان، لا مجرد مخاطبة الذهن بالمعاني والألفاظ.

3- بعث الحياة في التعبير وزيادة حرارته وجعله يضجّ بالحركة والإيقاع.

هذه بعض المواضع التي وقفنا عليها بالشرح والتحليل، وأمّا بقية المواضع فنذكرها بشكل موجز ونحيل القارئ على مواطنها من بعض التفاسير.

الموضع العاشر: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ كُلُّوْا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنْكُمُوهٌ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ (البقرة: ١٨٧).

الاستعارة في هذه الآية الكريمة في قوله: (الخيطة الأبيض من الخيط الأسود) وهي استعارة تصريحية حيث شبه بياض الصبح بالخيطة الأبيض، وسواد الليل بالخيطة الأسود وحذف المشبه في كلّ منهما^(١).

الموضع الحادي عشر: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ وَقَدِمُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ (البقرة: ٢٢٣).

(١) ينظر: الطنطاوي، التفسير الوسيط، ج 1، ص 397، ووهبة الزحيلي، المنير، ج 2، ص 147.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

الاستعارة في هذه الآية الكريمة في قوله: (فأتوا حرثكم) وهي استعارة تصريحية، حيث استعار الحرث للزوجة أو شبه الزوجة بالحرث ثم حذف المشبه وترك المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية⁽¹⁾.

الموضع الثاني عشر: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبِّكَ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٠).

الاستعارة في هذه الآية الكريمة في قوله: (أفرغ علينا صبرا) وهي إما:

- استعارة تصريحية كما ذهب الرماني حين قال: «أفرغ مُستعارٌ، وَحَقِيقَتُهُ أَفْعَلُ بِنَا صَبْرًا وَأَفْرَغَ أَبْلَغُ لَأَنَّ فِي الْإِفْرَاقِ اتِّسَاعًا مَعَ بَيَانٍ»⁽²⁾.

معنى هذا أنه استعار الإفراغ للفعل، وقيل إنه استعاره للتكثير مع التعميم والإحاطة⁽³⁾ أو لقوة الصبر⁽⁴⁾.

- استعارة تمثيلية كما ذهب أبو زهرة حين قال: «فالتعبير بـ "أفرغ علينا صبرا" فيه استعارة تمثيلية شبه فيه حالهم والله سبحانه وتعالى يُفِيضُ عَلَيْهِمْ بِالصَّبْرِ يَظْهَرُ فِي جَمَاعَتِهِمْ مُجْتَمِعَةً وَفِي الْأَفْرَادِ مُنْفَرِدِينَ بِحَالِ الْمَاءِ يُفْرَغُ عَلَى الْجِسْمِ فَيَعْمُهُ كُلُّهُ، يَعُمُّ ظَاهِرُهُ وَيَتَسَرَّبُ إِلَى بَاطِنِهِ، فَيُلْقِي فِي الْقُلُوبِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَهُدُوءًا وَاطْمِئْنَانًا»⁽⁵⁾.

(1) ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج2، ص287، ومحمد صافي، الجدول في إعراب القرآن، ج2، ص466.

(2) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص90.

(3) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص244، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص499.

(4) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص499.

(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج2، ص906.

الفصل الثاني: العدول الاستعاري

ويرى ابن عاشور أنّ في قوله: (وثبت أقدامنا) استعارة تصريحية ثانية حيث قال: «وَتَثْبِيتُ الْأَقْدَامِ اسْتِعَارَةٌ لِغَدَمِ الْفِرَارِ شَبَّهُ الْفِرَارِ وَالْخَوْفِ بِزَلْقِ الْقَدَمِ، فَشَبَّهُ غَدَمَهُ بِثَبَاتِ الْقَدَمِ فِي الْمَازِقِ»⁽¹⁾.

الموضع الثالث عشر: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

الاستعارة في هذه الآية الكريمة في قوله: (استمسك بالعروة الوثقى) وهي إما :

-استعارة تمثيلية حيث " شُبِّهَتْ هَيَأَةُ الْمُؤْمِنِ فِي ثَبَاتِهِ عَلَى الْإِيمَانِ بِهَيَأَةِ مَنْ أَمْسَكَ بِعُرْوَةٍ وَثْقَى مِنْ حَبْلِ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى صَعْبٍ أَوْ فِي سَفِينَةٍ فِي هَوْلِ الْبَحْرِ، وَهِيَ هَيَأَةُ مَعْقُولَةٍ شُبِّهَتْ بِهَيَأَةِ مُحْسُوسَةٍ " ⁽²⁾.

-استعارة تصريحية حيث استعار العروة الوثقى للاعتقاد الحق. قال أبو السعود: «ويجوز أن تكون العروة الوثقى مُسْتَعَارَةً للاعتقاد الحق الذي هو الإيمان والتوحيد» ⁽³⁾.

بهذا نكون قد أنهينا الحديث عن الاستعارة وتحليلاتها في سورة البقرة وقد رأينا كيف أضافها تزييد التعبير جمالا ورونقا، والمعاني وضوحا وتحسيما وتجسيدا وأنّ النظم القرآني لا يستعير لفظا للفظ إلا لغاية لطيفة وسرّ كامن، وننتقل الآن إلى دراسة لون آخر من ألوان العدول وهو العدول الكنائّي لنحاول الوقوف عند بعض أسرارهِ ولطائفهِ.

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص499.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص29، وينظر: محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج1، ص389.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص250، وينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج2، ص17، والألوسي، روح المعاني، ج2، ص15.

الفصل الثالث

العدول الكنائسي

الفصل الثالث: العدول الكِنائيّ

بعد أن أنهينا الحديث عن العدول الاستعاريّ ننقل إلى القسم الثالث من أقسام العدول الدلاليّ وهو العدول الكِنائيّ نسبة إلى الكناية التي تعدّ من إحدى طرائق العرب في التعبير عن المعاني لنحاول الوقوف عند تجلياتها في النظم القرآنيّ، ولكن قبل ذلك يجب أن نحدّد مفهومها ونعرف أقسامها.

1- مفهوم الكِناية

1-1- في اللغة

تكاد تجمع المعاجم العربيّة على أنّ معنى الكناية هو التّكلم بشيء وإرادة غيره، ومن ذلك ما جاء في كتاب العين: "كَنَى فلانٌ، يَكْنِي عن كَذَا، وعن اسم كَذَا إِذَا تَكَلَّمَ بِغَيْرِهِ مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَيْهِ، نَحْوُ الْجَمَاعِ وَالْعَائِطِ، وَالرَّفَثِ، وَنَحْوِهِ" (1). وجاء في الصّحاح: "الكِنَايَةُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدَ بِهِ غَيْرَهُ" (2).

ويرى ابن فارس أنّ الكناية من باب التّورية، وأنها تقابل المصارحة فقال: «الْكَافُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى تَوْرِيَةٍ عَنِ اسْمٍ بِغَيْرِهِ. يُقَالُ: كَنَيْتُ عَنْ كَذَا. إِذَا تَكَلَّمْتُ بِغَيْرِهِ مِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَيْهِ. وَكَنْوْتُ أَيْضًا. وَمِمَّا يُوضَّحُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ:

وَإِنِّي لَا كُنُو عَنْ قَدُورَ بِغَيْرِهَا ... وَأَعْرَبُ أَحْيَانًا بِهَا فَأَصَارُحُ (3)

(1) الخليل، العين، ج5، ص411.

(2) الجوهري، الصحاح، ج6، ص2477، وينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج10، ص204، والفيومي، المصباح المنير، ج2، ص542.

(3) البيت من الطويل وهو لأبي زياد الكلابي ينظر: القاسم بن سلام (أبو عبيد القاسم بن سلام، 224هـ)، غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط1، 1384 هـ - 1964م، ج1، ص303، والجوهري، الصحاح، ج6، ص2477، والبغدادى، خزنة الأدب، ج6، ص466، وبلا نسبة في: ابن السكيت (أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق، 244هـ)، إصلاح المنطق، تح: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1423 هـ - 2002م، ص108، وابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري 276 هـ)،

الفصل الثالث: العدول الكنائية

أَلَا تَرَاهُ جَعَلَ الْكِنَايَةَ مُقَابِلَةً لِلْمُصَارَحَةِ. وَلِذَلِكَ تُسَمَّى الْكُنْيَةُ كُنْيَةً، كَأَنَّهَا تَوْرِيَّةٌ عَنْ اسْمِهِ»⁽¹⁾.

إنَّ ما ذهب إليه ابن فارس من جعل الكناية من باب التورية أو في مقابل الإعراب والمصارحة فيه نظر من حيث إنَّ الغرض من التورية هو التعمية والإخفاء والتضليل، والأمر في الكناية - كما سنعرف - ليس كذلك.

والشيء الملاحظ أنَّ مادّة الكناية إمّا من (ك ن ي) أو (ك ن و)، قال القاسم بن سلام: «وَيُقَالُ كَنَوْتُ الرَّجُلَ وَكُنَيْتُهُ لُغْتَانِ»⁽²⁾، وقال ابنُ دريد: «وَكَنَوْتُ لُغَةً فِي كُنَيْتٍ»⁽³⁾ ففعلها من الأفعال التي وردت بالواو والياء ولهذا أوردها ابن مالك في منظومته فقال:

قُلْ إِنْ نَسَبْتَ عَزْوَتَهُ وَعَزَيْتَهُ وَكُنَيْتُ أَحْمَدَ كُنْيَةً وَكَنَوْتُهُ⁽⁴⁾

إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، تح: عبد الله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 1403 هـ - 1983 م، ص79، والصقلي (أبو حفص، عمر بن خلف، 501 هـ)، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410 هـ - 1990 م، ص297،⁽¹⁾ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص139، وينظر: ابن فارس، المجمل، ص771، وابن الأثير (أبو السعادات، المبارك بن محمد، مجد الدين، 606 هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، دط، 1399 هـ - 1979 م، ج4، ص207.

⁽²⁾ القاسم بن سلام، غريب الحديث، ج1، ص303.

⁽³⁾ ابن دريد، جمهرة اللغة، ج2، ص985، وينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج10، ص204، وابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري 276 هـ)، غريب الحديث، تح: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، ط1، 1397 هـ، ج3، ص700.

⁽⁴⁾ ينظر: عمار بن خميسي، شرح منظومة في ماورد من الأفعال بالواو والياء لابن مالك الأندلسي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1427 هـ - 2006 م، ص9.

الفصل الثالث: العدول الكنائي

نلاحظ أنّ أغلب اللّغويين جعل مادّة (ك ن ي) هي الأصل، والمادة الأخرى (ك ن و) لغة فيها، ومّا يؤكّد هذا اقتصار الخليل على المادّة الأولى، وهو ما وقفنا عليه في بعض المعاجم العربيّة الحديثة كمعجم اللّغة العربيّة المعاصرة⁽¹⁾، والمعجم الوسيط⁽²⁾.

ويقول بدوي طبانة في اللّغة الثّانية (ك ن و): «وَهَذِهِ اللُّغَةُ يُنَافِيهَا الْمَصْدَرُ، إِذْ لَمْ يُسْمَعْ كِنَاوَةٌ بِالْوَاوِ، وَالتَّزَامُ الْيَاءِ فِي الْمَصْدَرِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَامَ الْفِعْلِ يَاءٌ وَأَنَّ الْوَاوَ فِي كَنَوْتُ قُلِبَتْ عَنِ الْيَاءِ سَمَاعًا»⁽³⁾.

استنادا إلى ما سبق ذكره يمكن أن نلخص المفهوم اللّغوي للكناية في أمرين:

الأوّل: الجذر الاشتقاقيّ للفظ "كناية" هو (ك ن ي) والدليل لزوم الياء في المصدر.

والثّاني: الكناية هي التّكلّم بشيء وإرادة غيره من غير تضليل ولا تعمية كما في التّورية، ومن غير تصريح مباشر، وإمّا هي بين التّورية والتّصريح، وهذا "يعني أنّ المكني عنه ليس بالواضح وضوح المذكور صراحة، ولا هو بالخفيّ المضللّ الذي لا تكاد تتبيّنه إلّا بالتأمّل وإمعان النّظر. هو أشبه ما يكون بالمكسوّ بثوب رقيق شفاف يوحي بالمعنى ولا يباشره، يلّمح إليه ولا يقرّره"⁽⁴⁾.

1-2- في الاصطلاح

إنّ المفهوم الاصطلاحيّ للكناية لا يبتعد كثيرا عن مفهومها في اللّغة وبخاصّة في بداياته الأولى قبل أن يستوي على سوقه، حيث كان يرتكز ارتكازا كبيرا على المفهوم اللغويّ الذي

(1) ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، ج3، ص1965.

(2) ينظر: مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص802.

(3) بدوي طبانة، البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط2، 1377هـ-1958م، ص333-334.

(4) أحمد فتحي رمضان، الكناية في القرآن موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1435هـ-2014م، ص20.

الفصل الثالث: العدول الكناية

نلمح فيه معنى السّتر والخفاء، فمن ذلك قول سيويه : « وَذَلِكَ قَوْلُكَ: لَهُ كَذَا وَكَذَا دِرْهَمًا، وَهُوَ مُبْهَمٌ فِي الْأَشْيَاءِ بِمَنْزِلَةِ كَمْ، وَهُوَ كِنَايَةٌ لِلْعَدَدِ، بِمَنْزِلَةِ فُلَانٍ إِذَا كُنْتُ بِهِ فِي الْأَسْمَاءِ »⁽¹⁾، وقال أيضا: « فَإِذَا كُنْتُ عَنْ غَيْرِ الْآدَمِيِّينَ قُلْتُ: الْفُلَانُ وَالْفُلَانَةُ؛ وَالْهَنْ وَالْهَنَةُ، جَعَلُوهُ كِنَايَةً عَنِ النَّاقَةِ الَّتِي تُسَمَّى بِكَذَا، وَالْفَرَسِ الَّذِي يُسَمَّى بِكَذَا، لِيَفْرُقُوا بَيْنَ الْآدَمِيِّينَ وَالْبَهَائِمِ »⁽²⁾.

نلاحظ أنّ سيويه جعل العدول عن التصريح بالعدد أو الأسماء كناية، وهذا مدلول لغوي محض حيث تكلم بشيء (كذا وكذا) أو (الفلان والفلانة) وأراد غيره (العدد أو الناقة والفرس).

ومّا يلاحظ أيضا أنّ اللّغويين والنّحويين يسمّون الضّمير كناية وهذا ما يؤكّده قول الفراء: « وقوله: ﴿يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾ (الأنعام: ٤٦) كِنَايَةٌ عَنْ ذَهَابِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْحَتْمِ عَلَى الْأَفْعِدَةِ. وَإِذَا كُنْتُ عَنِ الْأَفَاعِيلِ وَإِنْ كَثُرَتْ وَحَدَّتِ الْكِنَايَةُ كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ: إِقْبَالَكَ وَإِذْبَارُكَ يُؤْذِنِي. وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ الْهَاءَ الَّتِي فِي بِهِ كِنَايَةٌ عَنِ الْهُدَى »⁽³⁾.

ومّا جعل عندهم كناية أيضا ستر بعض الألفاظ التي قد يستحي من ذكرها بألفاظ أخرى مهذّبة تدلّ على معناها مثل: الغائط، والملامسة، ومن ذلك قول أبي عبيدة: « ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ (المائدة: ٦) كِنَايَةٌ عَنْ إِظْهَارِ لَفْظِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ فِي الْبَطْنِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿أَوَلَمْ تَسْتَمِ الْأُنثَى﴾ (المائدة: ٦) كِنَايَةٌ عَنِ الْغَشْيَانِ »⁽⁴⁾.

(1) سيويه، الكتاب، ج2، ص170.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص507.

(3) الفراء، معاني القرآن، ج1، ص335.

(4) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص155.

الفصل الثالث: العدول الکنائی

وجعل المبرّد الکنایة ضرباً من ضروب الكلام فقال: «والکلامُ یُجْری عَلی ضُرُوبٍ؛ فَمِنْهُ مَا یَکُونُ فی الْأَصْلِ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُ مَا یُکَنَّى عَنْهُ بِغَیْرِهِ، وَمِنْهُ مَا یَقَعُ مَثَلًا، فِیکُونُ أَبْلَغَ فی الوَصْفِ»⁽¹⁾.

ثمّ قسّمها إلى ثلاثة أقسام - وكلّها لا تخرج عن المفهوم اللّغويّ - أمّا القسم الأوّل فالکنایة فيه تعني التّغطية والتّعمية، وأمّا القسم الثّاني - وهو أحسن قسم عند المبرّد - فهو الرّغبة عن اللفظ الحسیس المفحش إلى ما يدلّ على معناه من غیره کالرّفث والملامسة والغائط، وأمّا القسم الثّالث فهو التّفخيم والتّعظیم ومنه اشتقاق الکنیة⁽²⁾.

وعند حديثه عن القسم الثّاني الذي عدّه أحسن الأقسام أشار المبرّد إلى قضیة مهمّة، وهي قول أهل المدينة إنّ الملامسة واقعةٌ على حقیقتها⁽³⁾، ولعلّ هذا الخلاف هو أوّل بذرة حول موضوع الکنایة أهو حقیقة أم مجاز أم حالة وسطی، كما أنّه يشير إلى مسألة جوهریة انتهى إليها المتأخرون فی التّفريق بین الکنایة والمجاز بل عدّوها أصل الفروق، فالکنایة یجوز فیها إرادة المعنى الحقیقی بخلاف المجاز الّذي لا یجوز فيه ذلك⁽⁴⁾.

(1) المبرّد (محمد بن یزید، أبو العباس، 285هـ)، الكامل فی اللغة والأدب، تح: محمد أبی الفضل إبراهیم، دار الفكر العربی - القاهرة، ط3، 1417 هـ - 1997م، ج2، ص214.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص215-216.

(3) ينظر: المبرّد، المصدر نفسه، ج2، ص216.

(4) ينظر: محمد الحسن علي الأمين، الکنایة أساليبها ومواقعها فی الشعر الجاهلي، رسالة مقدّمة لنیل درجة التخصّص الأولى (الماجستير) فی البلاغة العربیة (مخطوطة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السنة الدراسیة 1403-1404هـ/1983-1984م، ص10.

الفصل الثالث: العدول الكناية

إنّ ما ذهب إليه المبرّد من تقسيم الكناية إلى ثلاثة أقسام اختزله ابن فارس في بابين: أحدهما: أن يكتفى عن الشّيء فيذكر بغير اسمه تحسّينا للفظ أو إكراما للمذكور كالغائط والسّرّ وكُنّي الإنسان التي يراد بها التّبجيل، والثّاني: المختصّ بالضّمائر مثل: هو وهي⁽¹⁾.

وهكذا نرى أنّ علماء اللّغة في هذه المرحلة لم يعرفوا الكناية تعريفا اصطلاحيا يشفي الغليل، وإنّما هي مجرد إشارات وإيماءات تعتمد أساسا على المفهوم اللّغوي لها وهو السّتر والتّغطية والخفاء وإطلاق الشّيء وإرادة غيره.

وإذا انتقلنا إلى مرحلة ثانية وجدنا أنّ مصطلح الكناية قد تطوّر وانتقل من الارتكاز على المفهوم اللّغوي إلى مفهوم آخر بلاغيّ يستحقّ أن يكون حدّا اصطلاحيا للكناية وهذا ما نلمسه عند قدامة بن جعفر حين عرّف الكناية وسمّاها الإرداف فقال: «وَمِنْ أَنْوَاعِ اثْتِلَافِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى الإِرْدَافُ: وَهُوَ أَنْ يُرِيدَ الشَّاعِرُ دَلَالَةً عَلَى مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي فَلَا يُبَيِّنُ بِاللَّفْظِ الدَّلَالَ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى، بَلْ بِلَفْظٍ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى هُوَ رَدْفُهُ وَتَابِعٌ لَهُ، فَإِذَا دَلَّ عَلَى التَّابِعِ أَبَانَ عَنِ الْمُتَبَوِّعِ»⁽²⁾.

إنّ هذا التعريف الذي ساقه قدامة للإرداف هو عينه تعريف الكناية عند الدّارسين كما أشار إلى ذلك محمّد عبد المنعم خفّاجي في الهامش⁽³⁾، بل إذا تأملنا تعريف الكناية عند العلماء بعد قدامة بن جعفر نجد أنّهم يستندون عليه ولا يخرجون عنه، ونذكر على سبيل المثال تعريف أبي هلال العسكري للأرداف والتّوابع حيث قال: «الأَرْدَافُ والتّوابعُ: أَنْ يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ الدَّلَالَ عَلَى مَعْنَى فَيَتَرَكُ اللَّفْظَ الدَّلَالَ عَلَيْهِ، الْخَاصَّ بِهِ، وَيَأْتِي بِلَفْظٍ هُوَ رَدْفُهُ وَتَابِعٌ لَهُ،

(1) ينظر: ابن فارس (أبو الحسين، أحمد بن فارس، 395هـ)، الصّاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1418هـ-1997م، ص200-201.

(2) قدامة (قدامة بن جعفر بن قدامة، أبو الفرج، 337هـ)، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفّاجي، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، دط، دت، ص157.

(3) ينظر هامش ص157 من كتاب نقد الشعر.

الفصل الثالث: العدول الكنائية

فَيَجْعَلُهُ عِبَارَةً عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ»⁽¹⁾، و قال ابن سنان الخفاجي: «وَمِنْ نُعُوتِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ: أَنْ تُرَادَ الدَّلَالَةُ عَلَى الْمَعْنَى فَلَا يُسْتَعْمَلُ اللَّفْظُ الْخَاصُّ الْمَوْضُوعُ لَهُ فِي اللُّغَةِ بَلَّ يُؤْتَى بِلَفْظٍ يَتَّبِعُ ذَلِكَ الْمَعْنَى ضَرُورَةً فَيَكُونُ فِي ذِكْرِ التَّابِعِ دَلَالَةٌ عَلَى الْمُتَّبَعِ وَهَذَا يُسَمَّى الْإِرْدَافَ وَالتَّيْبِيعَ»⁽²⁾.

وهكذا نستطيع أن نقول إنَّ قدامة بن جعفر هو أوَّل من عرّف الكناية تعريفا اصطلاحيا، مع ملاحظة أنه يسمّيها الإرداف، وهو تعريف ناضج مقارنة بالتعاريف السابقة، وخير دليل على نضوج تعريفه أنَّ أساطين البلاغة من بعده استندوا إليه وعولوا عليه في تعريفهم للكناية.

ولم يكتف قدامة بتقديم تعريف اصطلاحيّ فحسب، بل أتبعه بمجموعة من الأمثلة مع شرحها شرحا مستفيضا يبرز المقصود، ومن الأمثلة التي ساقها قول الشاعر:

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا، وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ⁽³⁾

(1) العسكري، كتاب الصناعتين، ص350.

(2) ابن سنان الخفاجي (أبو محمد، عبد الله بن محمد، 466هـ)، سر الفصاحة، دتح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ-1982م، ص229-230.

(3) البيت من الطويل وهو لعمر بن أبي ربيعة المخزومي، ديوان عمر بن أبي ربيعة، تح: فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1416هـ-1996م، ص314، وينظر: الجاحظ (عمرو بن بحر، أبو عثمان، 255هـ)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط1، 1410هـ، ص501، وابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر، أحمد بن محمد، شهاب الدين، 328هـ)، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، 1404هـ-1983م، ج7، ص56، وابن وكيع (الحسن بن علي الضبي، أبو محمد، 393هـ)، المنصف للسارق والمسروق منه، تح: عمر خليفة بن إدريس، جامعة قات يونس، بنغازي، ط1، 1994م، ص169، وابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق، 463هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، ط5، 1401هـ - 1981م، ج1، ص314، وذو الإصبع العدواني (عبد العظيم بن عبد الواحد، 654هـ)، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، دط، دت، ص212، والبغدادي، خزانة الأدب، ج2، ص263.

الفصل الثالث: العدول الكناي

قال قدامة في شرح هذا البيت: «أَرَادَ هَذَا الشَّاعِرُ أَنْ يَصِفَ طُولَ الْجَيْدِ، فَلَمْ يَذْكُرْهُ بِلَفْظِهِ الْخَاصِّ بِهِ، بَلْ أَتَى بِمَعْنَى تَابِعٍ لِطُولِ الْجَيْدِ، وَهُوَ بُعْدُ مَهْوَى الْقُرْطِ»⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن قدامة بن جعفر إضافة إلى إحرازه قصب السبق في وضعه تعريفا اصطلاحيا للكناية التي يسميها الإرداف، فقد أحرز أيضا شرف السبق في حديثه عن الوسائط حين قال: «وَمِنْ هَذَا النَّوعِ مَا يَدْخُلُ فِي الْأَبْيَاتِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا أَبْيَاتَ الْمَعَانِي، وَذَلِكَ إِذَا دُكِرَ الرَّدْفُ وَحْدَهُ، وَكَانَ وَجْهُ اتِّبَاعِهِ لِمَا هُوَ رَدْفٌ لَهُ غَيْرَ ظَاهِرٍ، أَوْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَرْدَافٌ أُخَرُ كَأَنَّهَا وَسَائِطٌ وَكَثُرَتْ حَتَّى لَا يَظْهَرُ الشَّيْءُ الْمَطْلُوبُ بِسُرْعَةٍ، وَهَذَا الْبَابُ إِذَا غَمَضَ لَمْ يَكُنْ دَاخِلًا فِي جُمْلَةٍ مَا يُنْسَبُ إِلَى جَيْدِ الشَّعْرِ، إِذْ كَانَ مِنْ عِيُوبِ الشَّعْرِ الْإِنْعِلَاقُ فِي اللَّفْظِ وَتَعَدُّرُ الْعِلْمِ بِمَعْنَاهُ»⁽²⁾.

يتضح من قول قدامة أن جودة الكناية مردّها إلى هذه الوسائط، فكّلما كثرت وغمض المعنى المراد نقصت جودة الكناية، وكلّما قلّت واتّضح المعنى زادت جودة الكناية.

ومن الدّراسات التي ينبغي التّوقف عندها عند دراسة الكناية دراسة عبد القاهر الجرجاني، حيث يلاحظ أن الجرجاني قد أَمَاطَ اللّثَامَ عن الكناية فعَرَفَهَا وَقَسَمَهَا وَأَتَى بِالشّوَاهِدِ مَعَ شَرْحِهَا وَتَفْصِيلِهَا وَتَحْلِيلِهَا بِشَكْلِ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ.

أمّا تعريفه الكناية فقد كان كتعريف قدامة إيّاها لكنّه نصّ على تسميتها فقال: «وَالْمُرَادُ بِالْكَنَايَةِ هَهُنَا أَنْ يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ إِثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي، فَلَا يَذْكُرُهُ بِاللَّفْظِ الْمَوْضُوعِ لَهُ فِي اللَّغَةِ، وَلَكِنْ يَجِيءُ إِلَى مَعْنَى هُوَ تَالِيهِ وَرَدْفُهُ فِي الْوُجُودِ، فَيُؤْمَى بِهِ إِلَيْهِ، وَيَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ»⁽³⁾.

(1) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 157-158.

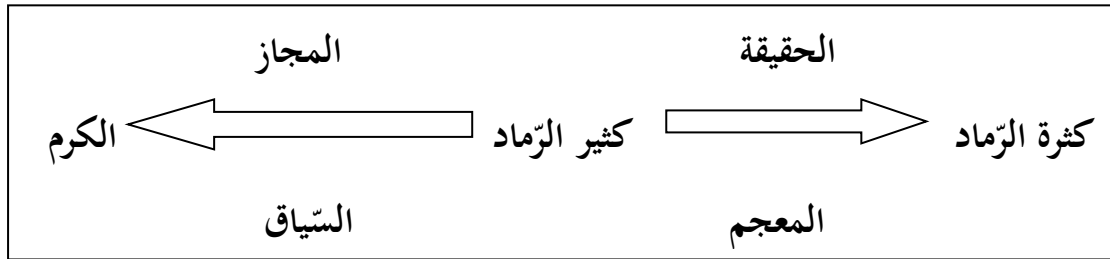
(2) المصدر نفسه، ص 159.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 66.

الفصل الثالث: العدول الكنائيّ

ومن التعريفات المشهورة للكناية تعريف ابن الأثير حيث قال: «فَحَدُّ الْكِنَايَةِ الْجَامِعُ لَهَا هُوَ: أَنَّهَا كُلُّ لَفْظَةٍ دَلَّتْ عَلَى مَعْنَى يُجَوِّزُ حَمْلَهُ عَلَى جَانِبِي الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ، يَوْصَفُ جَامِعٌ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ»⁽¹⁾.

إنّ تعريف ابن الأثير يشير إلى فرق دقيق بين الكناية والمجاز، وهو أنّ الكناية تُحْمَلُ على الحقيقة والمجاز، فالمعنى المراد هو المعنى غير الظاهر للفظ ومع هذا يجوز حمله على المعنى الظاهر كقولهم: (كثير الرماد) كناية عن الكرم، فالكرم هو المعنى غير الظاهر، وكثرة الرماد هو المعنى الظاهر الذي يجوز حمل الكلام عليه فهو غير مستحيل بخلاف المجاز فلا يمكن أن تحمله على ظاهره.



فإذا سرنا في اتجاه الحقيقة بالاستعانة بالمعجم اللغوي كان المعنى جائزاً، وإذا سرنا في اتجاه المجاز كان المعنى جائزاً وهو المعنى المراد من الجملة الذي يقتضيه السياق، وبمعنى آخر "فالكناية بنية ثنائية الإنتاج، حيث تكون في مواجهة إنتاج صياغي له إنتاج دلالي مواز له تماماً بحكم المواضع، لكن يتمّ تجاوزه بالنظر في المستوى العميق لحركة الذهن التي تمتلك قدرة الرّبط بين اللّوازم والملزومات فإذا لم يتحقّق هذا التّجاوز فإنّ المنتج الصّياغيّ يظلّ في دائرة الحقيقة... وهو ما يؤكّد وقوع الكناية في منطقة وسطى بين الحقيقة والمجاز، إذ لا يمكن الميل بها إلى دائرة الحقيقة لتستقلّ بها؛ لأنّ الصياغة لم تنتج معناها فحسب بل أنتجت لازماً

(1) ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص53.

الفصل الثالث: العدول الكناية

مرافقا لها، كما لا يمكن أن تستقلّ بها دائرة المجاز لعدم وجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الوضعي " (1).

إنّ وقوع الكناية في منطقة وسطى بين الحقيقة والمجاز لا يمكن أن يفهم منه الجمع بين متناقضين؛ " لأنّ التعدد هنا ليس في إرادة الاستعمال بل في إرادة الإفادة واللفظ لم يستعمل إلا في موضعه، وقد يستعمل اللفظ في معنى ويقصد به إفادة معانٍ كثيرة " (2).

يمكن أن نلخص ما سبق في ثلاثة أمور:

الأول: المفهوم الاصطلاحي للكناية في بدايته مفهوم لغوي محض كما رأينا عند سيويوه وأبي عبيدة والمبرد والفرّاء وابن فارس.

والثاني: أول من قدّم تعريفا اصطلاحيا للكناية هو قدامة بن جعفر وسمّاها الإرداف، وكلّ من جاء بعده اعتمد عليه واستند إليه كأبي هلال العسكري، وابن سنان الخفاجي، وعبد القاهر الجرجاني مع اختلاف في طريقة التحليل والشرح.

والثالث: الكناية منزلة بين الحقيقة والمجاز والسّياق هو الذي يبيّن المراد، وهذا فرق جوهري بين الكناية والمجاز اللغوي؛ إذ الكناية يجوز فيها إرادة المعنى الوضعي والمجاز لا يجوز فيه ذلك.

(1) محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، دط، 1997م، ص 187-188، وينظر: الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1992م، ص 86-87.

(2) السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج2، ص 207.

2- أقسام الكناية

درج العلماء على تقسيم الكناية إلى ثلاثة أقسام؛ " لأن المطلوب بها إما غير صفة ولا نسبة أو صفة أو نسبة "⁽¹⁾، ومعنى هذا أن العلماء بعد البحث والاستقصاء وجدوا أن المعنى المكّن عنه إما أن يكون صفة وإما أن يكون موصوفاً وإما أن يكون نسبة أي إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه ⁽²⁾.

2-1- الكناية عن صفة

المقصود بالصفة هنا الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة لا النعت عند النحويين ⁽³⁾.

وضابط هذا القسم من أقسام الكناية أن " يذكر في الكلام صفة أو عدة صفات بينها وبين صفة أخرى تلازم وارتباطاً بحيث ينتقل الذهن بإدراك الصفة أو الصفات المذكورة إلى الصفة المكّن عنها المرادة " ⁽⁴⁾، بمعنى آخر: فإن الموصوف يذكر وتذكر معه صفة لكنّها غير مرادة وإتّما المراد لازمها ⁽⁵⁾.

ومن أمثلة هذا القسم قول امرئ القيس:

وَتَضْحَى فَتَيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نُوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلٍ ⁽⁶⁾

⁽¹⁾ الخطيب القزويني، الإيضاح، ص242.

⁽²⁾ فضل حسن عباس، أساليب البيان، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1430هـ-2009م، ص337.

⁽³⁾ ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح، ص242، وفضل حسن عباس، أساليب البيان، ص337.

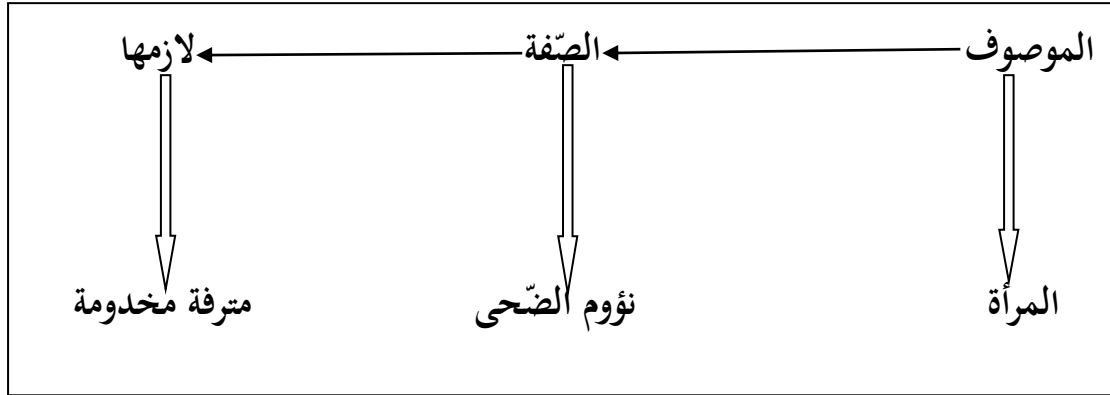
⁽⁴⁾ عبد الفتاح بسيوني، علم البيان، ص228.

⁽⁵⁾ ينظر: فضل حسن عباس، أساليب البيان، ص337.

⁽⁶⁾ البيت من الطويل وهو من معلقة امرئ القيس. ينظر: ديوان امرئ القيس، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1425هـ-2004م، ص44، والقرشي، جبهة أشعار العرب، ص129، والمفضل بن سلمة (أبو طالب، 290هـ)، الفاخر، تح: عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1380هـ، ص129، والأنباري (أبو بكر، محمد بن القاسم، 328هـ)، الأضداد، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، دط، 1407هـ-1987م، ص131، والأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ج1، ص254، والزجاجي

الفصل الثالث: العدول الكنائبي

فالكناية في هذا البيت في قوله: (نؤوم الضّحي) والمراد أنّ هذه المرأة مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها⁽¹⁾.



وتنقسم الكناية عن صفة إلى قسمين:

أ-قريبة: وهي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بلا واسطة كقولهم كناية عن طويل القامة: (طويل النّجاد)⁽²⁾، فطول النّجاد يستلزم مباشرة طول القامة⁽³⁾.

ب-بعيدة: وهي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة كقولهم كناية عن الكرم: (كثير الرماد)⁽⁴⁾.

فللوصول إلى المطلوب والمعنى المراد هناك الكثير من الوسائط حسب المخطط الآتي:

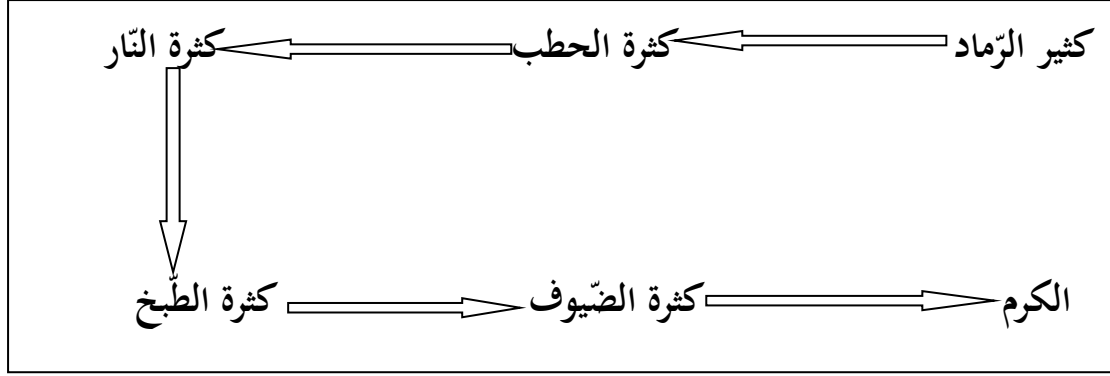
(عبد الرحمن بن إسحاق، أبو القاسم، 337هـ)، حروف المعاني والصفات، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1981م، ص280، وابن جني (أبو الفتح، عثمان بن جني، 392هـ)، سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م، ج2، ص225، والثعالبي (عبد الملك بن محمد، أبو منصور، 429هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ-2002م، ص251.

⁽¹⁾ ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص66.

⁽²⁾ النّجاد: هي حمائل السيف. ينظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص305.

⁽³⁾ ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح، ص243، والمراغي، علوم البلاغة، ص302.

⁽⁴⁾ ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح، ص243، وأحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص288.



وذكر السكاكي في مفتاح العلوم أربعة مصطلحات وهي : التلويح والرمز والإشارة والإيماء، أما التلويح فهو الكناية التي كثرت فيها الوسائط بين الصفة المذكورة ولازمها كما رأينا في (كثير الرماد)، وأما الرمز فهو الكناية التي قلّت فيها الوسائط بين الصفة المذكورة ولازمها مع نوع من الخفاء كقولهم: (عريض القفا) في الكناية عن الأبله، وأما الإشارة والإيماء فهي الكناية التي قلّت فيها الوسائط دون خفاء كقولهم: (طويل النجاد) كناية عن طول القامة⁽¹⁾.

2-2- الكناية عن موصوف

المقصود بالموصوف هنا الذات⁽²⁾، وضابط هذا القسم أن "يذكر في الكلام صفة أو عدّة صفات لها اختصاص ظاهر بموصوف معيّن، ويقصد بذكرها الدلالة على هذا الموصوف"⁽³⁾.

والصفة المذكورة في هذا القسم ليست كالصفة المذكورة في القسم الأوّل، ففي القسم الأوّل تذكر الصفة ويراد لازمها، وفي هذا القسم تذكر الصفة والغرض منها التوصل بها إلى موصوف معيّن مكّن عنه⁽⁴⁾.

ومن أمثلة هذا القسم قول الشاعر:

(1) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص411.

(2) ينظر: عبد الله الفرهاوي، أحسن الصياغة، ص24.

(3) بسيوني عبد الفتاح، علم البيان، ص226-227.

(4) ينظر: فضل حسن عباس، أساليب البيان، ص344.

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَيْضٍ مَحْدَمٍ والطَّاعِينَ مَجَامِعِ الْأَضْغَانِ (1)

فقوله: (مجامع الأضغان) كناية عن موصوف وهو القلب ؛ لأنّ مجتمع الأحقاد فيه. وجعل السَّكَاكِيّ هذا القسم من الكناية يقرب تارة ويبعد أخرى، فالكناية القريبة كالمثال الذي مرّ آنفاً، والبعيدة أن تتكلّف اختصاص صفة بموصوف بأن تضمّ إلى لازم لازماً آخر وآخر فتلقّق مجموعاً وصفيّاً مانعاً من دخول كلّ ما عدا مقصودك فيه مثل قولهم كناية عن الإنسان: (حيّ مستوي القامة عريض الأظفار) (2).

وعبر الخطيب القزويني عن الكناية القريبة في هذا القسم بقوله: ما كان معنى واحداً، وعن البعيدة بقوله: ما كان مجموع معانٍ، وشرط في كلّ منهما الاختصاص بالمكنّى عنه وعدم تعدّيه ليحصل الانتقال منها إليه (3).

2-3- الكِنَايَةُ عَنْ نِسْبَةٍ

ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه (4)، وهذا القسم من ابتداء الجرجاني؛ لأنّ السّابِقِينَ لم يتحدثوا عنه في فصل الكناية (5).

(1) البيت من الكامل وهو لعمر بن معدى كرب الزبيدي ينظر: شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي، تح: مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط2، 1405هـ-1985م، ص174، والآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، ج1، ص316، والعسكري، كتاب الصناعتين، ص234، والراغب الأصفهاني (أبو القاسم، الحسين بن محمد، 502هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تح: عمر الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط1، 1420هـ، ج2، ص176، وأبو الفتح العباسي (عبد الرحيم بن عبد الرحمن، 963هـ)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت، دط، 1947م، ج2، ص172.

(2) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص404.

(3) ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح، ص242.

(4) ينظر: بدوي طبانة، البيان العربي، ص344.

(5) ينظر: أحمد مطلوب، الجرجاني بلاغته ونقده، ص158.

الفصل الثالث: العدول الكنائس

قال الجرجاني شارحا هذا القسم: «وتفسير هذه الجملة وشرحها: أَهْمُ يَرُومُونَ وَصَفَ الرَّجُلَ وَمَدَحَهُ، وَإِثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى الشَّرِيفَةِ لَهُ، فَيَدْعُونَ التَّصْرِيحَ بِذَلِكَ، وَيُكْتَبُونَ عَنْ جَعْلِهَا فِيهِ بِجَعْلِهَا فِي شَيْءٍ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ وَيَتَلَبَّسُ بِهِ، وَيَتَوَصَّلُونَ فِي الْجُمْلَةِ إِلَى مَا أَرَادُوا مِنَ الْإِثْبَاتِ، لَا مِنْ الْجِهَةِ الظَّاهِرَةِ الْمَعْرُوفَةِ، بَلْ مِنْ طَرِيقٍ يَخْفَى، وَمَسَلِّكَ يَدِقُّ»⁽¹⁾.

ومن الأمثلة التي أوردتها الجرجاني على هذا القسم قول زياد الأعجم:

إِنَّ السَّمَاخَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضَرَبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ⁽²⁾

ففي هذا البيت كناية عن نسبة السَّمَاخَةِ والمُرُوءَةِ والنَّدَى إلى الممدوح وهو ابن الحَشْرِجِ⁽³⁾، وإذا أردت مزيد بيان فانظر إلى شرح الجرجاني الماتع لهذا البيت وهو يقارن بين التصريح بالأوصاف للممدوح والعدول عنها إلى الكناية والتلويح، يقول الجرجاني: «أراد، كَمَا لَا يَخْفَى، أَنَّ يُثَبَّتَ هَذِهِ الْمَعْنَى وَالْأَوْصَافَ خِلَالاً لِلْمَمْدُوحِ وَضَرَائِبَ فِيهِ، فَتَرَكَ أَنَّ يُصَرِّحَ فَيَقُولَ: "إِنَّ السَّمَاخَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى لِمُجْمُوعَةٍ فِي ابْنِ الْحَشْرِجِ، أَوْ مَقْصُورَةٍ عَلَيْهِ، أَوْ مُحْتَصَّةٍ بِهِ"، وَمَا شَاكَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ صَرِيحٌ فِي إِنْبَاتِ الْأَوْصَافِ لِلْمَذْكُورِينَ بِهَا، وَعَدَلَ إِلَى مَا تَرَى مِنَ الْكِنَايَةِ وَالتَّلْوِيحِ، فَجَعَلَ كَوْنَهَا فِي الْقُبَّةِ الْمَضْرُوبَةِ عَلَيْهِ، عِبَارَةً عَنْ كَوْنِهَا فِيهِ، وَإِشَارَةً

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص306.

(2) البيت من الكامل وهو لزياد الأعجم . ينظر: شعر زياد الأعجم، تح: يوسف حسين بكار، دار المسيرة، عمان، ط1، 1403هـ-1983م، ص49، والجرجاني، دلائل الإعجاز، ص306، والزحشري (أبو القاسم، محمود بن عمرو، جار الله، 538هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، تح: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 1412هـ، ج4، ص386، والسكاكي، مفتاح العلوم، ص407، والسبكي، عروس الأفراح، ج2، ص214، وأبو الفتح العباسي، معاهد التنصيص، ج2، ص173.

(3) هو عبد الله بن الحَشْرِجِ بن الأشهب بن ورد بن عمرو، الجعديّ؛ أحد سادات قيس، ولي أكثر أعمال خراسان، وبعض أعمال فارس وكرمان. كان شاعراً، جواداً، مقرّناً لبني أميّة. توفي نحو سنة 90 هـ. ينظر في ترجمته: الصفدي (خليل بن أبيك، صلاح الدين، 764هـ)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، دط، 1420هـ-2000م، ج17، ص77-78، وأبو الفتح العباسي، معاهد التنصيص، ج2، ص173.

الفصل الثالث: العدول الكنائى

إليه، فخرَجَ كلامُهُ بِذَلِكَ إلى ما خَرَجَ إليه مِنَ الجزالةِ، وظهرَ فيه ما أنت ترى مِنَ الفخامةِ، وَلَوْ أَنَّهُ أَسْقَطَ هذه الواسطةَ مِنَ البَيِّنِ، لما كَانَ إِلَّا كلاماً غُفْلاً، وحديثاً ساذجاً»⁽¹⁾.

نفهم من الكلام السابق للجرجاني أنّ القسم الثالث من أقسام الكناية هو أحسن الأقسام وأبلغها لدقّة مسلكه ولطيف مأخذه مع ما فيه من الجزالة والفخامة، ممّا يجعل الذهن والخيال يسرحان بين الصّفة والواسطة التي جعلت للموصوف، كما نفهم أيضاً إيماءه إلى علوّ شأن الكناية وأنها أبلغ من التصريح.

⁽¹⁾ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 307.

3-الكناية في سورة البقرة

الكناية فن " برع فيه العرب وأودعوه مكنونات ضمائرهم، وجعلوا العقل يركض من خلاله وراء المعاني المختبئة، وينفذ الخيال إلى دخائل النفس ليخطف من همس المشاعر ما يدلّه على مرامي الكلام وأغراضه " (1).

وقد أجمع العلماء على فضل الكناية وأنها أبلغ من التصريح، يقول الجرجاني: «قد أجمع الجميع على أنّ "الكناية" أبلغ من الإفصاح، والتّعرّض أوقع من التصريح» (2)، ثمّ يمضي الجرجاني في تفسير هذا القول فيقول: «تفسيرُ هذا: أنّ ليس المعنى إذا قلنا: "إنّ الكناية أبلغ من التصريح"، أنّك لما كنّيت عن المعنى زدّت في ذاته، بل المعنى أنّك زدّت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكدّ وأشدّ. فليست المزيّة في قولهم: "جُم الرّماد"، أنّه دلّ على قرى أكثر، بل المعنى أنّك أثبتّ له القرى الكثير من وجهه هو أبلغ، وأوجبته إيجاباً هو أشدّ، ودعّيته دعوى أنّ بها أنطق، وبصحتّها أوثّق» (3).

ولما كانت الكناية من أبلغ أنواع الكلام وأرفعه شأنًا وأدقّه فكرة (4) فلا غرو من غنى التعبير القرآنيّ بالكنايات الجميلة والتّلوحيات البديعة التي لها القدرة " على تصوير منازع النفوس وعواطف الوجدان والأخلاق الاجتماعية والأنماط البيئية وسلوكيات الأفراد والجماعات في السّلم والحرب، في الحياة الظّاهرة وفي المعاشرة المستترة " (5).

(1) محمد الأمين الخضري ، من بيان القرآن، ص105.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص70.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص71.

(4) ينظر: محمد علي السّراج، الباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، دار الفكر - دمشق، ط1، 1403 هـ - 1983م، ص176.

(5) صلاح الدين محمد غراب، من خصائص الكناية القرآنية، مركز آيات للطباعة، مصر، ط1، 1421هـ-2000م، ص6.

الفصل الثالث: العدول الكنائى

وفى هذا المبحث سنحاول الوقوف على شيء من سحر الكناية القرآنية التي أشاد بها الزمخشري حين قال: « وَلَا نَرَى أَحْسَنَ وَلَا أَلْطَفَ وَلَا أَحَزَّ لِلْمَقَاصِلِ مِنْ كِنَايَاتِ الْقُرْآنِ وَآدَابِهِ »⁽¹⁾.

بعد تأملنا في الكنايات التي ذكرها المفسرون في سورة البقرة وجدنا أنه يمكننا جمع بعضها في حقل دلالي واحد، ورأينا أن الحقل الدلالي الذي كثرت فيه الكناية في سورة البقرة هو حقل العلاقات الجنسية أو حقل العلاقة بين الرجل والمرأة، وأن بقية الكنايات في أمور متفرقة، ولهذا آثرنا أن نشرح ونحلل ماورد من الكنايات المنضوية تحت هذا الحقل ونحاول الكشف عن سبب العدول عن التصريح فيها، وسبب اختلاف الألفاظ مع أن المكثي عنه شيء واحد، ثم نشير باختصار إلى بقية الكنايات المتفرقة مع الإحالة على بعض المصادر التي ذكرتها.

—حقل الكنايات الجنسية:

المقصود بالكنايات الجنسية، الكنايات التي يراد منها التعبير عن العلاقات الجنسية، سواء كانت بين الأزواج (الجماع)، أو غير الأزواج (الزنا) حيث نجد أن القرآن يعدل عدولا تاما عن التصريح بها وإيثار الكناية في كل حديث عنها بألفاظ كثيرة - سنتعرف على بعضها - ولم يصرح أبدا بهذا الفعل الجنسي تفاديا للحرج وابتعادا عن كل ما يستهجن ذكره والتزاما بالأدب⁽²⁾، وهذا ما وقف عليه علماؤنا قديما، فقد جعل المبرد أحسن الكناية الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره⁽³⁾.

(1) الزمخشري، الكشف، ج3، ص59.

(2) ينظر: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، دط، 1423 هـ - 2002م، ص553.

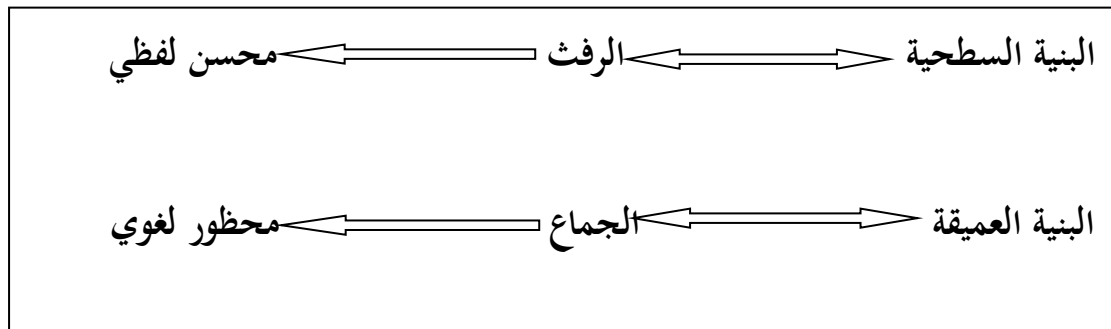
(3) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص215-216.

الفصل الثالث: العدول الكنائسي

ومن المواضع التي وردت فيها الكناية عن الجماع قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧).

في هذه الآية الكريمة نجد أنّ الله عز وجل قد كنى عن الجماع بلفظين هما الرّفث والمباشرة.

أولاً: الرّفث: أثر التعبير القرآني العدول عن لفظ "الجماع" إلى لفظ "الرّفث"، وعندما تقرأ الجملة ناظراً في بنيتها السطحية تجد أنّ لفظ الرّفث محسن لفظي عدلنا إليه تجنباً للمحذور اللغوي الذي هو الجماع الذي يقتضيه السياق ويتجلى في البنية العميقة كما هو موضح في المخطط الآتي:



وأصل الرّفث " كلمة جامعة لكلّ ما يريد الرّجل من المرأة " ⁽¹⁾، وقال الماوردي: «وَأَصْلُهُ فَاحِشُ الْقَوْلِ» ⁽²⁾.

⁽¹⁾ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج 1، ص 255.

⁽²⁾ الماوردي، النكت والعيون، ج 1، ص 244.

الفصل الثالث: العدول الكنائسي

ويكاد يجمع المفسرون على أنّ الرّفث -هنا- كناية عن الجماع⁽¹⁾، بل نقل مكّي بن أبي طالب الإجماع على ذلك فقال: «وهو قول جميع المفسرين»⁽²⁾.

وإذا قارنا لفظ " الرّفث " مع غيره من الألفاظ القرآنية التي يكتّى بها عن الجماع مثل: المباشرة والملازمة والإفضاء والدّخول، وجدنا أنّه اللفظ الوحيد الذي يدلّ أصله على الفحش والقبح، وهذا ما كان مدعاة للتّساؤل عن السّرّ في استعمالها في هذا المقام؟

وإذا أردت الإجابة عن هذا التّساؤل يسعفك سبب التّزول أو مايسمّى سياق المقام؛ ذلك أنّ سبب نزول الآية " أنّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - واقّع امرأته بعد صلاة العشاء في شهر رمضان بعد التّوم، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «مَا كُنْتَ جَدِيرًا بِذَلِكَ»⁽³⁾. فرجع مغتمّاً فنزلت هذه الآية"⁽⁴⁾.

وعلّل الزّخشي إثارة هذه اللفظة الدّالة على معنى القبح على غيرها بأنّ ذلك استهجانٌ لما وجد منهم قبل الإباحة وهو ماسّمّاه أيضاً اختياناً لأنفسهم⁽⁵⁾.

من هنا نرى دقّة استعمال الكلمات في النّظم القرآنيّ حيث استعملت كلمة "الرّفث" التي تتلاءم مع ما وقع فيه الصحابة من الاختيان قبل أن يباح لهم ذلك، ومعلوم أنّ الرّفث أقرب ما يكون إلى التّصريح.

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج3، ص487، والزجاج، معاني القرآن، ج1، ص255، والثعلبي، الكشف والبيان، ج2، ص76، والراغب الأصفهاني، تفسير الراغب، ج1، ص397، والبغوي، معالم التنزيل، ج1، ص228، والزخشي، الكشف، ج1، ص230، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص256، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج1، ص126.

(2) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج1، ص615.

(3) لم نجد هذا الحديث في كتب السنن التي وقفنا عليها.

(4) السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص185-186.

(5) ينظر: الزخشي، الكشف، ج1، ص230.

الفصل الثالث: العدول الكنائسي

ومّا زاد هذه الكناية سحرا وجمالا تعدية الرّفث إلى وإن كان أصله التعدية بالباء لتضمينه معنى الإفضاء⁽¹⁾ وهذا تحسين منه للفظ فصار ذلك قريبا من الكنايات التي جاءت في القرآن كالْتغشي والقربان والمباشرة⁽²⁾.

وتعقّب ابن عرفة الرّمخشريّ في جوابه السابق وقوله إنّ سبب تكنيته بالرّفث دون غيره من الألفاظ من باب الاستهجان بقوله: «وَالْجَوَابُ عِنْدِي بِعَكْسِ هَذَا وَهُوَ أَنَّهُ مَبَالَعَةٌ فِي الْإِبَاحَةِ وَالتَّحْلِيلِ فَعَبَّرَ عَنْهُ بِاللَّفْظِ الصَّرِيحِ حَتَّى لَا يَبْقَى عِنْدَهُمْ فِيهِ شَكٌّ وَلَا تَوْهُمٌ بِوُجْهِهِ»⁽³⁾.

نفهم من كلام ابن عرفة أنّه يرى أنّ الرّفث تصريح ليس فيه كناية، وهذا مارجحه أيضا الطاهر بن عاشور⁽⁴⁾.

ويرى محمد رشيد رضا أنّ هذا غلط فالكلمة "بِمَعْنَى مَا لَا يَحْسُنُ التَّصْرِيحُ بِهِ مِنْ شَأْنِ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ، وَلَيْسَتْ هِيَ مِنَ الْأَلْفَافِ الصَّرِيحَةِ فِي ذَلِكَ، فَالْمَعْنَى أُحِلُّ لَكُمْ ذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّصْرِيحُ بِهِ" ⁽⁵⁾.

ثانيا: المباشرة: ونستفيدا من قوله: (فالآن باشروهن)، وهي في كلام العرب ملاقة بَشَرَةً بِبَشَرَةٍ، وبَشَرَةُ الرَّجُلِ جَلْدَتُهُ الظَّاهِرَةُ⁽⁶⁾ وكُتِّي عن الجماع بالمباشرة لتلاصق كل واحد منهما ببشرة صاحبه⁽⁷⁾.

(1) ينظر: الرّمخشري، الكشف، ج1، ص230.

(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص211-212.

(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج2، ص551.

(4) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص182.

(5) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج2، ص141.

(6) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج3، ص504، والماوردي، النكت والعيون، ج1، ص245، وابن عطية، المحرر

الوجيز، ج1، ص257.

(7) ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان، ج2، ص78.

الفصل الثالث: العدول الكنائس

ومما يؤكّد أنّ المباشرة هنا كناية عن الجماع قول مكّي بن أبي طالب : « المباشرة في هذا الموضع الجماع بدليل قوله: (وابتغوا ما كتب الله لكم)، يُريد الولد بإجماع من المفسرين.

وقد تكون المباشرة في غير هذا الموضع غير الجماع، وكذلك المماسّة ويدلّ أيضاً على ذلك أنّ الرّفث عند جميع المفسرين كناية عن الجماع»⁽¹⁾.

نلاحظ أنّ مكّي بن أبي طالب اعتمد على السياق اللغوي للآية في تحديد مدلول المباشرة وأنها كناية عن الجماع، حيث استعان بالسياق السابق وهو الحديث عن الرّفث، وبالسياق اللاحق الذي ذكر ابتغاء الولد الذي لا يكون إلا بواسطة الجماع.

وهكذا نرى أنّ النظم القرآني استعمل لفظين مختلفين كناية عن شيء واحد، أحدهما الرّفث والآخر المباشرة، وهذا ما يستدعي التساؤل هل هناك فرق دلاليّ بينهما؟

الظاهر من الاستعمال القرآني للألفاظ أنّه يضع كلّ لفظة في سياق لا تصلح فيه لفظة أخرى وهذا ما يقال هنا، فالرّفث يختلف عن المباشرة وهذا ما بيّنه عبد الكريم يونس الخطيب بقوله: « وفي قوله تعالى: «بَاشِرُوهُنَّ» معنى غير الذي يُعطيه «ارْقُتُوا مَعَهُنَّ» إذ المباشرة هي الاتصال المطلق الذي تُحدّد صِفَتُهُ حَسَبَ تَصَرُّفِ الْإِنْسَانِ، وَحَسَبَ الْحَالِ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الرّفث الذي يَحْمِلُ مَعَهُ عِنْدَ الْمُبَاشَرَةِ شَيْئاً مِنَ اللَّهْوِ وَالْعَبَثِ، فَالْأَمْرُ بِالْمُبَاشَرَةِ إِذْ يَعْنِي رَفْعَ الْحَرَجِ، يَعْنِي مَعَ ذَلِكَ أَنَّ يَلْتَزِمَ الْإِنْسَانُ الْقَصْدَ وَالْإِعْتِدَالَ، وَأَنْ يَتَأَلَّفَ هَذَا الْحَيَوَانَ الَّذِي يَكْمُنُ فِيهِ، وَأَنْ يَذْكُرَ فِي تِلْكَ الْحَالِ أَنَّهُ إِنْسَانٌ... فَلَيْسَتْ الْمُبَاشَرَةُ قَضَاءً الشَّهْوَةِ وَإِشْبَاعَ الْغَرِيزَةِ، وَإِنَّمَا هِيَ مَطْلَبٌ كَرِيمٌ، وَرِسَالَةٌ سَامِيَّةٌ، يَنْظُرُ إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ مِنْ خِلَالِ الْمَشَارَكَةِ فِي عُمُرَانِ الْحَيَاةِ، وَنَمَاءِ الْإِنْسَانِ وَحَمْلِ الْمَسْئُورِيَّةِ فِي تَقْدِيمِ الْإِنْسَانِ الصَّالِحِ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ وَهَذَا مَا يُجْعَلُ لِلْمُبَاشَرَةِ مَعْنً يَرْتَفِعُ بِهَا عَنِ الرّفثِ الْحَيَوَانِيِّ، وَالْعَبَثِ الْمَاجِنِ»⁽²⁾.

(1) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج1، ص615-616.

(2) عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج1، ص205-206.

الفصل الثالث: العدول الكنائسي

يُتَّضح من كلام عبد الكريم يونس الخطيب أنَّ جوهر الاختلاف في استعمال الرِّفث والمباشرة هو القصد، فالرِّفث يكون القصد منه اللّهُو واللَّعب والعبث مع الزَّوجة فهو قضاء للشَّهوة وإشباع للغريزة مع المرح واللّهُو المباح، وأمَّا المباشرة فهي اتِّصال مصحوب بالاعتدال والقصد منه -إضافة إلى قضاء الوطر- ابتغاء الولد وحفظ النّسل.

بناء على هذا يتبيّن أن وقت الرِّفث يختلف عن وقت المباشرة، فالرِّفث يكون في الأيّام التي يحلّ فيها جماع الزوجة، وأمّا المباشرة فلا تكون إلّا في الوقت الذي يحدث فيه الإخصاب المقتضي للحمل والولادة.

ومن المواضع التي وردت فيها الكناية عن العلاقة الجنسيّة قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَّوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢ - ٢٢٣).

كَتَى الله عزّ وجلّ في هذا الموضع عن اجتناب المرأة بلفظين: "فاعتزلوا"، و"لا تقربوهنّ" وعن الجماع بقوله: "فأتوهنّ و فأتوا".

أولاً: الاعتزال: الاعتزال في الأصل هو تجنّب الشّيء والبراءة منه بالبدن أو القلب، يقال: عَزَلْتُهُ وَاعْتَزَلْتُهُ وَتَعَزَّلْتُهِ فَأَعْتَزَلْ (١).

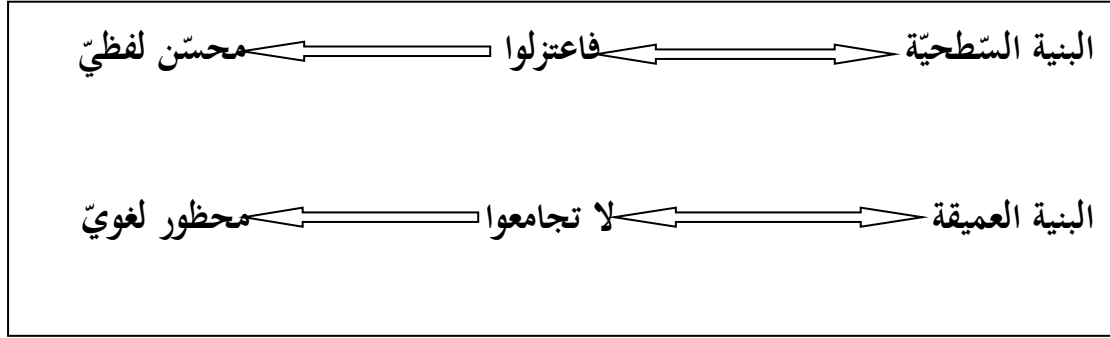
أمّا في هذه الآية الكريمة فهو كناية عن ترك الجماع تجنّباً للأذى والضّرر الذي يحصل من جماع الزّوجة في وقت الحيض (٢).

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 564-565.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 4، ص 375، والسمعي، تفسير القرآن، ج 1، ص 224، والزنجشيري، الكشف، ج 1، ص 265، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 1، ص 222، والشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 259.

الفصل الثالث: العدول الكنائبي

نلاحظ أنّ النصّ القرآنيّ أثر العدول عن القول لا تجمعوهم - وهو محذور لغوي يفهم من النظر في السياق - إلى المحسن اللفظي "فاعتزلوا" الذي تستسيغه الأذن ويؤدّي المعنى المراد.



وليس المراد من الأمر بالاعتزال هنا الاعتزال المطلق أو إخراج المرأة من منزلها وإنّما المراد "ترك الجامعة، لا ترك المجالسة أو الملامسة فإنّ ذلك جائز" (1).

وفي استعمال لفظ "فاعتزلوا" كناية عن عدم الجماع فائدتان:

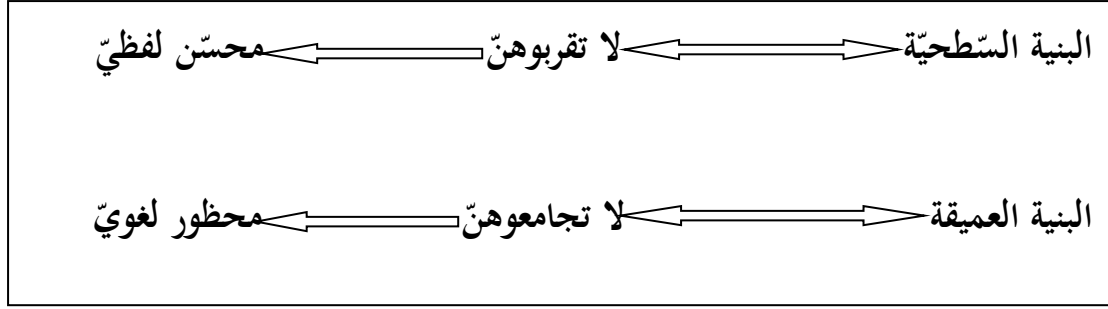
الأولى: منع المباشرة بالامتنال لأمر الله عزّ وجلّ باعتزال النساء.

والثانية: الإشارة إلى "شئ من الإمساك عن المخالطة الدائمة، التي تكون بين الزوجين في غير أوقات الحيض إذ إنّ المرأة في أيام حيضها تكون في أحوال غير طبيعيّة، سواء في حالتها الجسديّة، أو النفسيّة، والإقلال من لقاءها في تلك الحال آمنٌ وأسلم من أن يجد منها زوجها ما لا يرضاه" (2).

ثانياً: القرب أو القربان: هذه الكناية تستفاد من قوله: (لا تقربوهنّ) حيث عدل النظم القرآنيّ عن اللفظ الصريح المحذور لغويّاً (لا تجمعوهم) إلى المحسن اللفظي (لا تقربوهنّ) كما في المخطّط الآتي:

(1) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص259.

(2) عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج1، ص253.



والقُرب والقُربان مصدران للفعل (قرب) وفيه لغتان: قُربَ يقُربُ، وقُربَ يقُربُ، والأوّل فعل لازم والثاني متعدّد، والمعنى فيهما مختلف، فالأوّل يكون بمعنى الدنوّ، والثاني كذلك لكنّه غلب في العرف أنّه مجاز عن اللُّبس أي الاتصال بالشّيء، ولهذا فإنّ الجماع لم يجرى إلّا فيه دون قُرب اللازم⁽¹⁾.

والمراد بالنّهي عن القُربان هنا النّهي عن قرب المباشرة لا قرب الحياة من مؤاكلة ومجالسة وحديث وغيرها⁽²⁾، أي هو نهي عن لازم القرب الذي يقصد منه الوقاع⁽³⁾.

وهنا نلمح أيضاً أنّ التعبير القرآنيّ استعمل لفظين مختلفين كناية عن الشّيء نفسه، فاستعمل (اعتزلوا) و(لا تقربوهن) كناية عن الجماع في مدّة الحيض أي إنّ الموقف واحد وهذا يدعونا للتساؤل عن السّرّ في ذلك ؟

السّرّ في تنويع اللفظين كناية عن الأمر ذاته هو التّشديد في التّحريم وتأكيد الاعتزال وتنويع الأسلوب. قال الطّاهر بن عاشور: «جاء النّهي عن قُربانهم تأكيداً للأمر باعتزالهم وتبييناً للمراد من الاعتزال»⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 663-664، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص 366-367، وأبو زهرة، زهرة التفاسير، ج 2، ص 732.

(2) ينظر: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج 1، ص 253.

(3) ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 2، ص 285.

(4) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص 366، وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 1، ص 222، والقاسمي، محاسن التأويل، ج 2، ص 118.

الفصل الثالث: العدول الكنائس

وقال محمد رشيد رضا: «وَقَدْ أَفَادَتْ عِبَارَةُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَأْكِيدَ الْحُكْمِ إِذْ أَمَرَتْ بِاعْتِرَالِ النِّسَاءِ فِي زَمَنِ الْمَحِيضِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ تَرْكِ غَشْيَانِهِنَّ فِيهِ، ثُمَّ بَيَّنَّتْ مُدَّةَ هَذَا الْإِعْتِرَالِ بِصِيغَةِ النَّهْيِ، وَالْحِكْمَةُ فِي التَّأْكِيدِ هِيَ مُقَاوَمَةُ الرَّغْبَةِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي مُلَابَسَةِ النِّسَاءِ وَإِقْفَافُهَا دُونَ حَدِّ الْإِيْدَاءِ»⁽¹⁾.

نستخلص من النصين السابقين أنّ في استعمال الكناية الثانية (لا تقربوهنّ) عدّة أغراض منها:

1- تأكيد حكم اعتزال النساء في مدّة الحيض.

2- بيان أنّ هذا الاعتزال ليس مطلقاً - كما ظنّ بعض الناس - وإنما هو كفٌّ عن الجماع ليس غير؛ ذلك أنّه " لما كان الاعتزال قولاً مشتركاً ويكتفى به عن العدول عنها عند الفراغ وعن مجانبة ذلك الموضع وعن مجانبتها رأساً، قال تعالى: (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ) ليدلّ باللفظتين الكنايتين على مجانبة مُبَاضَعَتِهِنَّ، وعلى جواز التمتع بها منها دون الفرج المدلول عليه بقول النبيّ - عليه السلام: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْجِمَاعَ»⁽²⁾ " ⁽³⁾.

3- بيان مدّة هذا الاعتزال المستفادة من "حتى" التي تفيد الغاية، فمدّة اعتزال الرجل للمرأة من أول الحيض إلى أن تطهر وتغتسل.

⁽¹⁾ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج2، ص286.

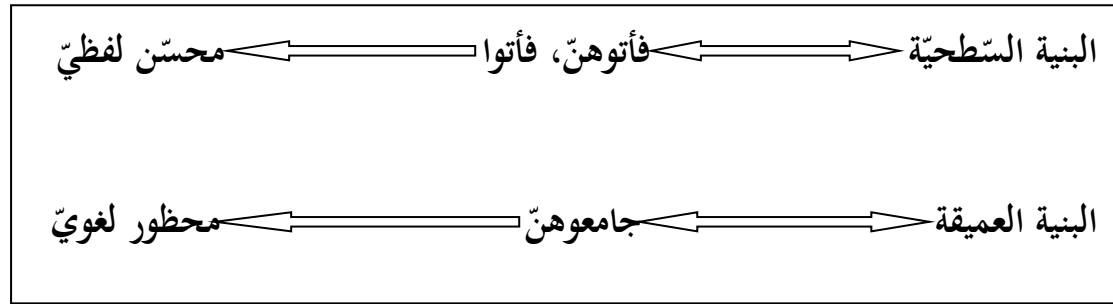
⁽²⁾ ابن ماجه (أبو عبد الله، محمد بن يزيد، 273هـ)، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دط، دت، باب ما جاء في مؤاكلة الحائض وسورها، رقم 644، ج1، ص211، والنسائي (أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، 303هـ)، السنن الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1421 هـ - 2001م، باب مَا يُنَالُ مِنَ الْخَائِضِ تَأْوِيلُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ)، رقم 9049، ج8، ص228.

⁽³⁾ الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، ج1، ص457.

الفصل الثالث: العدول الكنائى

4-التنوع فى الأسلوب بين الأمر والنهى وهذا أكد فى الردع وأكثر فى التشنيع وأبلغ فى التحريم.

ثالثا: الإتيان: هذه الكناية تستفاد من قوله: (فأتوهنّ) وقوله: (فأتوا حرثكم) حيث نلاحظ أنّ النّظم القرآنيّ قد أثر العدول عن المحذور اللّغوي (جامعوهنّ) إلى المحسّن اللفظيّ (فأتوهنّ، فأتوا) كما فى المخطّط الآتي:



بعد تقدّم الأمر باعتزال النّساء فى مدّة الحيض والنّهي عن قربانهنّ فيها حتّى تحصل الطّهارة وتغتسل المرأة جاء الأمر بإباحة قربان الزّوج لزوجته وملابستها بعد طهارتها واغتسالها فقال: (فأتوهنّ)، وقد أجمع المفسّرون على أنّ الأمر بالإتيان هنا يقصد به إباحة الجماع⁽¹⁾.

والأصل فى الإتيان فى اللّغة هو المجيء بسهولة⁽²⁾، فدلّ هذا على أنّ تحيّر هذا اللفظ ليكون كناية عن الوقوع يوحى بسهولة الأمر ويسره على الزّوج بعد أن تكبّد مشقّة عدم قربان زوجته أيّاما " وهى دلالةٌ نفسيّة ملحوظة بعد تطهّر الزّوجة ... وتعمّق هذه الدّلالة بتكرار كناية الإتيان فى السّياق (فأتوا حرثكم) متواشجة مع التشبيه البليغ (نساؤكم حرث لكم...) "⁽³⁾.

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج4، ص385، وابن الجوزي، زاد المسير، ج1، ص190، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص90، والنسفي، مدارك التنزيل، ج1، ص185، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص425، والثعالبي، الجواهر الحسان، ج1، ص449.

(2) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات فى غريب القرآن، ص60.

(3) أحمد فتحي رمضان، الكناية القرآنية موضوعها ودلالاتها البلاغية، ص91.

الفصل الثالث: العدول الكنائى

بهذا يجلى لنا التعبير القرآنى جانباً من جوانب تلك العلاقة العميقة بين الرجل وزوجته ويحفها بسياق الحرث الذى يوحى بالإخصاب والتوالد والنماء⁽¹⁾.

وفي كناية الإتيان دلالة أخرى على أن الاعتزال المأمور به ليس على إطلاقه بل هو مقيد بالمباشرة فقط، يقول الكيا هراسي: «فَمَدَّ التَّحْرِيمَ إِلَى غَايَةِ التَّحْلِيلِ، فَذَكَرَ بَعْدَ الْغَايَةِ الْإِتْيَانَ، فَدَلَّ أَنَّ الْحَرَّمَ قَبْلَهُ هُوَ الْإِتْيَانُ فَقَطُّ»⁽²⁾.

وهكذا نرى كيف تعاضدت هذه الكنايات الثلاث في توضيح المعنى وتجليته، ودفع بعض الأوهام التي قد تقع في فهم النص القرآنى مع إضفاء لمسة بيانية حانية راقية وجو بلاغي بديع.

ومن المواضع التي وردت فيها الكناية عن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة قوله تعالى:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ

﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ، وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرَهُ، مَتَّعَابًا مَعْرُوفٍ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ (البقرة: ٢٣٥ - ٢٣٧).

ففي هذه الآيات وردت كنايتان:

(1) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 1، ص 242.

(2) الكيا هراسي، أحكام القرآن، ج 1، ص 136.

الفصل الثالث: العدول الكنائسي

الأولى: نستفيدها من قوله: (لا تواعدوهن سرًا)، فالسر كناية عن الجماع أو الزنا، قال الزمخشري: «وَالسَّرُّ وَقَعَ كِنَايَةً عَنِ النِّكَاحِ الَّذِي هُوَ الْوَطْءُ، لِأَنَّهُ مِمَّا يَسْرُ... ثُمَّ عُبِّرَ بِهِ عَنِ النِّكَاحِ الَّذِي هُوَ الْعَقْدُ لِأَنَّهُ سَبَبٌ فِيهِ ... وَقِيلَ مَعْنَاهُ: لَا تُوَاعِدُوهُنَّ جَمَاعًا، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ لَهَا: إِنْ نَكَحْتُكَ كَانَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ، يُرِيدُ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا تَحْتَ اللَّحَافِ... وَقِيلَ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا: أَيِ فِي السَّرِّ عَلَى أَنَّ الْمَوَاعِدَةَ فِي السَّرِّ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَوَاعِدَةِ بِمَا يُسْتَهْجَنُ، لِأَنَّ مُسَارَتَهُنَّ فِي الْغَالِبِ بِمَا يُسْتَحْيَا مِنَ الْجَاهَرَةِ بِهِ»⁽¹⁾ وعلى هذا جمهور المفسرين⁽²⁾.

وذهب ابن عاشور إلى أَنَّ السَّرَّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يَكْتَبِي بِهِ عَنِ الْجَمَاعِ لَكِنَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَرَادُ بِهِ حَقِيقَتُهُ وَهُوَ خِلَافُ الْجَهْرِ، وَبِهَذَا خَالَفَ جُمْهُورُ الْمَفْسِّرِينَ الَّذِينَ يَرَوْنَ السَّرَّ هُنَا كِنَايَةً⁽³⁾.

ومن الشواهد التي يستدلون بها لوقوع السر كناية عن الجماع أو الزنا قول امرئ القيس:

أَلَا زَعَمْتَ بَسْبَاسَةَ الْحَيِّ أَنَّنِي كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنَ السَّرَّ أَمْثَالِي⁽⁴⁾

(1) الزمخشري، الكشف، ج1، ص283-284.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج5، ص105، والزجاج، معاني القرآن، ج1، ص318، والماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج2، ص193، والثعلبي، الكشف والبيان، ج2، ص186-187، ومكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج1، ص788، والماوردي، النكت والعيون، ج1، ص304.

(3) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص453.

(4) البيت من الطويل، وهو لامرئ القيس في ديوانه، ص136، والقرشي، جمهرة أشعار العرب، ص15، والقاسم بن سلام، غريب الحديث، ج1، ص238، وابن دريد، جمهرة اللغة، (سرر)، ج1، ص121، والأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ج1، ص108، والفارابي، ديوان الأدب، ج3، ص30، والقالي (أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، 356هـ)، البارع في اللغة، تح: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت، ط1، 1975م، ص111، وابن الشجري (أبو السعادات، هبة الله بن علي، ضياء الدين، 542هـ)، أمالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413 هـ - 1991م، ج2، ص172.

الفصل الثالث: الحدود الكنائية

الثانية: ونستفيد منها من قوله: (ما لم تمسوهن)، فالمس أو المسيس كناية عن الجماع بإجماع المفسرين⁽¹⁾.

والمسيس في الأصل من مَسَّهُ يَمْسُهُ مَسًّا وَمَسِيسًا وهو الجَسَّ باليد من غير حائل⁽²⁾ وَيُعَبَّرُ عَنْ إِصَابَةِ كُلِّ شَيْءٍ لِلْإِنْسَانِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَنَفْعٍ وَضُرٍّ⁽³⁾.

والحاصل أنّ موضوع الآية الكريمة هو حق المرأة في حال الطلاق قبل الدخول، سواء أكان ثمة فرض أم لم يكن فرض، وإذا كان ثمة نفي للإثم فهو عن الطلاق في هذه الحال ولا يقتضي نفي الإثم في غيرها، فإنّ الفرق قبل الدخول وبعده واضح، فالضرر الواقع على المرأة قبل المسيس أقلّ، لأنّه لم يُستوف بعد شيء من أحكام الزواج، ولم توثّق الصّلة فيها بأولاد، أمّا الطلاق بعد المسيس، فإنّ جُلَّ أو كلّ أحكام الزواج فيها تكون قد استوفيت، والضرر فيها أشدّ⁽⁴⁾.

أمّا عن سرّ اختيار لفظ (تمسوهن) دون غيره فراجع إلى ما يفيد هذا اللفظ من التدرّج في المسيس الذي ينشأ من المدلول الحقيقيّ له وهو الجَسَّ باليد دون حائل إلى أن يصل إلى مدلوله المجازي وهو الجماع، فكأنّ الله عز وجل ينبّهنا أنّ الضرر الذي يلحق المرأة من جرّاء الطلاق يزداد تدريجيّاً من أوّل المسّ إلى آخره، وأنّ ارتفاع الإثم ينقص بارتفاع درجة المسيس، ولا شكّ أنّ نفسيّة المرأة تتأثّر بمجرد الطلاق فما بالك إذا كانت هناك ملامسة ومداعبة - لا تصل إلى حدّ الجماع - مع زوجها قبل أن يدخل بها سيكون أثره بليغاً، ففي اختيار المسيس للكناية في هذا السياق تنفير من الطلاق ومراعاة لنفسيّة المرأة.

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج5، ص118، وابن أبي زمنين، تفسير ابن أبي زمنين، ج1، ص239، ومكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج1، ص790، والطنطاوي، التفسير الوسيط، ج1، ص541.

(2) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص271، والفيومي، المصباح المنير، ج2، ص572.

(3) ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج2، ص340.

(4) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج2، ص828.

الفصل الثالث: العدول الكنائى

هذه هي الكنايات الجنسية الّتي وقفنا عليها في سورة البقرة، وقد رأينا أنّ النّظم القرآنيّ استعمل في هذه السّورة سبعة ألفاظ كناية عن صفة واحدة وهي " الجماع " وهذه الألفاظ هي: الرّفث، والمباشرة، والاعتزال، والقربان، والإتيان، والسّرّ، والمسيس وكلّها - كما ترى - ألفاظ حسنة مهذّبة.

أمّا عن السّرّ في العدول عن التّصريح بلفظ الجماع إلى هذه الألفاظ فيمكننا أن نلخّصه في ثلاثة أمور:

1- اتّباع سنن العرب في كلامها؛ ذلك أنّ " الكناية عمّا يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه من سنن العرب " ⁽¹⁾، والقرآن أرقى كلام وأفصح وأبلغه فكناياته بلا شكّ " تربي الذّوق وتمنع عن الأسماع الألفاظ الّتي يجافي سماعها الأذواق السّليمة؛ وكم للقرآن الكريم من كنايات ومجازات تعلو بمستوى القارئ، ولها وضوح وقصد إلى المعاني من غير خطأ في الفهم، ولا غموض في الموضوع " ⁽²⁾.

2- صيانة مكانة المرأة والحفاظ على مشاعرها وأحاسيسها مع زوجها وأولادها وأسرقتها، وهذا دأب النّصّ القرآني في خطابه الموجه للمرأة حيث يراعي في جميع الحالات مشاعرها المرهفة ⁽³⁾.

3- وسم العلاقة الزوجيّة بللمسة حانية رقيقة تمنحها شفافيّة ورفقا ونداوة، وتنتأى بها عن غلظ المعنى الحيوانيّ وعرامته، وتوقظ معنى السّرّ في تيسير هذه العلاقة ⁽⁴⁾.

(1) القاسمي، محاسن التأويل، ج2، ص41.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج2، ص731-732.

(3) ينظر: محمد الحجوي، في رحاب القرآن، ص186.

(4) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص174.

الفصل الثالث: العدول الكنائس

بعد وقوفنا على الكنائس الجنسية في سورة البقرة وتعرضنا لها شرحا وتحليلا نشير إلى باقي الكنائس بإيجاز مع بيان نوعها والإحالة على المصادر التي ذكرتها.

الموضع الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ٨٨).

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (فقليلًا ما يؤمنون) وهي كناية عن صفة العدم؛ لأنَّ الشَّيْءَ إذا قلَّ آل إلى الاضمحلال فكان الانعدام لازما عرفيًا للقلَّة (1).

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّحٍ ۚ مِنْ الْعَذَابِ ۚ أَنْ يُعَمَّرَ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٩٦).

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (ألف سنة) وهي كناية عن صفة الكثرة، فليس المراد خصوص الألف (2)، أو هي كناية عن أكبر عدد (3)، أو الزَّمان الطَّويل (4).

الموضع الثالث: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٧).

(1) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 600.

(2) ينظر: القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج 1، ص 229، ومحمد صافي، الجدول، ج 1، ص 207، واطفيش الحاج محمد بن يوسف (1332هـ)، تيسير التفسير، تح: إبراهيم بن محمد طلاي، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، دط، 1417هـ-1996م، ج 1، ص 189-190، ومحمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، منشورات دار الحكمة، دمشق، دط، 1402هـ-1982م، ج 1، ص 164.

(3) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج 1، ص 325.

(4) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 1، ص 501.

الفصل الثالث: العدول الكنائس

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (لما بين يديه) وهي كناية عن صفة السبق، قال ابن عاشور: «وَالْمُرَادُ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مَا سَبَقَهُ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ السَّبْقِ لِأَنَّ السَّابِقَ يَجِيءُ قَبْلَ الْمَسْبُوقِ»⁽¹⁾.

الموضع الرابع: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠١).

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (فنبذوه وراء ظهورهم) وهي كناية عن صفة الإعراض عن التوراة بالكلية⁽²⁾ أو عدم العمل بها والأخذ بتعاليمها⁽³⁾.

الموضع الخامس: قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٤).

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (شطر المسجد الحرام) وهي كناية عن موصوف وهو الكعبة المشرفة⁽⁴⁾.

الموضع السادس: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤).

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 622.

(2) ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط 1، 1417 هـ - 1997 م، ج 1، ص 74، ووهبة الزحيلي، المنير، ج 1، ص 238.

(3) ينظر: محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعراجه وبيانه، ج 1، ص 170.

(4) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 178، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص 28.

الفصل الثالث: العدول الكنائس

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (لا يكلّمهم الله) وهي كناية عن صفة الغضب والسخط وعدم الرضا⁽¹⁾.

الموضع السابع: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ۖ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ (البقرة: ١٩٦).

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (أو به أذى من رأسه) وهي كناية عن موصوف وهو القمل والوسخ الشديد أو الجراح⁽²⁾.

الموضع الثامن: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥).

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (يهلك الحرث والنسل) وهي كناية عن صفة الإيذاء الشديد⁽³⁾.

الموضع التاسع: قَالَ تَعَالَى: ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: ٢١٢).

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (بغير حساب) وهي كناية عن صفة السعة وعدم التقدير والتضييق⁽⁴⁾.

(1) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج2، ص51، والشوكاني، فتح القدير، ج1، ص197، ومحمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج2، ص85، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص124.

(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص241، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص206، والشوكاني، فتح القدير، ج1، ص225، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص224.

(3) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل، ج2، ص38، وأبو زهرة، زهرة التفاسير، ج2، ص641.

(4) ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج2، ص218، ووهبة الزحيلي، المنير، ج2، ص231.

الفصل الثالث: العُدُولُ الكُنَائِيَّ

الموضع العاشر: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْبِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ^١ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ^٢ الْآخِرِ^٣﴾ (البقرة: ٢٢٨).

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (أن يكتمن) وهي كناية عن صفة الإسقاط أي إسقاط الجنين^(١).

الموضع الحادي عشر: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مُّبتَلَوْنَ مِنْهُ^٤ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً^٥ بِيَدِهِ^٦ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ^٧ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا^٨ مَعَهُ^٩ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ^{١٠} قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَفِقُوا^{١١} اللَّهُ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً^{١٢} كَثِيرَةً^{١٣} بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ^{١٤}﴾ (البقرة: ٢٤٩).

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (ملاقو الله) وهي كناية عن الموت في مرضاة الله عز وجل شهادة^(٢).

الموضع الثاني عشر: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ^{١٥} وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا^{١٦} قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ^{١٧} اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا^{١٨} فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ^{١٩}﴾ (البقرة: ٢٥٩).

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (خاوية على عروشها) وهي كناية عن صفة الخراب أي ذهاب عمران هذه القرية وفناء أهلها وأهم لم تعد لهم باقية^(٣).

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 272.

(٢) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص 499.

(٣) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج 2، ص 960، واطفيش، تيسير التفسير، ج 2، ص 154.

الفصل الثالث: الحدود الكنائية

الموضع الثالث عشر: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ (البقرة: ٢٧٠)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٧٣﴾ (البقرة: ٢٧٣).

الكناية في هذا الموضع في قوله: (فإن الله يعلمه)، وقوله: (فإن الله به عليم)، وهي كناية عن الجزاء أي الجزاء على الإنفاق " لأن علم الله بالكائنات لا يشك فيه السامعون، فأريد لازم معناه، وإنما كان لازماً له لأن القادر لا يصدده عن الجزاء إلا عدم العلم بما يفعله المحسن أو المسيء" (1).

وفي قوله تعالى: (لا يستطيعون ضرباً) كناية عن التجر أو التجارة لأن شأن التاجر أن يسافر لابتاع وبيع فيضرب الأرض برجليه أو دابته (2).

الموضع الرابع عشر: قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٢٨٥﴾ (البقرة: ٢٨٥).

الكناية في هذه الآية الكريمة في قوله: (سمعنا) وهي كناية عن الرضا والقبول والامتثال (3).

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص66، وابن باديس (عبد الحميد الصنهاجي، 1359هـ)، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ-1995م، ص354، والطنطاوي، التفسير الوسيط، ج1، ص620.

(2) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص74.

(3) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص133.

الفصل الثالث: العدول الكنائسي

بهذا نكون قد أُنهِينا الحديث عن الكناية التي تعدّ من أساليب العدول التي تحتوي أسراراً لطيفة ونكتاً بديعة كيف لا وقد أطبق الجميع على أنّها أبلغ من الإفصاح⁽¹⁾.

فإذا كانت الكناية في كلام العرب وشعرهم تسحر الأبواب وتسي العقول فكيف بها في أفصح كلام، وأبلغ كتاب، لا شك أنّها بلغت دقّة لانهاية لها في اللّطف وسرعة النّفاذ إلى القلوب والعقول⁽²⁾.

ومّا جعل الكناية تسمو هذا السّمو وتبلغ هذه المنزلة أنّها تثبت الصّفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، وذلك آكد وأبلغ في الدّعوى⁽³⁾، وكذلك أنّها لا تعطيك المعنى صراحة بل تومئ إليه من بعيد فتتطلّع النّفس إليه، وتتشوّق له فتسعى إلى إماطة اللّثام عن وجهه وسبر غوره فتتحقّق السّعادة وتحصل الإفادة⁽⁴⁾.

بعد وقوفنا على مواطن الكناية في سورة البقرة لم يبق مجال للشكّ أنّ للكنايات القرآنيّة خصائص تميّز بها وتجعلها على هذه الدّرجة من الجمال البديع والرّونق الساحر نذكر منها:

1- الكنايات القرآنيّة تبرز المعاني المعقولة في صور محسوسة وتجعلها مشهودة ملموسة تزخر بالحياة وتضجّ بالحركة فيكون ذلك أدعى إلى تأكيدها في النّفس ورسوخها في الرّوح⁽⁵⁾، فانظر مثلاً إلى الكناية في قوله تعالى: ﴿بَدَأَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠١). -التي سبق وأن قلنا إنّ فيها كناية عن الإعراض عن التّوراة بالكلّيّة- كيف أنّك تتخيّل الصّورة المحسوسة ماثلة أمامك صورة من يرمي شيئاً وراء ظهره ويتولّى غير آبه ولا مبالٍ.

(1) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص70.

(2) ينظر: محمد الحجوي، في رحاب القرآن، ص186.

(3) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص72.

(4) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص306.

(5) ينظر: السيد جعفر باقر، أساليب البيان في القرآن، ص714.

الفصل الثالث: العدول الكنائى

2- الكنايات القرآنية تضرب صفحا عن كل لفظ يقبح في الذكر أو يسمح في الأذن أو يחדش الحياء بل تعدل عنه إلى ألفاظ حسنة مهذبة ترضي الذوق وتراعي الأدب والحشمة، وقد أحسن محمد رشيد رضا وأجاد القول حين وصف كناية من كنايات القرآن فقال: « وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ هِيَ أْبْلَغُ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ دَقَائِقِ كِنَايَاتِ النَّزَاهَةِ، تَقْرُؤُهَا خِرَائِدُ الْعَذَارَى جَهْرًا، وَيَفْهَمُنَ مَا تُومِئُ إِلَيْهِ مِمَّا يَكُونُ سِرًّا، وَهُنَّ عَلَى بُعْدٍ مِنْ خَطَرَاتِ الْحُجْلِ أَنْ تَمَسَّ وَجَدَانَهُنَّ الرَّقِيقَ بِأَطْرَافِ أُنَامِلِهَا، فَلْيُقْلُوهُنَّ الْأَمَانُ مِنْ تِلْكَ الْخُلُجَاتِ الَّتِي تَدْفَعُ الدَّمَ إِلَى الْوَجَنَاتِ »⁽¹⁾

ومن الخصائص المهمة للكناية القرآنية أنها إذا اشتهرت وكان المكنى عنه مما يقبح ذكره عدل عنها إلى لفظ آخر غير مشهور، ولعلّ هذا هو السر في كثرة الكنايات الدالة على الجماع في القرآن الكريم، وقد أشار إلى هذه الخصيصة الراغب الأصفهاني فقال: « لَأَنَّ أَسْمَاءَ الْجَمَاعِ وَالْفَرْجِ وَالْعَائِطِ فِي لِسَانِهِمْ كِنَايَاتٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا عُنُوا بِإِخْفَاءِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَحَقُّوا أَيْضًا أَسْمَاءَهَا، فَعَدَلُوا عَنِ التَّصْرِيحِ إِلَى الْكِنَايَاتِ. حَتَّى إِنَّهُمْ مَتَى عُرِفَ فِيمَا بَيْنَهُمْ كِنَايَةٌ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَدَلُوا إِلَى كِنَايَةٍ أُخْرَى، وَمَنْ تَتَبَعَ كَلَامَهُمْ عَرَفَ مَا قُلْتُهُ »⁽²⁾.

3- الكنايات القرآنية طريق من طرق الاختصار والإيجاز لأنها تومئ إلى المعنى من بعيد دون تفصيل مملّ وهذا ينمّ على بلاغة واضحة وبيان فذّ.

بعد وقوفنا على تجليات العدول الكنائى في النظم القرآني، ورؤيتنا لبعض الأسرار الكامنة وراء هذا العدول ننتقل إلى نوع آخر من أنواع العدول الدلالي وهو العدول المعجمي لنرى بعض تجلياته في سورة البقرة.

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج5، ص58.

(2) الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب، ج3، ص1159.

الفصل الرابع

العدول المعجمي

الفصل الرابع: العدول المعجمي

العدول المعجمي هو القسم الرابع من أقسام العدول الدلالي، ويتعلق هذا القسم أساسا بالوحدة المعجمية أو اللفظة أو الكلمة باعتبارها " أصل الدقة في التعبير والوضوح في المعنى والصدق في الدلالة " (1).

وإذا كان العدول المعجمي يتعلق بالألفاظ فليس الأمر على إطلاقه، بل يتعلق بالألفاظ التي تلتقي مع بعضها بعلاقة شبه الترادف (2)، أو ما يسمى بالتّرادف الجزئي (3)؛ ذلك أنّ بعض الألفاظ تبدو من النظرة السطحية مترادفة وذات معنى واحد، ولكن إذا دققنا النظر في سياقها الذي وردت فيه وجدنا أنّها تنفرد ببعض الدلالات التي أهلتها أن تقع في ذلك المكان وتحلّ في ذلك الموضع، ولو وضعنا الكلمة الشبيهة بها في موضعها لنقص المعنى إن لم يفسد ويتغيّر.

ولأجل هذا أنكر بعض العلماء وقوع التّرادف في اللغة (4)، بل نجد من ألف في بيان الفروق اللغوية كأبي هلال العسكري الذي علّل ما ذهب إليه بقوله: «الشّاهد على أنّ اختلاف العبارات والأسماء يُوجب اختلاف المعاني أنّ الاسم كلمة تدلّ على معنى دلالة الإشارة وإذا أُشير إلى الشيء مرّة واحدة فعُرف بالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يُفيد، فإن أُشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أُشير إليه في الأول كان ذلك صواباً، فهذا يدلّ على أنّ كلّ اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين

(1) فضل حسن عباس وسناء فضل حسن عباس، إعجاز القرآن، دار الفرقان، مصر، ط5، 2004م، ص166.

(2) ينظر: خليل حلمي، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1998م، ص133.

(3) ينظر: محمد علي الخولي، علم الدلالة " علم المعنى "، دار الفلاح، الأردن، دط، 2001م، ص94-95.

(4) ينظر: ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة، ص59-60، والسيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1، ص317-318.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

مَنْ الْأَعْيَانُ فِي لُغَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مَهُمَا يُقْتَضِي خِلَافَ مَا يُقْتَضِيهِ الْآخَرُ وَإِلَّا لَكَانَ الثَّانِي فَضْلًا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ» (1).

يتّضح من كلام العسكري أنّ واضع اللغة - لحكمته البالغة - لا يضع كلمتين أو أكثر لمعنى واحد إلا إذا كانت هناك سمات دلالية زائدة في كلّ لفظة وهذا ما اصطلاح عليه بالمعنى المركزي والمعنى الهامشي.

فالمعنى المركزي أو الدلالة المركزية هو ذلك المعنى الذي يقدمه لنا أصحاب المعاجم، ويسمى أيضا ألفاظ المعاجم، والعناصر المعجمية، والمعنى القاعدي، واللغة المنطقية (2).

والمعنى الهامشي أو الدلالة الهامشية هي الدلالات المستفادة من السياق بأنواعه المختلفة ويسمى أيضا: المعنى السياقي، وخارج المركز، وظلال المعنى أو ألوانه، والقيم الانفعالية السلوكية، والظلال والألوان العاطفية والجمالية للمعنى (3).

والعدول المعجمي لا يتعلّق بالألفاظ المترادفة جزئيا أو الألفاظ التي تختلف في الجذر اللغوي أو المادة اللغوية وتتحد في الدلالة المركزية فحسب مثل: قعد وجلس، ونام ورقد، بل يتعدّها إلى الكلمات التي اتحدت في مادّتها اللغوية مع وجود فروقات في البنية كأن تكون إحدى الكلمتين معرفة والأخرى نكرة أو أن تكون إحداها مفردة والأخرى مجموعة أو مثناة وهكذا...

إنّ اختلاف هذه الألفاظ في الدلالة الهامشية وورودها في جمل متشابهة إن لم تكن متطابقة - وبخاصّة في القرآن الكريم - يقودنا إلى قضية مهمة وهي قضية اختيار الألفاظ،

(1) العسكري (أبو هلال الحسن، بن عبد الله، 395هـ)، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، دط، دت، ص22.

(2) ينظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1996م، ص216.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص216.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

فلأديب المتمرس لا يضع الكلمة إلا في موضعها اللائق ومكانها المناسب وهذا ينجم عن عملية أسلوبية تسمى الاختيار الأسلوبي الذي يعد انتقاء واعيا من بين مجموعة من المفردات تحكمها علاقة إمكانية الاستبدال أو ما يسمى المستوى الاستبدالي، حيث تكون الكلمة الحاضرة في الجملة أقوى إلى حد ما من مرادفاتها أو معوضاتها الممكنة⁽¹⁾.

إنّ الكلمات العربية سواء أكانت مختلفة أو شبه مترادفة لا تتفاضل فيما بينها إذا عزلت عن التّأليف والنّظم والسيّاق إلا في أمور بسيطة وهذا ما بيّنه الجرجاني بقوله: «وهلّ يَفْعُ في وَهْمٍ وإنّ جُهد، أنّ تَتَفَاضَلَ الْكَلِمَتَانِ الْمَفْرَدَتَانِ، مِنْ غيرِ أنْ يُنْظَرَ إِلَى مَكَانٍ تَفَعَّانٍ فِيهِ مِنَ التَّأْلِيفِ والنَّظْمِ، بِأَكْثَرِ مِنْ أنْ تَكُونَ هَذِهِ مَأْلُوفَةً مُسْتَعْمَلَةً، وتِلْكَ غَرِيبَةً وَخَشِيبَةً، أو أنْ تَكُونَ حُرُوفٌ هَذِهِ أَخَفٌّ، وامتزاجها أَحْسَنَ، ومِمَّا يَكْدُ اللِّسَانُ أَبْعَدَ؟

وهلّ نجد أحداً يقول: "هذه اللفظة فصيحة"، إلا وهو يعتبر مكانها من النّظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفَضْلُ مؤانسيتها لأخواتها؟

وهلّ قالوا: "الْفِظَةُ مُتَمَكِّنَةٌ، ومقبولة"، وفي خلافه: "قَلِقَةٌ، وَنَائِبَةٌ، ومُسْتَكْرَهَةٌ"، إلا وَعَرَضُهمُ أنْ يُعْبَرُوا بِالتَّمَكُّنِ عَنْ حُسْنِ الاتِّفَاقِ بَيْنَ هَذِهِ وتِلْكَ مِنْ جِهَةٍ معنَاهُما، وبالقَلْقِ والنُّبُوِّ عن سوء التَّلَاوُمِ، وأنَّ الأولى لم تَلْقَ بِالثَّانِيَةِ فِي مَعْنَاهَا، وأنَّ السَّابِقَةَ لم تَصْلُحْ أن تكون لِفَقاً لِلثَّانِيَةِ فِي مَوَادِّهَا؟»⁽²⁾

نفهم من كلام الجرجاني أنّ النّظم والتّأليف هما السبيل المثلى لمعرفة فضل كلمة على أخرى في موضعها الذي وضعت فيه، وهنا يطرح سؤال مهم: لم اختيرت هذه الكلمة دون تلك؟ ولم آثرنا صيغة على أخرى؟

إذا عدنا إلى النص القرآني-الذي هو ميدان دراستنا- سنرى كيف يتأنق أسلوبه في اختيار ألفاظه مع الفروقات الدلالية الدقيقة بينها فيستخدم "كلاً حيث يؤدي معناه في دقة

⁽¹⁾ ينظر: صالح ملا عزيز، جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، دار الزمان للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010م، ص148.

⁽²⁾ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص44

الفصل الرابع: العدول المعجمي

فائقة تكاد بما تؤمن بأنّ هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها وأنّ كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وقّت به أختها، فكلّ لفظة وضعت لتؤدّي نصيبها من المعنى أقوى أداء " (1).

إنّ رصد الدقّة في اختيار الألفاظ في القرآن الكريم، ومقارنتها بما عند النّاس، يظهر لنا مفارقة الأسلوب القرآنيّ لأساليب البشر وخرقه لعاداتهم في التعبير عن المعاني مع أنّ هذه الفروقات الدّقيقة بين الألفاظ المترادفة جزئيّاً قد تغيب عن عامّة النّاس (2).

ولبيان دقّة اختيار الألفاظ في القرآن الكريم، وتبسيط الضّوء على السرّ في العدول عن لفظ إلى لفظ آخر ارتأينا أن نأتي بأمثلة من الآيات المتشابهات إلى حدّ التّطابق حتّى نرى كيف يتّضح فيها هذا الاختيار والعدول جليّاً، وكيف يلقي السّياق بظلاله فيكشف المعاني الكامنة وراء هذا الاختيار ويوضح الأسرار المتوخّاة من هذا العدول.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الأمثلة التي سنختارها من سورة البقرة ستتمّ مقارنتها بآيات مشابهة لها من سور أخرى، فالقرآن كلّّه كلام الله، ولا شكّ أن ورود لفظة في سورة البقرة وورودها في آية مشابهة لها في سورة أخرى وراءه سرّ كامن وغرض منشود يستدعي التّساؤل، وهذا ما سنحاول الكشف عنه -هنا- بالاستعانة بأقوال المفسّرين وأصحاب كتب المتشابه اللفظي.

وبملاحظتنا للأمثلة التي اخترناها وجدنا أنّ هذا العدول يكون أحياناً من اسم إلى اسم، أو من فعل إلى فعل أو من حرف إلى حرف آخر، ولذا قرّرنا أن نجعل التّطبيق على أقسام ثلاثة: العدول المعجمي في الأسماء، والعدول المعجمي في الأفعال، والعدول المعجمي في الحروف.

(1) أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، دط، 2005م، ص51.

(2) ينظر: محمد كريم الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1426هـ، ص276.

1- العدول المعجمي في الأسماء

المثال الأول: قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾ (البقرة: ٥٨) ، وقال في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ١٦١﴾ (الأعراف: ١٦١).

يتجلى العدول المعجمي في هذا المثال في ثلاثة مواضع:

الأول: العدول عن (ادخلوا) إلى (اسكنوا).

والثاني: العدول عن (الفاء) إلى (الواو).

والثالث: العدول عن (الخطايا) إلى (الخطيئات).

الموضع الذي يهمننا هنا هو الموضع الثالث، أما الموضع الأول فسنتناوله في المبحث الثاني المتعلق بالأفعال، وأما الموضع الثاني فسيجيء في المبحث الثالث المتعلق بالحروف.

نلاحظ أنّ العدول الحاصل هنا هو العدول عن (الخطايا) - وهو جمع يفيد الكثرة - إلى (الخطيئات) - وهو جمع مؤنث سالم يفيد القلة - مع أنّ القصة واحدة وهي قصة موسى مع بني إسرائيل، وهنا نتساءل: ما سرّ هذا الاختلاف في التعبير؟

قبل محاولة تبيان سرّ هذا العدول وبيان علّته نشير إلى أنّ الدلالة اللغوية للخطيئة هي الذنب على عمد^(١). يقال: خَطِيءَ الرَّجُلُ خَطَأً فهو خَاطِئٌ إِذَا أَذْنَبَ أَوْ أَثَمَ، ويقال:

(١) ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج 7، ص 207.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

أَخْطَأَ خَطَأً وَخَطَاءً إِذَا لَمْ يُصِبِ الصَّوَابَ وَتَعَدَّاهُ، وَأَخْطَأَ الطَّرِيقَ : عَدَلَ عَنْهُ ⁽¹⁾، والفرق بين خَطِيءٍ وَأَخْطَأَ أَنَّكَ تَقُولُ : خَطِيءٌ إِذَا تَعَمَّدَ غَيْرَ الصَّوَابِ، وَأَخْطَأَ: إِذَا لَمْ يَتَعَمَّدَ ⁽²⁾.

والخطيئات جمعُ خطيئة " فعيلة بمعنى مفعولة لأَنَّهَا مَخْطُوءٌ بِهَا أَي مَسْلُوكٌ بِهَا مَسْلَكٌ الْخَطَأُ " ⁽³⁾.

أَمَّا الْخَطَايَا فِيمَا أَنَّ تَكُونُ جَمْعُ خَطِيئَةٍ أَيْضًا وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مُخْتَلَفٌ فِي أَصْلِهَا عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا : أَنَّ أَصْلَهَا (خَطَائِيٌّ) بِمِزَّتَيْنِ، فَاسْتَقْلَوْا التَّقَاءَ هَمْزَتَيْنِ فَخَفَّفُوا الْآخِرَةَ مِنْهُمَا، فَصَارَتْ (خَطَائِيٌّ)، ثُمَّ قَلَبْتَ الْيَاءَ أَلِفًا، وَالْكَسْرَةَ فَتْحَةً؛ لِئَلَّا تَحْذِفَ كَمَا حَذَفْتَ مِنْ جَاءِ الَّتِي أَصْلُهَا (جَائِيٌّ) لِأَنَّ هَذِهِ زَائِدَةٌ وَالْأَوَّلَى أَصْلِيَّةٌ فَصَارَتْ (خَطَاءِ)، ثُمَّ أَبْدَلْتَ الْهَمْزَةَ يَاءً لَوْقُوعِهَا بَيْنَ أَلْفَيْنِ فَصَارَتْ (خَطَايَا)، وَهَذَا الْمَذْهَبُ مَذْهَبُ الْخَلِيلِ ⁽⁴⁾.

وَالْآخَرُ: أَنَّ أَصْلَهَا (خَطَائِيٌّ) بِيَاءٍ فَهَمْزَةٌ، ثُمَّ قَلَبْتَ الْيَاءَ هَمْزَةً فَصَارَتْ (خَطَائِيٌّ) ثُمَّ حَصَلَ فِيهَا مَا بَيْنَاهُ فِي الْقَوْلِ الْأَوَّلِ فَصَارَتْ (خَطَايَا)، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ سَبْيُوهِ ⁽⁵⁾.

وَأَمَّا أَنْ تَكُونُ جَمْعُ خَطِيئَةٍ دُونَ هَمْزِ كَهْدِيَّةٍ وَهَذَا يَمْطَايَا، وَهَذَا قَوْلُ الْفَرَّاءِ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ ⁽⁶⁾ وَإِنْ لَمْ نَجِدْهُ فِي كِتَابِهِ مَعَانِي الْقُرْآنِ .

⁽¹⁾ ينظر : الخليل، العين، ج4، ص292، والأزهري، تهذيب اللغة، ج7، ص207، وابن فارس، مقاييس اللغة،

ج2، ص198، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج5، ص230 .

⁽²⁾ ينظر: الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، ج1، ص182 .

⁽³⁾ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص515-516 .

⁽⁴⁾ الخليل، العين، ج4، ص292 .

⁽⁵⁾ سبويه، الكتاب، ج3، ص553 .

⁽⁶⁾ ينظر : ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص151، والعكبري (أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، 616هـ)، التبيان في

إعراب القرآن، تح : علي محمد البجاوي، إحياء الكتب العربية، مصر، دط، دت، ج1، ص66، والقرطبي، الجامع

لأحكام القرآن، ج1، ص415، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص352.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

والخطايا على ثلاثة ضروب :

أحدها : أن يريد غير ما يحسن ويفعله .

والثاني : أن يريد ما يجوز ويخطئ في الفعل .

والثالث : أن يريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه ⁽¹⁾ .

أما عن سرّ التعبير بخطايا في موضع والعدول عنه إلى خطيئات في موضع آخر فللعلماء في ذلك ثلاثة توجيهات :

التوجيه الأول : وهو ما ذهب إليه الإسكافي حيث قال : «فَإِذَا ظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَطَايَا وَالْخَطِيئَاتِ، وَكَانَ هَذَا الْجَمْعُ الْمَكْسَرُ مَوْضُوعًا لِلكَثِيرِ، وَالْمُسَلَّمُ مَوْضُوعًا لِلْقَلِيلِ اسْتَعْمَلَ لَفْظَ الْكَثِيرِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي جَعَلَ الْإِخْبَارَ فِيهِ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾ وَشَرَطَ لِمَنْ قَامَ بِهَذِهِ الطَّاعَةِ مَا يَشْرُطُهُ الْكَرِيمُ إِذَا وَعَدَ مَنْ مَغْفِرَتِهِ الْخَطَايَا كُلَّهَا، وَقَرَنَ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ نَفْسِهِ - جَلَّ ذِكْرُهُ - مَا يَلِيقُ بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ فَأَتَى بِاللَّفْظِ الْمَوْضُوعِ لِلشُّمُولِ فَيَصِيرُ كَالْتَّوَكُّيدِ بِالْعُمُومِ لَوْ قَالَ: نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ كُلَّهَا أَجْمَعًا.

ولمّا لم يُسندِ الفعلَ في سورة الأعراف إلى نفسه - عزّ اسمه - وإنما قال: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ فلم يسمّ الفاعلَ، أتى بلفظ (الخطيئات)، وإن كان المرادُ بها الكثرة كالمراد بالخطايا إلا أنّه أتى في الأوّل لمّا ذكر الفاعل بما هو لائقُ بضمّانه من اللفظ. ولمّا لم يسمّ الفاعلَ في الثاني في سورة الأعراف وضع اللفظ غير موضعيّ للفرقان بين ما يؤتى به على الأصل وبين ما يُعدّلُ عنه إلى الفرع ⁽²⁾ .

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 202 - 203 .

(2) الإسكافي (محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، 420هـ)، درّة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (30) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط1، 1422 هـ - 2001 م، ص ص 235 - 237 .

الفصل الرابع: العدول المعجمي

نفهم من توجيه الإسكافي أنه عندما أسند فعل القول بالدخول إلى القرية إلى الله عز وجل كان الجزء غفران الخطايا، فأتى بما يدل على الكثرة معنى ولفظاً، وهذا يليق بجوده وكرمه، ولما أسند فعل القول بالسكن في القرية إلى مجهول كان الجزء غفران الخطيئات وهو لفظ يدل على الكثرة معنى لا لفظاً .

وأخذ بتوجيه الإسكافي ووافقه كل من الكرماي⁽¹⁾، والرازي⁽²⁾، والنيسابوري⁽³⁾.

التوجيه الثاني : وهو ما ذهب إليه الغرناطي حين قال: « فَوَرَدَ جَمْعُهَا فِي الْبَقَرَةِ مُكْسَرًا لِيُنَاسِبَ مَا بُنِيَ عَلَيْهِ آيَاتُ الْبَقَرَةِ مِنْ تَعْدَادِ النَّعْمِ وَالْآلَاءِ حَسَبًا يَتَبَيَّنُ فِي جَوَابِ السُّؤَالِ لِأَنَّ جُمُوعَ التَّكْسِيرِ مَا عَدَا الْأَرْبَعَةَ أُنْبِيَةِ الَّتِي هِيَ: أَفْعُلُ وَأَفْعَالُ وَأَفْعَلَةٌ وَفِعْلَةٌ إِنَّمَا تَرِدُ فِي الْغَالِبِ لِلْكَثَرَةِ، فَطَابِقُ الْوَارِدُ فِي الْبَقَرَةِ مَا قُصِدَ مِنْ تَكْثِيرِ الْآلَاءِ وَالنَّعْمِ، وَأَمَّا الْجَمْعُ بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ فَبَابُهُ الْقَلَّةُ فِي الْغَالِبِ أَيْضًا مَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ مَا يَبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْكَثَرَةُ، فَتَنَاسَبَ مَا وَرَدَ فِي الْأَعْرَافِ مِنْ حَيْثُ لَمْ تُبَيَّنْ آيَتُهَا مِنْ قُصْدِ تَعْدُدِ النَّعْمِ عَلَى مَا بُنِيَ عَلَيْهِ آيَةُ الْبَقَرَةِ فَجَاءَ كُلُّ عَلَى مَا يَنَاسِبُ » (4).

نفهم من كلام الغرناطي أن السياق في آية البقرة سياق تعداد للنعم والآلاء وهذا يناسبه غفران الذنوب الكثيرة ؛ لأن غفرانها من أعظم النعم على الإنسان فجاء بجمع الكثرة، ولما لم تكن الحال كذلك في الأعراف جاء بجمع القلة .

(1) الكرماي (محمود بن حمزة، أبو القاسم، برهان الدين، 505هـ)، البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ-1986، ص73 .

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، ج3، ص526 .

(3) النيسابوري، غرائب القرآن، ج1، ص296 .

(4) الغرناطي (أحمد بن إبراهيم، أبو جعفر، 708هـ)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، تح: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، دط، دت، ج1، ص38.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

وبرجعونا إلى الآيات التي سبقت آية البقرة وجدنا أنّ النعم التي عدّها على بني إسرائيل هي :

- 1 - تفضيلهم على العالمين .
- 2 - إنجائهم من آل فرعون لما ساموهم سوء العذاب .
- 3 - فرق البحر بهم .
- 4 - إغراق آل فرعون وهم ينظرون .
- 5 - العفو عنهم بعد اتّخاذهم العجل .
- 6 - إيتاء موسى عليه السّلام القرآن لهدايتهم .
- 7 - التّوبة عليهم بعد قول موسى عليه السّلام لهم اقتلوا أنفسكم .
- 8 - بعثهم بعد ما ماتوا بالصّاعقة .
- 9 - تظليلهم بالغمام .
- 10 - إنزال المنّ والسّلوى .

وإذا رجعنا إلى الآيات التي تسبق آية الأعراف لا نجد كلّ هذه النعم، ناهيك عن أنّ السّياق هناك سياق تقرّيع وتأنيب لبني إسرائيل ومّا يدلّ على ذلك:

- 1- رجوع موسى غضبان أسفا بعد اتّخاذهم العجل من حلّيتهم.
- 2- إخباره لأخيه باستضعاف القوم له ومحاولة قتله.
- 3- ذكر أنّ الله سينالهم بغضبه وأنّه ستعزيهم ذلّة في الحياة الدّنيا.

4- ذكر أنهم من المفترين.

5- أخذهم بالرجفة.

وأخذ بهذا التوجيه ووافقه كل من ابن جماعة⁽¹⁾، والبقاعي⁽²⁾.

التوجيه الثالث : وهو ما ذهب إليه الفخر الرازي حين قال : « قال في سورة البقرة: (خطاياكم) وقال ههنا: (خطيئاتكم) فهو إشارة إلى أن هذه الذنوب سواء كانت قليلة أو كثيرة، فهي مغفورة عند الإتيان بهذا الدعاء والتضرع " ⁽³⁾ .

وأخذ بهذا التوجيه: الخازن⁽⁴⁾، و النعماني⁽⁵⁾، والقنوجي⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾، والطنطاوي⁽⁸⁾.

إنّ هذا التوجيه قد يبيّن سرّ التنويع في التعبير لكنّه لا يبيّن سرّ اختصاص آية البقرة بجمع الكثرة، واختصاص آية الأعراف بجمع القلّة.

المثال الثاني: قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ

بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ (البقرة: ٦١).

(1) ينظر: ابن جماعة (محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله، بدر الدين، 733هـ)، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تح :

عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة ، ط1، 1410 هـ. 1990م، ص 97 .

(2) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج1، ص142 .

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، ج15 ن 390 .

(4) ينظر : الخازن، لباب التأويل، ج2، ص261 .

(5) ينظر : النعماني، اللباب في علوم الكتاب، ج9، ص355 .

(6) ينظر: القنوجي، فتح البيان، ج5، ص57.

(7) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج5، ص83.

(8) ينظر: الطنطاوي، التفسير الوسيط، ج5، ص405 .

وقال أيضا في سورة آل عمران: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (آل عمران: ١١٢).

يتجلى في هذا المثال عدولان:

الأول: العدول عن (النبيين) إلى (الأنبياء)

والثاني: العدول عن (الحق) المعرفة إلى (حق) المنكرة.

أولا: النبيين - الأنبياء

النبي في لغة العرب مشتق من النبوة وهي الارتفاع ^(١). وقيل إن النبي هو الطريق الواضح، وسمي بذلك لأنه طريق الخلق إلى الله سبحانه وتعالى، وهو كذلك طريق الله - عز وجل - إليهم ^(٢).

ويجوز في النبي لغة أخرى وهي النبيء (مهموزا)، وهو - ههنا - مشتق من النبأ أي الخبر، فهو فعيل بمعنى مفعول، أو مفعول، فهو مُنبئٌ مُنبئٌ أي مُخبرٌ مُخبرٌ ^(٣).

ويجمع النبي على أنبياء قياسا؛ لأنه على وزن فعيل المعتل اللام، ومعلوم أن فعلا إذا كان صحيح اللام يجمع على فعلاء، وإذا كان معتلا أو مضاعفا فإنه يجمع على أفعلاء كما قال في الخلاصة:

وَلَكَرِيمٍ وَبَخِيلٍ فُعَلَا كَذَا لِمَا ضَاهَاهُمَا قَدْ جُعِلَا

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٥، ص 384 - 385.

(٢) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص 124، والثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص 207، والماوردي، النكت والعيون، ج ١، ص 131، والعكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص 69، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحیط، ج ١، ص 356.

(٣) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص 124، والثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص 207، والماوردي، النكت والعيون، ج ١، ص 130، والعكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص 69، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحیط، ج ١، ص 356، وابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٥، ص 385.

وَنَابَ عَنْهُ أَفْعَلَاءٌ فِي الْمُعَلِّ لَأَمَّا وَمُضْعَفٍ وَغَيْرُ ذَلِكَ قُلْ (1)

وأما جمعه جمع تصحيح فلا مانع منه؛ لأنه وصف لمذكر عاقل خال من تاء التأنيث وليس من باب (أفعل فعلاء) ولا من باب (فعلان فعلى) ولا مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، فالمفرد إذا تحققت فيه هذه الشروط جاز جمعه جمع مذكر سالما (2).

ونلاحظ في هذا المثال أنّ (النبيين) في آية البقرة جمع تصحيح، و (الأنبياء) في آية آل عمران جمع تكسير ومعلوم أنّ جمع التصحيح يدلّ على القلة غالبا، وجمع التكسير يدلّ على الكثرة، وهنا يطرح السؤال نفسه: ما السرّ في العدول عن (النبيين) إلى (الأنبياء) مع أنّ الأول يدلّ على القلة والثاني على الكثرة؟

لم يحظ هذا الموضع من العدول بشيء من التعليل في كتب التفسير، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّ للفظين دلالة واحدة عندهم، وهذا ما صرح به أبو حيان حين قال: «وَلَا فَرْقَ فِي الدَّلَالَةِ بَيْنَ النَّبِيِّينَ وَالْأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّ الْجُمُعَيْنِ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِمَا أَلْ تَسَاوِيًا بِخِلَافِ حَالِهِمَا إِذَا كَانَا نَكْرَتَيْنِ، لِأَنَّ جَمْعَ السَّلَامَةِ إِذْ ذَاكَ ظَاهِرٌ فِي الْقِلَّةِ، وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ عَلَى أَفْعَلَاءٍ ظَاهِرٌ فِي الْكَثَرَةِ» (3).

وأشار الألوسي إلى تصريح أبي حيان بعدم الفرق في الدلالة بين النبيين والأنبياء دون أن يعترض أو يعقب عليه، فدلّ ذلك على أنّه يوافقه في الرأي (4).

(1) ابن مالك (محمد بن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين، 672هـ)، ألفية ابن مالك في النحو والتصريف (الخلاصة في النحو)، تح: سليمان بن عبد العزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط1، 1432هـ، ص166.

(2) ينظر: ابن عقيل (عبد الله بن عبد الرحمن، 769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، ط20، 1400 هـ - 1980 م، ج1، ص62.

(3) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص382.

(4) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج1، ص277.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

وبرجعونا إلى كتب المتشابه اللفظي وجدنا أنّ أغلبهم لم يعلّل هذا العدول ناهيك عن أنّ من علّله لم يشف الغليل في ذلك، فهذا الكرمانى يرى أنّه "جمع النّبيين جمع السّلامة في البقرة لموافقة ما بعده من جمعي السّلامة وهو (النّبيين)⁽¹⁾ (الصّابّين) " ⁽²⁾ .

إنّ ما ذهب إليه الكرمانى من أنّ النّبيين يوافق ويلائم ما جاء في الآية بعدها وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِغِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢) بعيد - حسب رأينا - ؛ إذ إنّ الناظر في آية آل عمران يجد أنّ الله تعالى قال قبلها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١٠) لَن يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَىٰ وَإِنْ يَفْتِكُلُواكُمْ يُؤْلُواكُمْ أَلَذَّ بَارْتُمْ لَا يُضْرَبُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠ - ١١١) فذكر جمعي سلامة وهما (المؤمنون) و(الفاسقون)، وقال بعدها: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١١٣ - ١١٥) فذكر أيضا جمعي سلامة وهما (الصّالحين) و(المتّقين)، ولو كان الأمر كما قال الكرمانى لكانت آية آل عمران أولى بلفظ النّبيين من آية البقرة .

وذهب الغرناطيّ إلى أنّ " جمع التّكسير يشمل أولي العلم وغيرهم، وجمع السلامة يختص في أصل الوضع بأولي العلم ... وإذا تقرّر هذا فورود جمع السّلامة في قوله في سورة

(1) هكذا وردت في الكتاب ونظنه خطأ والصواب (الذين) لأنه لا توجد كلمة النّبيين في الآية التي بعدها .

(2) الكرمانى، البرهان في توجيهه متشابه القرآن، ص 75 .

البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ مناسب من جهتين : إحداها : شرف الجمع لشرف المجموع ، والثانية : مناسبة زيادة المدّ لزيادة أداة التعريف في لفظ الحق " (1).

وقال في تعليل آية عمران بعد أن ذكر أنه لا يوجد فيها إلا شرف المجموع وأنّ العرب تتسع في جموع التكسير فتوقعها على أولى العلم وغيرهم: « أَتَى بِالْجَمْعِ هُنَا مَكْسَرًا لِتَحْصُلِ اللَّغْتَانِ حَتَّى لَا يَبْقَى لِمَنْ تُحَدِّثُ بِالْقُرْآنِ حِجَّةٌ إِذْ هُمْ مُخَاطَبُونَ بِمَا فِي لُغَاتِهِمْ فَلَا يَقْصِرُ فِي شَيْءٍ مِنْ خُطَابِهِمْ عَلَى أَحَدٍ الْجَائِزِينَ دُونَ الْآخِرِ » (2).

إنّ هذا التوجيه الذي ذهب إليه الغرناطي لا يفسّر سرّ اختصاص آية البقرة بالنبيين، وآية آل عمران بالأنبياء، إذ لو عكس الأمر لانطبق توجيهه على ذلك .

وذهب النيسابوري إلى أنّه أتى بجمع القلّة في آية البقرة لأنّه يوافق ما بعده من جموع السّلامة - وهذا ما ذهب إليه الكرمانيّ - ثمّ تدرّج إلى ما هو نصّ في الكثرة نعيًا عليهم وتفضيلاً لشأنهم (3).

ويرى البقاعي أنّ ذلك ذمّ لهم على سبيل التّرقّي كما هي قاعدة الحكمة (4).

إنّ ما ذهب إليه النيسابوري والبقاعي يفوق ما ذهب إليه الكرمانيّ والغرناطي؛ ذلك أنّ الجمع أوّل الأمر يكون للقلّة ثمّ يصير إلى الكثرة، وكذلك الذمّ الذي تقتضي الحكمة أن يكون في أوّل أمره قليلاً ثمّ يُتدرّج فيه إلى ما هو أكثر، وهذا المقصود بالتّرقّي.

ختاماً يمكن أن نضيف أمراً آخر وهو أنّ المقام في آية البقرة مقام تعداد للنعم فقد ذكر في الآيات التي قبلها غفران الذنوب الكثيرة الذي هو من أعظم النعم، فناسب هذا المقام ذكر قتل عدد قليل من النّبيين، ولمّا لم يكن سياق آية آل عمران كذلك ذكر الأمر على

(1) الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص42 .

(2) المصدر نفسه، ج1، ص43

(3) ينظر: النيسابوري، غرائب القرآن، ج2، ص239 .

(4) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج2، ص137 .

الفصل الرابع: العدول المعجمي

حقيقته، وهو أنّ بني إسرائيل قتلوا عددا كبيرا من الأنبياء حتى قيل في الخبر: «إنّ اليهود قتلوا سبعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة رجل واثنان عشر رجلا من عبّاد بني إسرائيل فأمرؤا من قتلهم بالمعروف ونهؤهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم» (1).

ثانيا: الحقّ - حقّ

نلاحظ أنّ لفظ (الحقّ) جاء معرّفا في آية البقرة، وجاء منكرا في آية آل عمران، فما السّرّ في العدول عن اللفظ المعرّف إلى اللفظ المنكر مع أنّ الآيتين متشابهتان؟.

قبل أن نحاول تبيان سرّ التعريف في آية البقرة، والتّأكيد في آية آل عمران بعرض أقوال المفسّرين، نشير إلى أنّ الحقّ في اللغة هو نقيض الباطل، وحقّ الشّيء يحقّ حقّا أي وجب (2)، وجمعه حُقُوق وحِقَاق (3).

أمّا عن السّرّ في هذا العدول فقد ذهب الإسكافيّ إلى أنّ آية البقرة خبر عن قوم عرفوا، وعرفت أفعالهم، ومضت أزمنتهم وأحوالهم، فلمّا شهروا شهر فعلهم بوقوعه منهم، وأنّ الحقّ هنا هو الحقّ المعروف الموجب للقتل، وهو ثلاثة أمور :

1- قتل نفس مؤمنة لم يجب عليها القتل والقاتل مكلف .

(1) الثعلبي، الكشف والبيان، ج1، ص207، وينظر : مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج1، ص349، والبغوي، معالم التنزيل، ج1، ص124، والخازن، لباب التأويل، ج1، ص50، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص382، والشربيني (محمّد بن أحمد الخطيب، شمس الدين، 977 هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، دتح، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، 1285 هـ . ج1، ص65، والمظهري، التفسير المظهري، ج1، ص76.

(2) ينظر: الخليل، العين، ج3، ص6، وابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص15، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج2، ص472.

(3) ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج2، ص472.

2- الردّة .

3- زنى المحصن .

فقلوله في آية البقرة بغير الحقّ، أي بغير هذه الأوجه الثلاثة المعلومة ⁽¹⁾.

وأما آية آل عمران التي جاء فيها لفظ الحقّ بالتّكثير فإنّها خبر عن قوم كانوا في عصر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فجاء بلفظ النّكرة في القصّة التي وقع التّهديد مقارنا لها ليمنع من وقوعها، وما كان في خبر ما لم يقع فالذّنب في حيّز المذكور، والعقاب عليه مثله كالمذكور ⁽²⁾.

يمكن إجمال ما ذهب إليه الإسكافي في توجيه هذا العدول في ما يأتي :

1- القوم المخبر عنهم بقتل الأنبياء هم بنو إسرائيل .

2- ميّز بين قومين : قوم عاصروا موسى عليه السّلام، وقوم عاصروا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

3 - اختار لفظ المعرفة في القوم الذين عاصروا موسى لأنّ القصّة وقعت والحقّ الذي كانوا يقتلون من أجله أمر معلوم، واختار لفظ النّكرة في القوم الذين عاصروا النبيّ صلّى الله عليه وسلم، لأنّ القصّة مقارنة ولأنّهم يعتقدون ذلك ويدينون به.

وأما الغرناطيّ فقد وافق الإسكافي أيضا، في أنّ هناك قومين: قوماً عاصروا موسى عليه السّلام، وقوماً عاصروا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وعاینوا البراهين واستوضحوا أنّه الذي أخبر به موسى وغيره، ومع ذلك تمادوا في الكفر والعناد من بعد ما تبين لهم الحقّ، لكنّه زاد أنّ

⁽¹⁾ ينظر: الإسكافي، درة التنزيل، ص 246 247.

⁽²⁾ ينظر: المصدر نفسه، ص 249.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

التنكير أو غل في ذمهم والتشنيع عليهم، لأنهم أكثر بهتا ومجاهرة بالباطل وموالاة للتمرّد من أولئك الذين عاصروا موسى عليه السلام⁽¹⁾.

وقال السامرائي في توجيه هذا العدول: «عرّف الحقّ في الأولى ونكره في الثانية، وذلك أنّ كلمة (الحقّ) المعرّفة في آية البقرة تدلّ على أنّهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحقّ الذي يدعوا إلى القتل، والحقّ الذي يدعوا إلى القتل معروف معلوم.

وأما النكرة فمعناها أنّهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حقّ أصلاً، لا حقّ يدعوا إلى قتل ولا غيره، أي: ليس هناك وجه من وجوه الحقّ الذي يدعوا إلى إيذاء الأنبياء، فضلاً عن قتلهم»⁽²⁾.

ثم يبيّن أنّ القصد من التنكير هو الزيادة في ذمهم، وتبشيع فعلهم، ثم ذكر سياق الآيتين، واستدل على أنّ موطن التشنيع عليهم، والذمّ والعيب على فعلهم في آية آل عمران أكبر منه في آية البقرة بأمور منها:

1- أنّه في سورة البقرة جمع بين (الدّلة) و (المسكنة)، وأمّا في آل عمران فقد أكّد وكرّر وعمّم.

2- أنّه ذكر الجمع في آية البقرة بصورة القلّة، فقال (النّبيّين)، وذكره في آية آل عمران بصورة الكثرة فقال (الأنبياء) ومعلوم أنّ قتل الكثير من الأنبياء أشنع من قتل القليل منهم⁽³⁾.

المثال الثالث: قال تعالى حكاية عن اليهود: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا الْكَارُ إِلَّا أَسْيَافًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

(1) ينظر: الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص42.

(2) فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار - عمان، ط4، دت، ص188.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص188-189.

(البقرة: ٨٠)، وقال أيضا: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ٢٤).

في هذا المثال عدول عن وصف الأيام معدودة إلى وصفها بمعدودات، أي عدول عن لفظ مفرد إلى جمع مؤنث سالم، وهذا ما يستدعي التساؤل عن السر في هذا العدول وعن السبب في اختصاص كل لفظ بموضعه الذي ورد فيه ؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة نشير إلى أنّ (معدودة) مؤنث معدود، وهو اسم مفعول من العدّ^(١)، ومعدودات جمع مؤنث سالم لمعدودة.

ومعنى العدّ في اللغة هو الإحصاء، قال ابن فارس: «الْعَيْنُ وَالذَّالُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ لَا يَخْلُو مِنَ الْعَدِّ الَّذِي هُوَ الْإِحْصَاءُ ... فَالْعَدُّ: إِحْصَاءُ الشَّيْءِ. تَقُولُ: عَدَدْتُ الشَّيْءَ أَعُدُّهُ عَدًّا فَأَنَا عَادٌّ، وَالشَّيْءُ مَعْدُودٌ»^(٢).

ووصف الأيام في آية البقرة بمعدودة من الشبهات التي أثارها بعض الملاحدة والطاعنين في القرآن الكريم وبلاغته، حيث ذهبوا إلى أنه كان يجب أن يقول (أياما معدودات) كما في آية آل عمران حتى يحصل التطابق بين الصفة والموصوف^(٣).

وقد نسي هؤلاء الجهلة أو تناسوا أنّ التطابق بين الصفة والموصوف قد لا يتم في كثير من المواضع بشهادة النحويين أنفسهم الذين قعدوا هذه القواعد، كما أنّ القرآن حاكم على

(١) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 1، ص 437.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 4، ص 32.

(٣) ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، دار القلم، دمشق، ط 1، 1428 هـ - 2007 م، ص 358، وإبراهيم عوض، عصمة القرآن وجهالات المبشرين، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 1، 1426 هـ - 2005 م. ص 44.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

قواعد النحويين، وليست قواعدهم هي التي تحكم عليه، وبما أنّ الآية قد وردت بعدم التطابق فهي صحيحة دون أدنى شك .

قال الأشموني : « والأفصح في جمع القلة ممّا لا يعقل وفي جمع العاقل مُطلقاً المطابقة، نحو: (الأجذاعُ انكسرَن، ومُنكسِرَاتُ، والهنداتُ والهنودُ انطلقَن، ومنطلقاتُ) والأفصح في جمع الكثرة ممّا لا يعقلُ الأفرادُ نحو: (الجدوعُ انكسرتُ، ومُنكسِرةٌ) »⁽¹⁾.

يفهم من كلام الأشموني أنّ وصف جمع القلة غير العاقل بوصف مطابق له هو الأفصح، ووصفه بوصف غير مطابق له فصيح، وهذا مانراه في آية البقرة، فأيام جمع قلة وصف بمعدودة وهي مفردة مؤنثة فلم تحصل المطابقة لكنه يبقى فصيحاً، وأفصح منه قوله في آل عمران (معدودات) بالمطابقة .

ووجه كونه فصيحاً مع عدم التطابق في اللفظ تحقّقه في التأويل، وذلك أنّ جمع القلة يصحّ تأويله بالجماعة وهي مفردة⁽²⁾.

وقال الرازي في جواب هذه الشبهة: «ولقائل أن يقول: لم كانت الأولى معدودةً والثانية معدوداتٍ والموصوفُ في المكانين موصوفٌ واحدٌ وهو «أياماً» ؟ والجواب: أنّ الاسم إن كان مُذكرًا فالأصلُ في صفةِ جمعِهِ التاء. يُقال: كُوزٌ وَكِيزَانٌ مَكْسُورَةٌ وَثِيَابٌ مَقْطُوعَةٌ وَإِنْ كَانَ مُؤنثًا كَانَ الْأَصْلُ فِي صِفَةِ جَمْعِهِ الْأَلِفُ وَالتَّاءُ، يُقال: جَرَّةٌ وَجِرَارٌ مَكْسُورَاتٌ وَخَايِيَةٌ وَخَوَابٍ مَكْسُورَاتٌ. إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يُوجَدُ الْجَمْعُ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ فِيمَا وَاحِدُهُ مُدَكَّرٌ فِي بَعْضِ الصُّوَرِ نَادِرًا نَحْوَ حَمَامٍ وَحَمَامَاتٍ وَجَمَلٍ سِبْطٌ وَسِبْطَاتٌ وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

(1) الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج 1، ص 22.

(2) ينظر: الصّبّان (محمد بن علي، أبو العرفان، 1206هـ)، حاشية الصّبّان على شرح الأشموني، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 2، 1429هـ - 2008م، ج 1، ص 28، ومحمد الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 4، 1432هـ - 2011م، ج 1، ص 24 .

﴿فِي آيَاتِهِ مَعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة: ٢٠٣) و﴿فِي آيَاتِهِ مَعْلُومَاتٍ﴾ (الحج: ٢٨) فالله تعالى تكلم في سورة البقرة بما هو الأصل وهو قوله: ﴿أَنبَاءًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠) وفي آل عمران بما هو الفرع^(١).

يمكن أن نستنتج من كلام الرازي الأمور الآتية :

1 - لم يتطرق الرازي إلى مسألة الفصح والأفصح مثلما سبق آنفا في قول الأشموني، وإنما عرض إلى مسألة الأصل والفرع، ومعلوم أن الفرع قد يكون أفصح من الأصل نحو: يُؤَكِّرُ وَيُكْرِمُ، فالفرع (يكرم) أفصح من الأصل (يؤكرم) .

2 - لا فرق عنده بين معدودة ومعدودات إلا من حيث إن الأولى جاءت على الأصل والثانية على الفرع .

3 - تمثيله بحمام وحمّامات ليس هذا موضعه؛ لأنّه كان بصدد الحديث عن صفة الجمع الذي واحده مذكر، وحمّام وحمّامات مسألة أخرى وهي جواز جمع غير المؤنث بالألف والتاء. أمّا عن سرّ العدول عن (معدودة) إلى (معدودات) فقد وقفنا على خمسة توجيهات للعلماء:

التوجيه الأول : أنّ هذا من باب التّفنن في التعبير، ومعنى هذا أنّه لو عكس فقال في آية البقرة (معدودات)، وفي آية آل عمران (معدودة) لكان ذلك جائزا . وإلى هذا القول ذهب الرازي كما حكاه عنه السيوطي في الإتيان^(٢)، وهو ما يفهم من قول أبي حيان : «إِلَّا أَنَّهُ جَاءَ هُنَاكَ: مَعْدُودَةٌ، وَهُنَا: مَعْدُودَاتٌ، وَهُمَا طَرِيقَانِ فَصِيحَانِ تَقُولُ: جِبَالٌ شَائِخَةٌ، وَجِبَالٌ شَائِخَاتٌ. فَتَجْعَلُ صِفَةً جَمَعَ التَّكْسِيرِ لِلْمَذَكَّرِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ تَارَةً لِصِفَةِ الْوَاحِدَةِ

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج3، ص 567 .

(٢) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج3، ص 394.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

الْمُؤَنَّثَةُ، وَتَارَةً لِصِفَةِ الْمُؤَنَّثَاتِ. فَكَمَا تَقُولُ: نِسَاءً قَائِمَاتٌ، كَذَلِكَ تَقُولُ: جِبَالٌ رَاسِيَاتٌ، وَذَلِكَ مَقِيسٌ مُطَرَّدٌ فِيهِ»⁽¹⁾.

وصرح بذلك السمين الحلبي فقال: «وَجَاءَ هُنَا مَعْدُودَاتٌ بِصِغَةِ الْجَمْعِ، وَفِي الْبَقَرَةِ مَعْدُودَةٌ تَفْنُنًا فِي الْبَلَاغَةِ»⁽²⁾.

وبهذا التوجيه صرح الألويسي في تفسيره⁽³⁾، ولعله يفهم من قول كل من فسر كل آية على حدة دون الالتفات إلى الأخرى بل الاكتفاء بذكر عدد تلك الأيام والخلاف فيه، أو الاكتفاء بالإشارة إلى جواز وصف جمع التكسير غير العاقل بالمفردة المؤنثة أو بجمع الإناث السالم⁽⁴⁾.

إنّ هذا التوجيه يعزّل النص القرآني عن سياقه، إذ لا يعقل أن يكون قوله معدودة مرادفا لقوله معدودات نظرا إلى اتحادهما في المعنى العام، فالأولى مفردة والثانية جمع، ولا بد أن تنفرد إحدهما بدلالة زائدة عن الأخرى تفهم من السياق، ونحن ننزه التعبير القرآني عن استعمال لفظة في مكان أخرى ثمّ القول إنّ هذا تفنّن في التعبير.

التوجيه الثاني: أنّ اختلاف اللفظين بسبب اختلاف القائل، قال ابن جماعة: «جَوَابُهُ أَنَّ قَائِلِي ذَلِكَ مِنَ الْيَهُودِ فِرْقَتَانِ: إِحْدَاهُمَا قَالَتْ: إِنَّمَا نُعَذِّبُ بِالنَّارِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَهِيَ عَدَدُ

(1) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج3، ص83.

(2) السمين الحلبي، الدر المصون، ج2، ص52.

(3) ينظر: الألويسي، روح المعاني، ج2، ص107.

(4) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ج1، ص50، والطبري، جامع البيان، ج2، ص274، والماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج1، ص500، والسمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص132، وابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، ج1، ص154.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

أَيَّامَ الدُّنْيَا، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: إِنَّمَا نُعَذِّبُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَهِيَ أَيَّامُ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، فَأَيُّهُ الْبَقَرَةُ يَحْتَمِلُ قَصْدَ الْفِرْقَةِ الثَّانِيَةِ، وَأَيُّهُ آلُ عِمْرَانَ يَحْتَمِلُ قَصْدَ الْفِرْقَةِ الْأُولَى «⁽¹⁾».

هذا الكلام حكاية السيوطي في الإتيان وزاد عليه فقال : « فَأَيُّهُ الْبَقَرَةُ تَحْتَمِلُ قَصْدَ الْفِرْقَةِ الثَّانِيَةِ حَيْثُ عَبَّرَ بِجَمْعِ الْكَثَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ بِالْفِرْقَةِ الْأُولَى حَيْثُ أَتَى بِجَمْعِ الْقَلَّةِ »⁽²⁾.

وقال أيضا في قطف الأزهار : « ظَهَرَ لِي فِي ذَلِكَ نُكْتَةٌ، وَهُوَ أَنَّ الرِّوَايَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ اخْتَلَفَتْ فِي عِدَّةِ الْأَيَّامِ، فَفِي رِوَايَةٍ قَالُوا: سَبْعَةُ أَيَّامٍ وَفِي رِوَايَةِ أَرْبَعِينَ، وَطَرِيقُ الْجَمْعِ أَنَّ فَرِيقًا مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا بِالْأَوَّلِ، وَفَرِيقًا آخَرَ قَالُوا بِالثَّانِي، فَلَعَلَّ ذِكْرَ مَعْدُودَةٍ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ (سَبْعَةً)، وَمَعْدُودَاتِ الَّذِي هُوَ جَمْعٌ مَعْدُودَةٍ إِشَارَةً إِلَى مَنْ قَالَ (أَرْبَعِينَ) أَوْ مَعْدُودَةٍ الَّذِي هُوَ لِلْكَثَرَةِ لِلْأَرْبَعِينَ، وَ(مَعْدُودَاتِ) الَّذِي هُوَ لِلْقَلَّةِ لِلْسَّبْعَةِ »⁽³⁾.

يمكن أن نعقب على كلام ابن جماعة والسيوطي بأمور منها :

1 - إذا سلّمنا أنّ قائل ذلك فرقتان من اليهود فإنّه غير كاف للكشف عن سرّ اختلاف التعبيرين.

2 - الصّحيح الذي عليه المحققون من العلماء أنّ اليهود الذين عبدوا العجل طائفة واحدة لا طائفتان، ولهذا لم يشر - حسب ما وقفنا عليه من تفاسير - أحد من المفسرين إلى أنّهم طائفتان .

3 - أنّ الروايات ذكرت العددين في سورة البقرة وآل عمران .

⁽¹⁾ ابن جماعة، كشف المعاني، ص 103.

⁽²⁾ السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج 3، ص 393 .

⁽³⁾ السيوطي، قطف الأزهار في كشف الأسرار، تح: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط 1، 1414 هـ - 1994 م . ج 1، ص 279 .

4 . القول بأن معدودة جمع كثرة مردود، ذلك أن معدودة مؤنث معدود وهو اسم مفعول مفرد .

التوجيه الثالث : نظر أصحابه في سياق الآيتين ثم فسروا اللفظين حسب القلة والكثرة، حيث قالوا إن اللفظين يدلان على القليل، ودلالة أحدهما على القلة أكثر من دلالة الآخر . يقول الزجاج: «(معدودات) يُسْتَعْمَلُ كثيراً في اللغة للشَّيْءِ القَلِيلِ، وكلّ عدد قلّ أو كثر فهو معدود، ولكنّ معدودات أدلّ على القلة، لأنّ كلّ قليل يجمع بالألف والتاء، نحو دريهماتٍ وجماعاتٍ »⁽¹⁾.

يفهم من قول الزجاج (أدلّ على القلة) أن معدودة أيضاً تدلّ على القلة ولكن بدرجة أقلّ من معدودات .

وقال البقاعي في توجيه آية البقرة : «ولمّا كان مُرادُهُمْ بِذَلِكَ أَتَمُّ لا يَخْلُدُونَ فِيهَا وكان جمع القلة وإن كان يدلّ على ذلك لكنّه ربما استعير للكثرة فدلّ على ما لا آخر له أو ما يعسر عدّه، زادوا المعنى تأكيداً وتصريحاً بقولهم: (معدودة) أي منقضية، لأنّ كلّ معدود منقضى ... واقتصر على الوصفِ بالمفرد لكفايته في هذا المعنى بخلاف ما في آل عمران»⁽²⁾.

وقال في توجيه آية آل عمران : «ولمّا كان المقام هنا لتناهي اجترائهم على العظام لاستهانتهم بالعذاب لاستقصارهم لمدّته والتصريح بقتل الأمرين بالقسط عامّة وبجُوبِ الأعمال، وكان جمع القلة قد يستعار للكثرة أكّدت إرادتهم حقيقة القلة بجمع آخر للقلة، فقليل على ما هو الأولى من وصف جمع القلة لما لا يعقل بجمع جبراً له (معدودات) »⁽³⁾.

نفهم من توجيه البقاعي ما يأتي :

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص276 .

(2) البقاعي، نظم الدرر، ج1، ص177 .

(3) المصدر نفسه، ج2، ص50 .

الفصل الرابع: العدول المعجمي

1 - أن كلاً من (معدودة) و(معدودات) يدلّان على القلة .

2 - أن الأيام المعدودات أقلّ من الأيام المعدودة؛ وذلك أن معاصيهم وجرائمهم المذكورة قبل آية البقرة أقلّ منها قبل آية آل عمران، فقبل آية البقرة قال الله تعالى : ﴿ أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٥ - ٧٦)، وقال أيضا: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٧٩) ﴾ (البقرة: ٧٩)، فلمعاصي والكبائر المذكورة هنا هي :

1 - سماع كلام الله ثمّ تحريفه وصرفه عن وجهه .

2 - إظهار الإيمان وإبطان التّفاق .

3 - كتابة الكتاب بأيديهم والادّعاء أنّه من عند الله طمعا في الكسب .

وأما قبل آية آل عمران فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَغْيًا حَقًّا وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢١) ﴾ (آل عمران: ٢١)، وقال أيضا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢٣) ﴾ (آل عمران: ٢٣)، فلمعاصي والجرائم المرتكبة هنا هي :

1 - الكفر بآيات الله .

2 - قتل النّبیین بغير حقّ .

3 - قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس .

4 - الدعوة إلى أن يكون كتاب الله حكماً ثم التولي والإعرض عنه .

فإذا ثبت أن جرائمهم في آل عمران أكثر منها في البقرة ثبت أن الأيام المعدودات أقل من الأيام المعدودة؛ لأن الذي يعلم أنه سوف يعذب أياماً قليلات يكون أكثر اجترأ على المعاصي من الذي يعلم أنه سيعذب أياماً كثيرة .

وذهب السامرائي إلى أن الجرم في سورة البقرة أكبر منه في سورة آل عمران فقال : «فليس في آية آل عمران مثل الجرم المذكور في سورة البقرة من ارتكاب الذنب العمد وتحريف كلام الله، ففرق كبير بين المقامين. فجاء بزمان العذاب الطويل للجرم الكبير، والقليل للذنب القليل» (1) .

والحقيقة - والله أعلم - على ما ذكرنا من أن الجرم في آل عمران أكبر منه في البقرة .

ويرى الطاهر بن عاشور أن (معدودات) أكثر من (معدودة) حيث قال: « وَذَلِكَ أَنَّ الْوَجْهَ فِي الْوَصْفِ الْجَارِي عَلَى جَمْعٍ مُذَكَّرٍ إِذَا أَتَتْهُ أَنْ يَكُونَ مُؤَنَّثًا مُفْرَدًا، لِأَنَّ الْجَمْعَ قَدْ أُوِّلَ بِالْجَمَاعَةِ وَالْجَمَاعَةُ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ وَهَذَا هُوَ الْعَالِبُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا التَّنْبِيْهَ عَلَى كَثَرَةِ ذَلِكَ الْجَمْعِ أَجْرَوْا وَصْفَهُ عَلَى صِبْغَةِ جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ لِيَكُونَ فِي مَعْنَى الْجَمَاعَاتِ وَأَنَّ الْجَمْعَ يَنْحَلُّ إِلَى جَمَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَلِذَلِكَ فَأَنَا أَرَى أَنَّ مَعْدُودَاتٍ أَكْثَرُ مِنْ مَعْدُودَةٍ وَلِأَجْلِ هَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا السَّارُّ إِلَّا أَيْكَامًا مَعْدُودَةً ﴾ (البقرة: ٨٠) لِأَنَّهُمْ يُقَلِّلُونَهَا غُرُورًا أَوْ تَغْرِيرًا، وَقَالَ هُنَا مَعْدُودَاتٍ لِأَنَّهَا ثَلَاثُونَ يَوْمًا » (2) .

(1) فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص 42 .

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص 161 .

إنّ قول الطاهر بن عاشور هذا جاء عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٤) وجمهور المفسرين على أنّها ثلاثون يوما، فبنى على هذه الآية رأيه في كون (معدودات) أكثر من (معدودة)، ولا ندري كيف لم يلتفت إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (آل عمران: ٢٤) حين ذكر التقليل في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠).

التوجيه الرابع : وهو ماذهب إليه الغرناطي حين قال بعد أن ذكر جواز وصف جمع المذكّر غير العاقل بالمفرد المؤنث أو بالجمع المؤنث : « وإذ تبين ما ذكرناه وأنّه الجاري الكثير مع ما وقع في آية البقرة من الإيجاز وفي الأخرى من الإطالة، ألا ترى قوله تعالى في آية آل عمران: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ٢٤)، وفي البقرة: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠)، وإخباره تعالى باغترارهم بقوله : ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ٢٤)، وهذا بسطٌ لحالهم الحامل على سوء مُرتكِبِهِمْ، ولم يقع في سورة البقرة تعرضٌ لشيءٍ من ذلك، بل أوجز القول ولم يذكر سببه، فناسب الإفراد الإيجاز وناسب الجمع الإسهاب، ولو جمع في سورة البقرة وأفرد في سورة آل عمران أو أفرد فيهما أو جمع فيهما لما ناسب، فورد كلٌّ على ما يُناسب ويحبُّ » ^(١).

مفاد قول الغرناطي أنّ سرّ التعبير بمعدودة تارة ومعدودات تارة أخرى هو تحقيق التناسب بين أفراد اللفظ وما سبقه من الإيجاز، وجمع اللفظ وما سبقه من الإطناب والتفصيل .

(١) الغرناطي، ملاك التأويل، ج 1، ص 47 .

الفصل الرابع: العدول المعجمي

التوجيه الخامس : ذهب أصحابه إلى أنّ معدودة تدلّ على عدد غير معين، ومعدودات تدلّ على عدد معين . قال أبو حيان : « وَقِيلَ أَرَادَ يَقُولُهُ: مَعْدُودَةٌ، أَيْ قَلَائِلُ يَحْضُرُهَا الْعَدُّ، لَا أَنَّهَا مَعْيِنَةُ الْعَدِّ فِي نَفْسِهَا »⁽¹⁾.

وقال الزّخشي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة: ١٨٤): « وَمَعْنَى معدودات مؤقّتات بِعَدَدٍ مَعْلُومٍ »⁽²⁾.

والدليل على أنّ معدودات يدلّ على عدد معين تفسير العلماء للأيّام المعدودات أو المعلومات في القرآن الكريم فقد قيل : إن الأيّام المعلومات هي يوم النحر ويومين من أيّام التشريق، والأيّام المعدودات في سورة البقرة هي أيّام شهر رمضان. وقيل الأيّام المعدودات هي أيّام رمي الجمار إلى غير ذلك من الأقوال⁽³⁾.

يقول أحد الباحثين بعد أن بحث في سياق كلّ ما ورد في القرآن من قوله (معدودة) أو (معدودات) أو (معلومات) : « وبناء على ذلك أستطيع أن أقول : يؤتى بصيغة (معدودات ومعلومات) في القرآن الكريم عندما يُقْصَدُ الْحَضَرُ الرَّقْمِيُّ والتَّعْيِينُ، وبصيغة (معدودة) للدلالة على التّقليل ولكنّه غير محدّد برقم يزيل غموضه »⁽⁴⁾.

(1) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص448 .

(2) الزخشي، الكشف، ج1، ص225 .

(3) ينظر: مقاتل (أبو الحسن مقاتل بن سليمان، 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط1، 1423 هـ، ج1، ص176 . وابن وهب (عبد الله بن وهب، أبو محمد، 197هـ)، تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، تح: ميكولوش موراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003 م. ج2، ص188، والصنعاني (عبد الرزاق بن همام، أبو بكر، 211هـ)، تفسير عبد الرزاق، تح: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ. ج1، ص237، والطبري، جامع البيان، ج4، ص211، وابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ج2، ص361.

(4) مشهور موسى مشهور مشاهرة، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نقدية بلاغية، عالم الكب الحديث، الأردن، ط1، 1431 هـ. 2010 م. ص142.

المثال الرابع: قال الله تعالى على لسان إبراهيم وهو يدعو ربه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة: ١٢٦)، وقال في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥).

يتجلى العدول في هذا المثال في العدول عن التكرار إلى المعرفة، حيث ورد اللفظ منكراً في آية البقرة، ومعرّفاً بآل في آية إبراهيم، مع أنّ الدعاء على لسان إبراهيم عليه السلام في الموضعين، فما السرّ في العدول عن التّكثير في آية البقرة إلى التعريف في آية إبراهيم؟

قبل أن نحاول تبيان وجه اختصاص كلّ لفظ بالموضع الذي ورد فيه نبين أولاً الدلالات اللغوية للبلد.

قال الخليل: «البلد: كلّ موضع مُسْتَحْيِزٍ من الأرض، عامر أو غير عامر، خالٍ أو مسكون»^(١).

يشترط الخليل في الموضع الذي يصح أن يسمّى بلداً أن يأخذ حيّزاً من الأرض، سواء أكان عامراً بالبنيان والبيوت أم لا، وسواء أكان خالياً من السّكان أم مسكوناً.

وأطلق بعضهم لفظ البلد، فقال هو: الأرض^(٢)، وقيل هو: الصّدر، يقال وضعت النّاقة بلدتها إذا بركت، والأثر، والقبر^(٣).

(١) الخليل، العين، ج ٨، ص ٤٨.

(٢) ينظر: الشيباني (إسحاق بن مزار، أبو عمرو، ٢٠٠٦هـ)، الجيم، تح: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م. ج ١، ص ٨٨.

(٣) ينظر: كراع النمل (علي بن الحسن الهنائي، أبو الحسن، بعد ٣٠٩هـ)، المُنَجَّد في اللغة، تح: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨ م. ص ١٤٣، وابن فارس، مجمل اللغة، ج ١، ص ١٣٤، ومقاييس اللغة، ج ١، ص ٢٩٩.

وقال الراغب : « البلد المكان المحيط المحدود، المتأثر باجتماع قطّانه فيه ، وجمعه بلاد، وبُلْدَان »⁽¹⁾.

نفهم من كلام الراغب، أن البلد لا يسمّى بلدا إلا بأربعة شروط :

1 - أن يكون موزعا محدودا، أي يأخذ حيّزا معينا .

2 - أن يتأثر بالسكان .

3 - أن يكون عامرا، ويفهم من قوله (اجتماع) .

4 - أن يكون مسكونا، ويفهم من قوله (قطانة) .

إنّ تعريف الراغب للبلد يختلف عن تعريف الخليل له من حيث كونه عامرا ومسكونا، ويتّحد معه في كونه يأخذ حيّزا.

إذا رجعنا إلى أقوال المفسرين وأصحاب كتب المتشابه اللفظي وعلوم القرآن بحثا عن السرّ في هذا العدول الحاصل سنجد أنّهم ذكروا جملة من التوجيهات، بعضها مقبول، وبعضها بعيد لا يتوافق مع السياق، وحاصل هذه التوجيهات ثلاثة :

التوجيه الأول : أنّ اختلاف التعبيرين بسبب اختلاف وقت الدّعاء؛ فالدّعوة الأولى

في آية البقرة ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلدا، فكأنّه قال: اجعل هذا الوادي بلدا آمنا، فالمدعوّ به هنا أمران : البلديّة، والأمن. وأمّا الدّعوة الثانية في آية إبراهيم ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾، فقد وقعت بعد أن صار

⁽¹⁾ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 142 .

الفصل الرابع: العدول المعجمي

بلدا، فكأنه قال : اجعل هذا المكان الذي صيرته بلدا ذا أمن، فالمدعو به هنا أمر واحد : وهو الأمن ⁽¹⁾ .

وتحقيق هذا التعليل أنك إذا قلت : (اجعل هذا خاتما حسنا) ، فقد أشرت إلى المادة طالبا أن يُسَبَّكَ منها خاتمٌ حسنٌ، وإذا قلت : (اجعل هذا الخاتم حسنا) ، فقد قصدت الحسن دون الخاتمية، وذلك لأنَّ محطَّ الفائدة هو المفعول الثاني؛ لأنه بمنزلة الخبر ⁽²⁾ .

ويرى الغرناطي أن هذا التعليل بعيد، لكنه يبقى ممكنا، وعلل بعده بأنه ليس مفهوما من لفظ الآي ⁽³⁾ ، ولعله يقصد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥) ، فوجود البيت والطائفين والعاكفين والركع السجود، يوحي بأن البلدية

⁽¹⁾ ينظر: الإسكافي، درة التنزيل، ص282، والكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص78، والرازي، مفاتيح الغيب، ج4، ص49، ومحمد بن أبي بكر الرازي، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، تح: عبد الرحمن المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1413هـ، 1991م، ص11، والزركشي، البرهان، ج2، ص64، وابن جماعة، كشف المعاني، ص105 - 106، والنيسابوري، غرائب القرآن، ج1، ص394، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحیط، ج1، ص612، والسيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م، ج1، ص69، والإتقان في علوم القرآن، ج3، ص394، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص255، والألوسي، روح المعاني، ج1، ص379، وعبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج1، ص442، و محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي المعروف بخواطري حول القرآن الكريم، مطابع أخبار اليوم، مصر، دط، 1991م، ج1، ص582، وأحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، دط، 2003 م . ص249، وجعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط1، 1420هـ، ج1، ص265.

⁽²⁾ ينظر: الشهاب (أحمد بن محمد، شهاب الدين، 1069هـ)، حاشية الشَّهابِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِي، دتح، دار صادر - بيروت، دط، دت، ج5، ص269، والألوسي، روح المعاني، ج7، ص220

⁽³⁾ ينظر : الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص51.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

متحققة قبل دعاء إبراهيم، فلا داعي لتخريج التأكيد في الآية بالقول إنّ الدّعوة الأولى كانت قبل أن يكون المكان بلدا .

إنّ تعريف البلد في آية إبراهيم، وجعله تابعا لاسم الإشارة ، يمكن حمله على أمرين :

أحدهما : تعدّد السّؤال .

والآخر: وحدة السّؤال .

فإن حملناه على الأمر الأول، فجوابه: " أنّه عليه السّلام سأل أوّلا كلا الأمرين: البلديّة والأمن، فاستجيب له في أحدهما، وتأخّر الآخر إلى وقته المقدّر له لما تقتضيه الحكمة الباهرة، ثمّ كرّر السّؤال حسبما هو المعتاد في الدّعاء والابتهال، أو كان المسؤول أوّلا البلديّة ومجرّد الأمن المصحّح للسّكن كما في سائر البلاد، وقد أجب إلى ذلك، وثانيا الأمن المعهود، أو كان هو المسؤول أوّلا أيضا، وقد أجب إليه، لكنّ السّؤال الثّاني لاستدامته . والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا؛ لأنّه المقصد الأصليّ، أو لأنّ المعتاد في البلديّة الاستمرار بعد التّحقّق ، بخلاف الأمن " (1).

يمكن توضيح هذا الجواب في النّقطتين الآتيتين :

1- سأل إبراهيم عليه السّلام البلديّة والأمن، فأجب في البلديّة، وتأخرت إجابة الأمن إلى وقت آخر، ولهذا كرّر السّؤال على عادة الدّاعين في الإلحاح على الله تعالى .

2- أنّه سأل في الأوّل البلديّة والأمن المصحّح للسّكن، أي الأمن الذي يصحّ به السّكن وهو الأمن العامّ؛ " لأنّ الإنسان في أي بقعة من بقاع الأرض لا يتّخذ مكانا يجلس فيه ويقيم ويتوطّن إلّا إذا ضمن لنفسه أسباب الأمن من مقومات حياة، ومن عدم تفزيعة

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص256.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

تفزيها قويا، وهذا الأمن مطلوب لكل إنسان في أي أرض ⁽¹⁾ وقد أجيّب إلى كلا الأمرين، ثم سأل ثانيا الأمن المعهود، وهو الأمن الخاص، الذي تتسم به مكّة " ففي غير هذا المكان يمكن أن تقطع شجرة، أو يصطاد صيد، ولكن في هذا المكان هناك أمن خاصّ جدّا، أمن للنبات، ولكلّ شيء يوجد فيه، فحتى الحيوان لا يصاد فيه " ⁽²⁾، وربما سأل في الأوّل الأمن عامّه وخاصّه، وكترّر السّؤال طلبا لثباته ودوامه؛ لأنّ الأمن قد يزول بعد التّحقّق، بخلاف البلديّة، فإنّ المعتاد فيها الاستمرار بعد التّحقّق .

أمّا إذا حملناه على وحدة السّؤال وتكرّر الحكاية، فالظاهر أنّ المسؤول كلا الأمرين، كما حكى في آية البقرة، وإنّما اقتصر في آية إبراهيم على سؤال الأمن اكتفاء بحكاية سؤال البلديّة بقوله : ﴿فَجَعَلَ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم: ٣٧) إذ المسؤول هوّيّتها إليهم للمساكنة معهم لا للحجّ فقط ⁽³⁾ .

التّوجيه الثّاني : أنّ الدعوتين وقعتا بعدما صار المكان بلدا، فقوله ﴿أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ (البقرة: ١٢٦) تقديره : (اجعل هذا البلد بلدا آمنا) كقولك : (كان اليوم يوما حارا)، وهذا إنّما تذكره للمبالغة في وصفه بالحرارة، لأنّ التّكثير يدلّ على المبالغة، والمعنى : اجعله من البلدان الكاملة في الأمن، وأمّا قوله : ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (إبراهيم: ٣٥) فليس فيه إلّا طلب الأمن، لا طلب المبالغة ⁽⁴⁾ .

إنّ القصد - حسب هذا التّوجيه - يكون إلى الصفة دون الموصوف؛ ذلك أنّ القائل قد يقول: " (اجعل ولدك هذا ولدا أديبا)، وهو ليس يأمره بأن يجعله ولدا، لأنّ ذلك ليس

⁽¹⁾ الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج12، ص7564.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ج12، ص7564.

⁽³⁾ ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم ج3، ص267 .

⁽⁴⁾ ينظر: الإسكافي، درة التنزيل، ص284 - 285، والرازي، مفاتيح الغيب، ج4، ص49، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص612، والنيسابوري، غرائب القرآن، ج1، ص394، والسيوطي، معترك الأقران، ج1، ص69.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

إليه، وإِثْمًا يأمر بتأديبه، فكأنَّه قال: اجعله على هذه الصفة وهذا كما تقول: ... كانت اللّيلة ليلَةً باردةً، فتنصب ليلة على أَثْمًا خبر كان، وحكم الخبر أن يتم به الكلام، ولو قلت: كانت اللّيلة ليلَةً، لم يكن الكلام تامًّا " (1).

إنّ هذا التوجيه -حسب رأينا- ضعيف لثلاثة أمور :

- 1- أن فيه تقدير محذوف، وإذا دار الأمر بين التقدير وعدمه فتركه أولى .
- 2- أنهم يقدّرون في قوله تعالى ﴿رَبِّ جَعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾، ولا يقدّرون في الآية الأخرى، والأولى أن يقدّر في الأولى (البلد) معرفة، وفي الثانية (بلدا) نكرة، حتّى تتطابق الدّعوتان .
- 3- أنهم رأوا المبالغة في الأمن في الآية الأولى، ولم يروها في الآية الثانية، مع أن الدّعوتين وقعتا بعد أن صار المكان بلدا .

التوجيه الثالث : وهو ما تفرّد به الغرناطيّ، حيث قال: « ووجهه - والله أعلم - أنّ اسم الإشارة الذي هو (هذا) في سورة البقرة، لم يُقصد تبعيته اكتفاءً بالواقع قبله من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (البقرة: ١٢٥)، وقوله: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ (البقرة: ١٢٥)، وتعريف البيت حاصل من تعريف البلد، لا سيّما بما تقدّم من قول إبراهيم عند نُزُولِهِ بولده بحرم الله ودعائه أولاً بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ (إبراهيم: ٣٧) فتعريف البيت تعريف للبلد، فورد اسم الإشارة غير مفتقرٍ إلى التابع المبيّن جنسه كالجاري في أسماء الإشارة اكتفاءً بما تقدّمه ممّا يحصل منه مقصودُ البيان ... ولو تعرّف لفظُ (بلد) بالألف واللام، وجرى على اسم الإشارة لم يكن ليحرز بياناً زائداً على ما تحصل ممّا تقدّم،

(1) الإسكافي، درة التنزيل، ص 285 . 286 .

بلْ يَكُونُ كَالْتَّكَرَّارِ، فَوَرَدَ الْكَلَامُ عَلَى مَا هُوَ أَخْرَزُ لِلْإِيجَازِ، وَأُبْلَغُ فِي الْمَقْصُودِ، مَعَ حُصُولِ مَا كَانَتْ التَّبَعِيَّةُ تُعْطِيهِ فَجَاءَ عَلَى مَا يَجِبُ .

وأما آية سورة إبراهيم، فلم يتقدّم فيها ما يَقومُ لاسم الإشارة مقام التابع المعرف بجنس ما يُشارُ إليه، فلم يَكُنْ بدُّ من إجراء البَلَدِ عليه تَابِعاً لَهُ بالألف واللام على المعهود الجاري من تعيين جنس المشار إليه باسم جامد في الغالب ⁽¹⁾.

يمكن أن نسجّل من كلام الغرناطي النقاط الآتية :

1- المعهود الجاري في أسماء الإشارة، أن يذكر بعدها ما يبيّن جنسها، وهو اسم جامد في الغالب، ولكنه قد لا يذكر اكتفاء بالواقع قبله، أو المقام الذي ورد فيه .

2- اعتمد الغرناطي في توجيهه على سياقين :

أ- سياق لغويّ : وهو تقدّم لفظي (البيت) أو (بيتي).

ب- سياق ثقافيّ : وهو دلالة كلمة (البيت) على الكعبة، ودلالة الكعبة

على البلد الذي هي فيه .

3- مفاد توجيه الغرناطي أنّ تنكير (بلد) في آية البقرة حقّق المقصود وأحرز الإيجاز، والبلاغة الإيجاز - كما قيل - ولو عرّفه لحصل تكرار لا طائل منه، وأما تعريفه في آية إبراهيم فقد جاء على المعهود الجاري في أسماء الإشارة .

بعد عرض هذه التوجيهات الثلاثة، نخلص إلى أن أفضل توجيه، هو الجمع بين التوجيه الأوّل والتوجيه الثّالث؛ ذلك أنّ التّوجيه الأوّل توجيه جيّد من حيث إنّه يفسّر لنا سبب التّنكير في موضع، والتّعريف في موضع آخر، ولكنه لا يفسّر لنا سرّ اختصاص آية البقرة بالتّنكير، وآية إبراهيم بالتّعريف، وهنا يسعفنا التّوجيه الثّالث الذي يبيّن لنا سرّ اختصاص التّنكير بآية البقرة، والتّعريف بآية إبراهيم، بالاعتماد على السياقين اللّغويّ والثّقافيّ.

(1) الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص 50 .

2- العدول المعجمي في الأفعال

المثال الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (البقرة: ٥٨ - ٥٩)، وقال في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ (الأعراف: ١٦١ - ١٦٢).

نلاحظ أنّ النّظم القرآنيّ عدل عن الألفاظ (ادخلوا، أنزلنا، يفسقون) إلى الألفاظ (اسكنوا، أرسلنا، يظلمون) مع أنّ التعبيرين متشابهان، والقصة واحدة، ومعلوم بالبداهة أنّ الدّخول ليس بمعنى السّكن، والإنزال ليس بمعنى الإرسال، والفسوق ليس بمعنى الظلم، وهذا يستدعي التّساؤل عن السّر في التعبير بالدّخول والإنزال والفسوق في آية البقرة والعدول عنها إلى السّكن والإرسال والظلم في آية الأعراف؟

يرى الزّمخشري أنّه " لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض" ^(١)، ويرى ابنُ عاشور أنّ التّفريق بين القصّتين جاء على عادة القرآن في تغيير أسلوب القصص استجداداً لنشاط السّامع ^(٢).

(١) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص170.

(٢) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص144.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

إنّ ما ذهب إليه الرّمخشريّ أو ابن عاشور غير مسلّم به -حسب رأينا- لأنّنا إنّ سلّمنا به وعكسنا فأتينا بألفاظ آية الأعراف ووضعتها في مكان ألفاظ آية البقرة لم يكن هناك مانع طالما غيّرنا الأسلوب ولم يحدث تناقض.

لا شكّ أنّ اختلاف عبارات القرآن في مثل هذه المواطن المتشابهة لا يحدث تناقضاً كما أنه تغيير ظاهر في أسلوب القصص، ولكنّ هذا التعبير وذلك الاختلاف ليس من باب التفتّن فحسب، بل تكمن وراءه أسرارٌ ولطائف ومعانٍ، ولا يمكن أن نعكس أبداً؛ إذ كلّ لفظة وضعت في مكانها اللائق وموضعها المناسب.

فقوله تعالى في آية البقرة: (ادْخُلُوا) وفي آية الأعراف: (اسكنوا) يرجع إلى أنّه لا بدّ من دخول القرية أولاً ثمّ سكناها ثانياً؛ لأنّ السكّنى ضرورة تتعقّب الدّخول، فأمرُوا في آية البقرة بمبدأ الشّيء وفي آية الأعراف بما تسبّب عنه الدّخول ليحصل التّناسب، إذ إن الدّخول مقدّم على السكّنى، والبقرة مقدّمة في الذّكر على الأعراف⁽¹⁾.

وذهب ابن عجيبة إلى أن السيّاق في آية الأعراف هو سياق غَضَبٍ وعقاب على عبادة العجل، وفي آية البقرة هو سياق امتنان، فعبر في سياق الغضب والعقاب بالسكّنى، وفي سياق الامتنان بالدّخول؛ لأن السكّنى أشقّ من الدّخول⁽²⁾.

ويرى الغرناطيّ أنّ الأمر بدخول القرية مغايّر من حيث المعنى للأمر بالسكّنى، فعبر بالدّخول في آية البقرة ثمّ أتى في الأعراف بما يوضح هذا الدّخول ويبيّن المراد والمقصود منه أي إنّ دخول يراد به السكّنى⁽³⁾.

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص389، وأبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص201، والنيسابوري، غرائب

القرآن، ج1، ص296، ومحمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج9، ص313.

(2) ينظر، ابن عجيبة، البحر المديد، ج2، ص273.

(3) ينظر: الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص36.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

وأما قوله (أنزلنا) في آية البقرة و(أرسلنا) فيمكن الاستعانة في بيان اختصاص كل لفظ بموضعه الذي ورد فيه بما أورده الرازي - حين قال: «الإنزال لَا يُشْعِرُ بِالكَثْرَةِ، وَالْإِرْسَالُ يُشْعِرُ بِهَا، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى بَدَأَ بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ الْقَلِيلِ، ثُمَّ جَعَلَهُ كَثِيرًا»⁽¹⁾ - والنيسابوري - حين قال: «الإنزال يفيد حدوثه في أول الأمر، والإرسال يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية»⁽²⁾ - ونربطه بما ذكره ابن عجيبة من أنّ سياق البقرة سياق امتنان، وسياق الأعراف سياق غضب وعقاب⁽³⁾، فعبر في سياق الامتنان بالإنزال الذي يشعر بقلّة الرّجز المنزّل عليهم وأنّه في بدايته، وعبر في سياق الغضب والعقاب بالإرسال الذي يشعر بكثرة الرّجز المرسل عليهم وأنه سيتسلط عليهم ويستأصلهم بالكلية.

وأما السّر في التعبير بـ(يفسقون) في آية البقرة و(يظلمون) في آية الأعراف فراجع إلى السياق أيضا حيث ذكر في سياق الامتنان الفسق وهو أقل من الظلم ولا يستلزمه، وذكر في سياق السخط والغضب والعقاب الظلم وهو أشد من الفسق ويستلزمه⁽⁴⁾.

المثال الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠)، وقال في سورة الأعراف: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ ۖ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰ

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص390.

(2) النيسابوري، غرائب القرآن، ج1، ص296.

(3) ينظر: ابن عجيبة، البحر المديد، ج2، ص273.

(4) ينظر: ابن جماعة، كشف المعاني، ص98، والسيوطي، معترك الأقران، ج1، ص68، وفاضل السامرائي، التعبير

القرآني، ص322.

وَالسَّالَوِيُّ^ط كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَتٍ مَا رَزَقْنَكُمْ^ع وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ (الأعراف: ١٦٠).

نلاحظ أنَّ النظم القرآني عدل عن لفظ (انْفَجَرَتْ) إلى لفظ (انْبَجَسَتْ) مع أنَّ القصّة واحدة، والتركيبين متشابهان، فهل الانفجار بمعنى الانبجاس ؟ أم أنَّ بينهما فروقا دلالية؟

الانفجار في اللغة مصدر الفعل (انفجر)، تقول: انفَجَرَ يَنْفَجِرُ انفِجَارًا، وأصله الْفَجْرُ وهو الشَّقُّ، وسمي الْفَجْرُ فَجْرًا لانْفِجَارِهِ أيْ انْصِدَاعِ الظُّلْمَةِ عن نور الصُّبْحِ^(١) ويقال: فَجَرْتُ الْمَاءَ أَفْجَرُهُ فَجْرًا فَانْفَجَرَ^(٢)، انفِجَارًا أي تَفْتَحَ بالماء^(٣).

وجعل ابن فارس مادّة الانفجار أصلا واحدا يدلّ على التَفْتَحِ في الشَّيْءِ^(٤)، بينما جعله الراغب الأصفهاني دالا على شقّ الشَّيْءِ شَقًّا واسعا ومن ذلك انفجار الماء^(٥).

ومن المجاز في هذا الباب قولهم: انْفَجَرَ عليهم العدوُّ إذا جَاءَهُمْ بَغْتَةً بكَثْرَةٍ، وانْفَجَرَتْ عليهم الدَّوَاهِي^(٦).

أما الانْبِجَاسُ فهو مصدر للفعل انْبَجَسَ، تقول: انْبَجَسَ يَنْبَجِسُ انْبِجَاسًا، والْبِجَسُ: انْشِقَاقٌ فِي قَرِيَةٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ أَرْضٍ يَنْبُعُ مِنْهُ الْمَاءُ، فَإِنْ لَمْ يَنْبُعْ فَلَيْسَ بِانْبِجَاسٍ^(٧).

(١) ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج 11، ص 36.

(٢) ينظر: الجوهري، الصحاح، ج 2، ص 778.

(٣) ينظر: ابن فارس، المجلد، ص 712.

(٤) ينظر: ابن فارس مقاييس اللغة، ج 4، ص 475.

(٥) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 627.

(٦) ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ج 2، ص 8.

(٧) ينظر: الخليل، العين، ج 6، ص 58.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

وَجَعَلَ ابن فارس أصل الانبجاس يدلّ على تفتح الشيء بالماء خاصّة⁽¹⁾، وانبجس الماء من السحاب والعين: انفجر، وتبجس تفجّر⁽²⁾.

بناءً على ماسبق نلاحظ أنّ الانفجار والانبجاس في لغة العرب يتقاربان في المعنى تقارباً كبيراً فكلاهما بمعنى خروج الماء، لكنّ بينهما فرقاً دلاليّاً دقيقاً بينه الراغب بقوله: «يُقَالُ: بَجَسَ الماءُ وَانْبَجَسَ: انْفَجَرَ، لَكِنَّ الانْبِجَاسَ أَكْثَرُ مَا يُقَالُ فِيهِمَا يُخْرَجُ مِنْ شَيْءٍ ضَيِّقٍ، وَالانْفِجَارُ يُسْتَعْمَلُ فِيهِ وَفِيهِمَا يُخْرَجُ مِنْ شَيْءٍ وَاسِعٍ»⁽³⁾.

يتّضح من كلام الراغب أنّ الانفجار أعمّ من الانبجاس إذ يستعمل بمعنى الانبجاس ويستعمل استعمالاً آخرَ زائداً عن معنى الانبجاس وهو استعماله فيما يخرج من شيء واسع.

وإذا رجعنا إلى كتب التفسير وجدنا أنّها لم تحفل بالتّفرّيف بين الانفجار والانبجاس بل وجدناهم يطلقون هذا على ذاك فالانفجار عندهم بمعنى الانبجاس والعكس صحيح. قال الزمخشري: «فَانْبَجَسَتْ فَانْفَجَرَتْ. والمعنى واحد، وهو الانْفِتَاحُ بِسَعَةٍ وَكَثْرَةٍ»⁽⁴⁾.

وأشار ابن عطية الأندلسي إلى أنّ الانبجاس هو الانفجار إلّا أنّ الانبجاس أخفّ من الانفجار⁽⁵⁾.

كما أشار الفخر الرازي نقلاً عن أبي عمرو بن العلاء البصريّ أنّ الانبجاس خروج الماء بقلّة والانفجار خروجه بكثرة⁽⁶⁾.

(1) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص199.

(2) ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص46.

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص108.

(4) الزمخشري، الكشف، ج2، ص169، وينظر: الطبري، جامع البيان، ج13، ص177، والماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج5، ص67، والثعلبي، الكشف والبيان، ج4، ص295، ومكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج4، ص2597، والواحدي، الوجيز، ص417، والنسفي، مدارك التنزيل، ج1، ص612، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص284، والشوكاني، فتح القدير، ج2، ص291.

(5) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص466.

(6) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص388.

إذا تبين أن بين هذين اللفظين فرقا دلاليًا فما السرّ في العدول عن اللفظ الأوّل إلى اللفظ الثاني؟ وما الغرض من ذلك؟

بعد اطلاعنا على جملة من توجيهات بعض العلماء وجدنا أنّه يمكن حصر السرّ في هذا العدول الحاصل في هذا المثال في خمسة توجيهات:

التوجيه الأوّل: ذكره ابن جماعة حيث يرى أن لا فرق في الدلالة بين الانفجار والانجاس وإمّا عدل عن اللفظ الأوّل إلى اللفظ الثاني تنوعا في الألفاظ والفصاحة⁽¹⁾.

إنّ هذا التوجيه - حسب رأينا - توجيه غير سديد لأمرين:

أحدهما: أنّه يسوّي بين دلالة اللفظين.

والثاني: أنّه يعدّ هذا العدول تفتّنا في التعبير، والتفتّن في التعبير لا يُفسّر به اختصاص الكلمة بموضعها الذي وردت فيه إذ لو عكسنا لصلح ذلك، وهذا محال في القرآن الكريم.

التوجيه الثاني: وهو ما ذهب إليه الغرناطي، فبعد أن ذكر أنّ الانفجار والانجاس مجتمعان في المعنى لكنّهما ليسا على حد سواء؛ إذ الانجاس هو بداية الانفجار وهذا الأخير غاية الانجاس بعد ذلك، أشار إلى أنّ "الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسى عليه السّلام السّقيا قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ (الأعراف: ١٦٠) والوارد في سورة البقرة طلب موسى عليه السّلام من ربّه قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ (البقرة: ٦٠) فطلبهم ابتداءً فناسبه الابتداء، وطلب موسى عليه السّلام غايةً لطلبهم؛ لأنّه واقع بعده ومرتبّ عليه فناسب الابتداء الابتداء والغاية الغاية، فقبل جوابا

(1) ينظر: ابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص 99.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

لطلبهم: "فانبجست" وقيل إجابة لطلبه: "فانفجرت" وتناسب ذلك وجاء على ما يجب، ولم يكن ليناسب العكس⁽¹⁾.

إنّ هذا التوجيه مقبول إلى حدّ بعيد نظرا لاعتماده على السياق اللغوي السابق وارتكازه على السمة التي يمتاز بها القرآن وهي تناسب الألفاظ مع المعاني.

التوجيه الثالث: وهو مذهب إليه الكرماي والأنصاري، ومفاد قولهما أنّ الانفجار أبلغ من الانبجاس؛ لأنّ الانفجار انصباب الماء بكثرة والانبجاس ظهور الماء فقط، فلمّا كان الأمر كذلك وبالنظر في سياق الآيتين ناسب مقام الجمع بين الأكل والشرب الانفجار، وناسب الانبجاس مقام ذكر الأكل من الطيبات دون ذكر الشرب⁽²⁾.

التوجيه الرابع: وهو القول الثاني لابن جماعة حيث يرى أنّ الانبجاس دون الانفجار وأنّ الانفجار أبلغ في كثرة الماء، فلمّا كان المقام في آية البقرة مقام تعداد للنعم ناسبه ذكر الانفجار بالماء الكثير⁽³⁾.

التوجيه الخامس: وهو مذهب إليه السامرائي حين قال: «وتمّة فرق بين الانفجار والانبجاس فإنّ الانفجار للماء الكثير، والانبجاس للماء القليل. وكلّ تعبير يناسب موطنه. فإنّ المقام في سورة البقرة مقام تعداد النعم كما ذكرنا. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية: إنّ موسى هو الذي استسقى ربّه فناسب إجابته بانفجار الماء. ومن ناحية ثالثة: إنّ الله قال

(1) الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص40.

(2) ينظر: الكرماي، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص74، والأنصاري (زكريا بن محمد، أبو يحيى، زين الدين، 926هـ)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط1، 1403 هـ - 1983 م، ص28.

(3) ينظر: ابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص98-99، والسيوطي، معترك الأقران، ج1، ص68.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

لموسى: اضرب بعصاك الحجر ولم يوح إليه وحياً، فناسب ذلك انفجار الماء الكثير الغزير، بخلاف ما ورد في سورة الأعراف فجاء بالانبحاس⁽¹⁾.

نلاحظ أن توجيه السامرائي له ثلاث نواح:

الناحية الأولى: أنّ المقام في آية البقرة مقام تعداد للنعم ولذا ناسبه ذكر الانفجار وهذه الناحية موافقة لتوجيه ابن جماعة.

الناحية الثانية: أنّه ذكر الانفجار في مقام طلب موسى السقيا من ربّه أي إنّ الطلب موجه لله عزّ وجل، والله أكرم الأكرمين أجابه بانفجار الماء الكثير الغزير، وأمّا الانبحاس فذكر في مقام طلب قوم موسى السقيا من موسى فجاء على درجة أقلّ لكونه بواسطة.

الناحية الثالثة: أنّ السياق السابق يبيّن أنّ الانفجار ذكر عند أمر الله المباشر بضرب الحجر، وأمّا الانبحاس فذكر بعد الوحي بضرب الحجر، ومعلوم أنّ القول والأمر المباشر أبلغ من الوحي.

⁽¹⁾ فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص322، وينظر: فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك للطباعة، القاهرة، ط2، 1417هـ-2006م، ص112.

3- العدول المعجمي في الحروف

المثال الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا يَتَّكِدُمْ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٣٥)، وقال في سورة الأعراف: ﴿وَيَتَّكِدُمْ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٩).

يتجلى العدول في هذا المثال في أنه عطف الأكل على الأمر بالسكن في آية البقرة بالواو، وعطفه في آية الأعراف بالفاء مع أن الأمر واحد والقصة واحدة.

فالواو والفاء يندرجان ضمن حروف العطف إلا أنهما يختلفان في المعنى، فالواو تفيد مطلق الجمع فتعطف الشيء على صاحبه وعلى سابقه وعلى لاحقه قال ابن مالك:

فَاعْطِفْ بِوَاوٍ لَاحِقًا أَوْ سَابِقًا فِي الْحُكْمِ أَوْ مُصَاحِبًا مُوَافِقًا⁽¹⁾

وأما الفاء فتفيد الترتيب والتعقيب والتسبيب⁽²⁾.

(1) ينظر: ابن مالك، الألفية، ص136، وينظر: ابن جني، اللمع في العربية، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، دط، دت، ص91، والزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، ص403، و السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم، 581 هـ)، نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412 - 1992م، ص208، وابن الحاجب (جمال الدين بن عثمان، 646 هـ)، الكافية في علم النحو، تح: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب - القاهرة، ط1، 2010م، ص53، وابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، تح: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط1، 1410هـ - 1990م، ج3، ص348.

(2) ينظر: ابن جني، اللمع في العربية، ص91، والزمخشري، المفصل، ص404، والسهيلي، نتائج الفكر، ص196، وابن الحاجب، الكافية، ص53.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

فإذا تقرّر أنّ الواو والفاء مختلفان في المعنى فهذا يستدعي التساؤل عن سرّ اختصاص الواو بآية البقرة واختصاص الفاء بآية الأعراف؟

لم تحفل جلّ كتب التفسير التي وقفنا عليها بتوجيه يكشف لنا سبب هذا العدول، وهذا يدلّ على أنّهم يرون أن لا فرق في التعبير بالواو أو بالفاء .

أول مفسّر أشار إلى نوع من الاختلاف بين التعبيرين هو الفخر الرازي في تفسيره، حيث ذكر أنّ " الواو تُفيدُ الجُمعَ المُطلقَ والفاءُ تُفيدُ الجُمعَ على سبيلِ التّعقيبِ فالمفهومُ من الفاءِ نوعٌ داخلٌ تحتَ المفهومِ من الواوِ ولا مُنافاةَ بينَ النوعِ والجِنسِ ففي سورةِ البقرةِ دَكَرَ الجِنسَ وفي سورةِ الأعرافِ ذكرَ النوعَ " (1) .

إنّ توجيه الرازي الذي مرّ آنفا يوحي بأنّه يرى هذا العدول من باب التّقنن في التعبير فهو يعبر بالجنس مرّة وبالتّوع مرّة أخرى.

أمّا أصحاب كتب المتشابه اللفظي فلهم وقفة مع هذا الموضع من العدول، ولهم في ذلك خمسة توجيهات:

التوجيه الأول: وهو ماذهب إليه الإسكافي، حيث ابتدأ جوابه ببيان متى يكون العطف بالفاء، حيث يرى أنّ كلّ فعل عطف عليه ما يتعلّق به تعلّق الجواب بالابتداء، وكان الأوّل مع الثّاني بمعنى الشّروط والجزاء فالأصل فيه عطف الثّاني على الأوّل بالفاء دون الواو، وعلى هذا يرى أنّ عطف "كُلا" على قوله (اسْكُنْ) في آية البقرة يكون بالواو دون الفاء؛ لأنّ السكّني هي المقام مع طول اللبّث، والأكل لا يختصّ وجوده بوجوده؛ لأنّ من يدخل بستانا قد يأكل منه وإن كان محتازا، فلمّا لم يتعلّق الثّاني بالأوّل تعلّق الجواب بالابتداء وجب العطف بالواو دون الفاء (2).

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج14، ص217.

(2) ينظر: الإسكافي، درة التنزيل، ج1، ص222-223.

وأما في آية الأعراف فالعطف فيها بالفاء وإن كان الأمر قبلها (اسكن) كما في آية البقرة لكأنه يرى أن (اسكن) يقال لمن دخل مكانا فيراد به: الزم هذا المكان الذي دخلته ولا تنتقل منه، ويقال أيضا لمن لم يدخله اسكن هذا المكان أي ادخله واسكنه، وعلى هذا المعنى الثاني تحمل آية الأعراف لتتناسب مع السياق الذي وردت فيه؛ إذ إن الله عز وجل قال لإبليس ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ (الأعراف: ١٨)، فكأنه قال لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة أي: ادخل ساكنًا ليوافق الدخول الخروج^(١).

التوجيه الثاني: وهو ما ذهب إليه الكرماني حيث يرى أن الأمر (اسكن) في الآيتين ليس أمرا بالسكون الذي هو ضد الحركة، وإنما يعني أحد أمرين: إما الإقامة وإما اتخاذ المسكن، ففي آية البقرة هو من السكون الذي معناه الإقامة وذلك يستدعي زمانا ممتدا فلم يصلح إلا بالواو؛ لأن المعنى اجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها، ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة^(٢).

وأما في آية الأعراف فالسكون من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع مسكنًا؛ لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة وخاطب آدم وأمره باتخاذ الجنة مسكنًا واتخاذ المسكن لا يتطلب زمانا ممتدا ولا يمكن الجمع بين اتخاذ والأكل فيه بل يقع الأكل عقيب^(٣).

التوجيه الثالث: وهو ما ذهب إليه الغرناطي حيث أشار إلى أن ما ورد في الآيتين مختلف، فالوارد في آية البقرة قصد به مجرد إخبار وإعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى في قصة آدم وابتداء خلقه وأمر الملائكة بالسجود له، وإعراض إبليس عن ذلك، ثم ما أمر به آدم من سكن الجنة والأكل منها، ولم يقصد غير التعريف بذلك من غير ترتيب زمني أو تحديد غاية^(٤).

(١) ينظر: الإسكافي، درة التنزيل، ج ١، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) ينظر: الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص ٧١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٧١.

(٤) ينظر: الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٢٨.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

وأما الوارد في آية الأعراف فالمقصود منه تعداد نعم الله تعالى على آدم وذريته بدليل ما تقدّمها من الآيات التي تذكر الخلق والتصوير وأمر الملائكة بالسجود وطرده إبليس من الجنة، وإنما ناسب هذا القصد العطف بالفاء تجريدا للتفصيل المحصل لتعداد النعم⁽¹⁾.

إنّ ما ذهب إليه الغرناطيّ من كون القصد في آية البقرة هو الإعلام والإخبار من غير ترتيب، ومن كونه في آية الأعراف لتجريد التفصيل بعيد ولا يرقى إلى التوجيهين السابقين ناهيك عن أنّه لا يفسّر سرّ اختصاص الواو بآية البقرة والفاء بآية الأعراف.

التوجيه الرابع: وهو ما ذهب إليه ابن جماعة حيث وافق الكرمانيّ في شقّ منه وزاد عليه، فوافقه في كون السكّن في آية البقرة بمعنى الإقامة وفي آية الأعراف بمعنى اتخذ المسكن⁽²⁾. وزاد عليه بأن نظر في السياق اللغوي السابق واللاحق فقال: «فلما نسب القول إليه تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ) نَاسَبَ زِيَادَةُ الْإِكْرَامِ بِالْوَاوِ الدَّالَّةُ عَلَى الْجُمُعِ بَيْنَ السُّكْنَى وَالْأَكْلِ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِيهِ: (رَعْدًا)، وَقَالَ: (حَيْثُ شِئْتُمَا) لِأَنَّهُ أَعَمَّ. وَفِي الْأَعْرَافِ: وَيَا آدَمُ، فَأَتَى بِالْفَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى تَرْتِيبِ الْأَكْلِ عَلَى السُّكْنَى الْمَأْمُورِ بِاتِّخَاذِهَا، لِأَنَّ الْأَكْلَ بَعْدَ الْإِتِّخَاذِ»⁽³⁾.

التوجيه الخامس: وهو ما ذهب إليه الأنصاريّ، ومردّد اختلاف التعبيرين عنده هو الاختلاف في معنى "اسكن" فهو يرى أنّ (اسكن) في آية البقرة بمعنى استقرّ، وعلل ذلك بكون آدم وحواء كانا في الجنة والأكل يجامع الاستقرار غالبا، فلهذا عطف بالواو الدالة على الجمع⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص29.

(2) ينظر: ابن جماعة، كشف المعاني، ص92.

(3) المصدر نفسه، ص92-93.

(4) ينظر: الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، ص21.

وأما (اسكن) في آية الأعراف فبمعنى ادخل، وعَلَّل ذلك بكون آدم وحواء خارجين عن الجنة، والأكل لا يجامع الدخول بل يكون عقبه فلهذا عطف بالفاء الدالة على التعقيب⁽¹⁾.

إن ما ذهب إليه الأنصاري مقبول إلى حد كبير لكنه يفتقر إلى ذكر القرائن التي تدل على أن آدم وحواء كانا في الجنة أو خارجين عنها.

المثال الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦)، وقال في سورة آل عمران: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٤).

يتجلى العدول المعجمي في هذا الموضع في العدول عن تعدية الفعل (أنزل) بحرف الجر (إلى) إلى تعديته بحرف الجر (على)، ومعلوم أن بينهما فرقا في المعنى. فإلى حرف يفيد الانتهاء أي انتهاء الغاية الزمانية أو المكانيّة⁽²⁾. وأما على فهي حرف يفيد الاستعلاء⁽³⁾.

(1) ينظر: الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلبس من القرآن، ص22.

(2) ينظر: ابن جني، اللع في العربية، ص73، والزحشري، المفصل، ص380، والمرادي (حسن بن قاسم، أبو محمد، بدر الدين، 749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1413 هـ - 1992 م، ص385، وابن هشام (عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، 761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط6، 1985 م، ص104، والسيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1418 هـ - 1998 م، ج2، ص332.

(3) ينظر: ابن جني، اللع في العربية، ص74، والزحشري، المفصل، ص384، والمرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص476، وابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص190، والسيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج2، ص355.

الفصل الرابع: العدول المعجمي

إذا تقرّر هذا فلنا أن نتساءل عن السرّ في هذا العدول ؟

عند مطالعتنا لأقوال المفسّرين وعلماء المتشابه اللفظي في توجيه هذا العدول لم نجد أقوالهم تخرج عن أحد توجيهين، أحدهما قويّ مقبول والآخر غير مسلّم به.

أمّا التّوجيه الأوّل -وهو الأقوى حسب رأينا- فهو توجيه الإسكافي، حيث استعان في بداية جوابه بالسّياق اللّغوي السّابق لموضع العدول، وهو أنّ آية البقرة سبقت بقوله: (قولوا آمنا)، وآية آل عمران سبقت بقوله: (قل آمنا)، ثمّ شرح معنى (على) وأنها موضوعة لكون الشّيء فوق الشّيء ومجيئه من علوّ فهي مختصة من الجهات الستّ بجهة واحدة، وأنّ (إلى) للمُنتهى ويكون من الجهات الستّ كلّها⁽¹⁾.

وبعد تمهيدده للجواب شرع في بيان سرّ اختصاص آية البقرة بإلى، وردّه إلى أنّ الآية مصدّرة بخطاب المسلمين فوجب أن يختار لها (إلى)؛ لأنّ الوحي نزل على الأنبياء أوّلاً ثمّ انتهى من عندهم إليهم.

وأما آية آل عمران فقد صدّرت بما هو خطاب للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم (قل) فكانت (على) أحقّ بهذا المكان؛ لأنّ الوحي أنزل عليه⁽²⁾.

ورمى الزمخشري من فرق بين التّعديتين باختلاف المأمور بالقول في الآيتين بالتّعسف مستندا في ذلك على آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ (البقرة: ٤)، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا

(1) ينظر: الإسكافي، درة التنزيل، ج1، ص299.

(2) ينظر: الإسكافي، درة التنزيل، ج1، ص300-301، وينظر: النحاس (أبو جعفر، أحمد بن محمد، 338هـ)، إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ، ج1، ص169، الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب، ج2، ص689، والكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص79، وابن جماعة، كشف المعاني، ص107-108، والغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص52-53.

إِيَّاكَ أَلَكْتُبَ ﴿ (المائدة: ٤٨)، وقوله تعالى : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (آل عمران: ٧٢) ^(١).

وأنصف النيسابوري - بعد أن ذكر قول الزمخشري - الإسكافي ومن تبعه فقال: « والإِنْصَافُ أنَّ هذا القائل لم يدَّع أنَّ هذه المناسبة يجب اعتبارها في كلِّ موضع وإنما ادَّعى اعتبارها في الموضوعين فيصلح حجة للتخصيص » ^(٢).

وأما التوجيه الثاني فهو توجيه الزمخشري ومن تبعه، قال الزمخشري: « فإن قلت: لم عدَّى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء، وفيما تقدّم من مثلها بحرف الانتهاء؟ قلت: لوجود المعنيين جميعاً، لأنّ الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرّسل، فجاء تارة بأحد المعنيين، وأخرى بالآخر » ^(٣).

إنّ قول الزمخشري يوحي بأن الاختلاف بين الآيتين من باب التّفنّن في التعبير وتغيير الأسلوب وهذا لا يفسر سرّ اختصاص كلّ كلمة بموضعها الذي وردت فيه.

بهذا نكون قد سلّطنا الضّوء على بعض تجليات العدول المعجمي في سورة البقرة في باب الأسماء والأفعال والحروف ونكون بذلك قد وصلنا إلى ختام البحث الذي سنذيلّه بجملّة من التّنتاج التي توصّلنا إليها.

^(١) ينظر: الزمخشري، الكشف، ج 1، ص 381.

^(٢) النيسابوري، غرائب القرآن، ج 2، ص 202.

^(٣) الزمخشري، الكشف، ج 1، ص 381، وينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص 302.

خَاتَمَةٌ

بَعْدَ تَقْصِي خَلْفِيَّاتِ هَذَا الْبَحْثِ الْمَوْسُومِ بِـ " تَجَلِّيَّاتِ الْعُدُولِ الدَّلَالِيِّ فِي النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ نَمُودَجًا - دِرَاسَةٌ دِلَالِيَّةٌ بَيَانِيَّةٌ " تَوَصَّلْنَا إِلَى النَّتَائِجِ الْآتِيَةِ:

- مُصْطَلَحُ " الْعُدُولِ " مُصْطَلَحٌ قَدِيمٌ لَهُ جُذُورٌ عَمِيقَةٌ فِي تَرَاثِنَا الْأَدَبِيِّ وَالْبَلَاغِيِّ وَالنَّقْدِيِّ وَالنَّحْوِيِّ، وَلَهُ مُقَابِلَاتٌ عَدِيدَةٌ فِي الدَّرْسِ اللَّغَوِيِّ الْحَدِيثِ أَهْمُهَا: الْإِنْزِاحُ وَالْإِنْحِرَافُ.

- لِلْعُدُولِ مُسْتَوَيَاتٌ عَدِيدَةٌ، وَأَهْمُهَا الْعُدُولُ الدَّلَالِيُّ الَّذِي يَتَجَلَّى فِي الْعُدُولِ الْمَجَازِيِّ وَالِاسْتِعَارِيِّ وَالْكِتَابِيِّ وَالْمَعْجَمِيِّ، وَقَدْ وَظَّفَهُ النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ فَكَانَ شَاهِدًا مِنْ شَوَاهِدِ بَيَانِهِ وَبَلَاغَتِهِ، وَوَجْهًا مِنْ وَجُوهِ إِعْجَازِهِ.

- يُعَدُّ الْعُدُولُ الدَّلَالِيُّ مِنَ الظَّوَاهِرِ الَّتِي أَكْسَبَتْ اللَّعْنَةَ مُرُونَةً، وَالْمَتَكَلَّمَ حُرِّيَّةً، وَالْمَتَلَقِّي مُتَعَةً، وَالْأُسْلُوبَ عُذُوبَةً وَجَمَالًا.

- لَا يَعْدِلُ النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ عَنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى أَوْ عَنْ لَفْظٍ إِلَى لَفْظٍ أَوْ عَنْ أُسْلُوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ إِلَّا لِسِرٍّ لَطِيفٍ أَوْ نُكْتَةٍ بَلِيعَةٍ أَوْ غَايَةٍ بَدِيعَةٍ، وَكُلُّ عُدُولٍ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ شَحْنًا دِلَالِيَّةً إِضَافِيَّةً تَخْدُمُ الْمَعْنَى وَتُثْرِي الدَّلَالَهَ وَتَزِيدُ النَّصَّ جَمَالًا وَالتَّعْبِيرَ رُونًا.

- يُعَدُّ السِّيَاقُ أَهَمُّ حَكَمٍ فِي تَوْجِيهِ الْعُدُولِ الدَّلَالِيِّ وَبَيَانِ السِّرِّ فِيهِ وَالْعَرْضِ الْكَامِنِ وَرَاءَهُ، فَكُلُّ لَفْظٍ وَضِعَ حَسَبَ مَا يَفْتَضِيهِ السِّيَاقُ، وَهَذَا الْوَضْعُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِالسِّيَاقِ اللَّغَوِيِّ (الْمَقَالِيِّ) السَّابِقِ أَوْ الْآخِقِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِسِيَاقِ الْمَقَامِ (سِيَاقِ الْحَالِ).

- لَمْ تَخْفَلْ جُلُّ التَّفَاسِيرِ الَّتِي رَجَعْنَا إِلَيْهَا بِتَوْجِيهِ الْعُدُولِ الدَّلَالِيِّ بَلْ كَانَ أَصْحَابُهَا يَكْتَفُونَ بِالشَّرْحِ اللَّغَوِيِّ السَّطْحِيِّ وَبَيَانِ جَوَازِ هَذَا الْوَجْهِ وَعَدَمِ جَوَازِ الْآخَرِ مَعَ الْإِشَارَةِ

أَخْيَانًا إِلَى مَوْطِنِ الْعُدُولِ دُونَ بَيَانِ الْعِلَّةِ فِي ذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا وَجَدْنَا بَعْضَ التَّفَاسِيرِ الَّتِي وَقَفَ أَصْحَابُهَا عِنْدَ الْعُدُولِ وَقَدَّمُوا لَهُ تَوَجِّهَاتٍ وَتَعْلِيلَاتٍ تَعْتَمِدُ عَلَى السِّيَاقِ، فَلَا يُغْفَلُونَ صُورَةَ دُونَ تَعْلِيلٍ وَدُونَ بَيَانِ الْأَسْرَارِ الْكَامِنَةِ خَلْفَهَا وَمِنْ هَؤُلَاءِ: الرَّخْشَرِيُّ (538هـ)، وَالرَّازِيُّ (606هـ)، وَالنَّيْسَابُورِيُّ (850هـ)، وَالْأَلُوسِيُّ (1270هـ)، وَمُحَمَّدُ رَشِيدِ رِضَا (1354هـ)، وَمُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (1393هـ)، وَأَبُو زَهْرَةَ (1394هـ).

- مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي تُسْتَفَادُ مِنَ الْعُدُولِ الِاسْتِعَارِيِّ - وَالَّتِي يُمَكِّنُ تَعْمِيمُهَا عَلَى كُلِّ اسْتِعَارَةٍ - ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:

* بَحْسُ الْمَعْقُولَاتِ فِي صُورِ مَحْسُوسَةٍ.

* إِثَارَةُ دَهْشَةٍ الْمَتَلَقِّي مِنْ خِلَالِ إِخْضَاعِهِ لِعَمَلٍ تَأْوِيلِيٍّ يَسْعَى فِيهِ إِلَى إِزَالَةِ دَهْشَتِهِ مِنَ الْعُمُوضِ الَّتِي يَكْتَنِفُ الْعِبَارَةُ الَّتِي حَصَلَ فِيهَا خَرَقٌ لِلْسَّنَنِ الْغَوِيِّ الْمَعْهُودِ لَدَيْهِ.

* تَحْقِيقُ الْحِجَاجِ وَالْإِفْتِنَاعِ مِنْ خِلَالِ الْادِّعَاءِ، وَتَحْقِيقُ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ خِلَالِ التَّصْوِيرِ وَهَذِهِ مَضَامِيرُ أَوْ أَبْعَادُ تَدَاوُلِيَّةٌ لِلِاسْتِعَارَةِ .

- مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي تُسْتَفَادُ مِنَ الْعُدُولِ الْكِتَابِيِّ: أَنَّ النَّظْمَ الْقُرْآنِيَّ يَرْغَبُ عَنْ كُلِّ لَفْظٍ خَسِيسٍ مُفْحَشٍ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَافِ الْمَهْدَبَةِ الَّتِي لَا تَخْدِشُ الْحَيَاءَ وَلَا تَجْرَحُ الْمَشَاعِرَ، وَمَتَى شَاعَتْ تِلْكَ الْكِتَابِيَّةُ وَعُرِفَتْ عَدَلٌ إِلَى لَفْظٍ آخَرَ أَقْلَ شُيُوعاً حِفَظاً عَلَى ذَلِكَ التَّهْذِيبِ، وَهَذَا مَا يُفَسِّرُ كَثْرَةَ الْأَلْفَافِ الدَّالَّةِ عَلَى الْعَلَاqَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ.

- تَتَجَلَّى ظَاهِرَةُ الْعُدُولِ الْمَعْجَمِيِّ وَاضِحَةً فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُتَشَابِهَةِ أَوْ شَبِهِهِ الْمُتَطَابِقَةِ حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ لَفْظاً فِي مَوْضِعٍ وَيَسْتَعْمِلُ فِي آيَةٍ مُشَابِهَةٍ لَفْظاً آخَرَ سَوَاءً أَكَانَا مِنْ جَذَرٍ لُغَوِيٍّ وَاحِدٍ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الصِّيغَةِ مِنْ حَيْثُ التَّعْرِيفُ وَالتَّنْكِيرُ أَوْ الْإِفْرَادُ وَالْجَمْعُ أَمْ كَانَا مِنْ جَذَرَيْنِ لُغَوِيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ.

- القول بالتَّرادُفِ التَّامِ لِلألفاظِ في العُدُولِ المعجميِّ قولٌ لا يُمكنُ التَّسليمُ بِوُجُودِهِ في القرآنِ؛ لأنَّ كثيراً من الألفاظِ الَّتِي قد تَبَدُّو مُترادِفَةً تَتَقاطَعُ في الدَّلالةِ العامَّةِ فَقَطْ، وإذا أَمَعْنَا النَّظَرَ فِيهَا وَجَدْنَاهَا تَنفَرِدُ بِدَلالاتٍ خاصَّةٍ كما رأينا في الانفجارِ والانبجاسِ؛ إذ يَتَقاطَعانِ في إطلاقِهما على بُنوعِ الماءِ، وَيَنفَرِدُ الانفجارُ بِالغَرارةِ، والانبجاسُ بِالْقِلَّةِ.

- عني عُلَماءُ المتشابهِ اللَّفْظيِّ بِالْعُدُولِ المعجميِّ عنايةً فائِقَةً فَوَقَفُوا عِنْدَهُ وَوَجَّهُوهُ مُعْتَمِدِينَ عَلَى السِّيَاقِ بِكُلِّ أَنْواعِهِ: اللَّغويِّ وَالْمَقاميِّ وَالثَّقافيِّ، كما اعْتَمَدُوا عَلَى تَحْنُسِ الفَوَاصِلِ وَمُناسَبَةِ الألفاظِ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَمُناسَبَتِهَا لِتَرْتِيبِ السُّورِ، وَخُصُّ بِالذِّكْرِ: الإسْكَافِيَّ في كِتَابِهِ (دُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ)، وَالكَرَمَائِيَّ في كِتَابِهِ (البُرْهَانِ في تَوْجِيهِ مُتَشَابِهِ القرآنِ)، وَالْعَرْنَاطِيَّ في كِتَابِهِ (مَلَكُ التَّأْوِيلِ القاطِعِ بِذَوِي الإلْحَادِ وَالتَّعْطِيلِ).

- التَّأَكُّيدُ عَلَى نُضْجِ الْفِكْرِ اللَّغويِّ لِعُلَمَائِنَا، وَتَمَكُّنِهِمْ مِنْ آلياتِ التَّحْلِيلِ اللَّغويِّ، وَقُدْرَتِهِمُ اللَّغويَّةِ الواسِعَةِ الَّتِي مَكَّنَتْهُمْ مِنْ اسْتِنْطَاقِ النُّصُوصِ، وَفَكَ مُعْلَقِهَا بِالاعْتِمَادِ عَلَى آلياتِ عِلْمِ اللُّغَةِ الْحَدِيثِ.

- كُلُّ ما رَأَيْنَاهُ مِنَ التَّوْجِيهَاتِ وَمُحاوَلاتِ كَشْفِ أَسْرارِ العُدُولِ الدَّلاليِّ تَبَقَّى مُجَرَّدَ احْتِمالاتٍ، وما خَفِيَ عَلَى فُلانٍ مِنَ الدَّلالاتِ وَاللَّطَائِفِ قد يَتَجَلَّى لآخر، وَيَبْقَى القرآنُ بحراً لا تَنْقُضِي عَجائِبُهُ، ولا تَنْفَدُ دُرَرُهُ، ولا تَفْنَى أَسْرارُهُ.

- العُدُولُ في النِّظْمِ الْقُرْآنيِّ بِشَكْلِ عامٍّ، وَالْعُدُولُ الدَّلاليُّ بِشَكْلِ خاصٍّ، مَوْضُوعٌ جَدِيرٌ بِالدراسةِ، وَحَقْلٌ خَصِيبٌ يُحْتَاجُ إلى إِعْمالِ الْفِكْرِ في ارْتِيادِهِ، وإلى تَدْقِيقِ النَّظَرِ لِلْكَشْفِ عَنْ أبعادِهِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ دَلَائِلِ الإِعْجَازِ، وَخَيْرُ دَلِيلٍ عَلَى بِلَاغَةِ القرآنِ .

هَذِهِ أَبرزُ النَّتائِجِ الَّتِي وَقَفْنَا عَلَيْهَا، وما خَفِيَ كانَ أَعْظَمَ لِيَتَعَلَّقَ الْبَحْثُ بِالقرآنِ الْكَرِيمِ، وَلا نَدْعِي أَنَّنَا سَنَفِيْدُ بِهَذِهِ الدَّرَاسَةِ غَايَةَ الإِفادَةِ، وَلَكِنْ حَسْبُنَا أَنْ نُفِيدَ بِالْقَلِيلِ، وَأَنَّنا

اسْتَفَدْنَا مِنَ الْخَوْضِ فِي " كِتَابِ فَاقِ الْكُتُبِ، وَكَلَامِ بَرِّ سَائِرِ ضُرُوبِ الْكَلَامِ، وَبَلَغَ فِي سُمُوهِ وَتَفَوُّقِهِ حُدُودَ الْإِعْجَازِ وَالْإِفْحَامِ مِنْ نَاحِيَةِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ " .

هَذَا مُجْمَلُ مَا أَرَدْنَا قَوْلَهُ ، وَنَرْجُوا أَنْ لَا نَكُونَ مِمَّنْ تَخَدَعُهُ الشَّمْسُ بِطُولِ ظِلِّهِ، أَوْ يَفْتِنُهُ السَّرَابُ بِكَثْرِهِ وَقُلُّهِ، إِنَّ هِيَ إِلَّا إِشَارَاتٌ، بَعْضُهَا مُتَمَنَّى فَاتٍ، وَبَعْضُهَا لَا يَزَالُ فِي بُطُونِ الْمُؤَلَّفَاتِ، وَمَا لِسَانُ حَالٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَّا كَقَوْلِ الْقَائِلِ :

وَأَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ أَثْوَابِ رَحْمَتِهِ *** سِتْرًا جَمِيلًا عَلَى الزَّلَّاتِ مُشْتَمِلًا

وَأَنْ يُيسِّرَ لِي سَعْيًا أَكُونُ بِهِ *** مُسْتَبَشِّرًا آمِنًا لَا بَاسِرًا وَجِلًا

وَإِنِّي أَبْتَغِي مِمَّنْ رَأَى خَلَا *** فِيمَا انْتَدَبْتُ لَهُ أَنْ يُصْلِحَ الْخَلَا

إِذَا تَيَقَّنَهُ جُنْبًا ، وَإِنَّ عَلَى *** رَبِّ الْبَرِيَّةِ لِي لَا غَيْرُ مُتَكَلَّا

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قائمة

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

قائمة المصاير والمراجع

1- الكتب:

- الآمدي (أبو القاسم، الحسن بن بشر، 370 هـ):

1/ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دت.

- الآمدي (علي بن محمد، أبو الحسن، سيف الدين، 631 هـ):

2/ الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1402 هـ.

- إبراهيم عوض:

3/ عصمة القرآن وجهالات المبشرين، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 1426 هـ - 2005 م.

- ابن الأثير (أبو السعادات، المبارك بن محمد، مجد الدين، 606 هـ):

4/ النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، دط، 1399 هـ - 1979 م.

- ابن الأثير (أبو الفتح، نصر الله بن محمد، ضياء الدين، 637 هـ):

5/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، دط، 1420 هـ.

- أحمد أحمد بدوي:

6/ من بلاغة القرآن، نخضة مصر للطباعة، القاهرة، دط، 2005 م.

- أحمد الحملاوي:

7/ زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، المطبعة الأميرية، بولاق - مصر، ط1، 1905 م.

- أحمد الصاوي:

قائمة المراجع

8/ مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين دراسة تاريخية فنية، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1988م.

-أحمد درويش:

9/ دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت.

-أحمد رضا:

10/ معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة - بيروت، دط، الجزء 1 و 2 - 1377 هـ - 1958م، والجزء 3 - 1378 هـ - 1959م، والجزء 4 - 1379 هـ - 1960م، والجزء 5 - 1380 هـ - 1960م.

-أحمد عمر أبو شوفة:

11/ المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، دط، 2003 م .

-أحمد فتحي رمضان:

12/ الكناية في القرآن موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 1435هـ-2014م.

-أحمد محمد ويس:

13/ الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2003م.

-أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل:

14/ معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1429 هـ - 2008م.

-أحمد مطلوب:

15/ عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 1، 1393هـ - 1973م.

16/ معجم المصطلحات البلاغية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط 2، 2007م.

قائمة المراجع

- الأخفش (سعيد بن مسعدة، أبو الحسن المجاشعي، 215هـ):
17/ معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411 هـ-1990م.
- الأزهر الزناد:
18/ دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1992م.
- الأزهريّ (أبو منصور، محمد بن أحمد، 370هـ):
19/ تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط1، 2001م.
- الإسكافي (محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، 420هـ):
20/ درّة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (30) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط1، 1422 هـ- 2001 م.
- إسماعيل حقي الإستانبولي:
21/ روح البيان، د تح، دار الفكر، بيروت، دط، دت.
- الأشموني(أبو الحسن، علي بن محمد، نور الدين، 900هـ):
22/ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.
- اطفيش الحاج محمد بن يوسف (1332هـ):
23/ تيسير التفسير، تح: إبراهيم بن محمد طلاي، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، دط، 1417هـ-1996م.
- الألوسي (محمود بن عبد الله، شهاب الدين، 1270هـ):

قائمة المراجع

24/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ.

-امرؤ القيس الكندي:

25/ ديوان امرؤ القيس، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1425 هـ-2004 م.

-الأنباري (أبو بكر، محمد بن القاسم، 328 هـ):

26/ الأضداد، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ط1، 1407 هـ-1987 م.

-الأنصاري (زكريا بن محمد، أبو يحيى، زين الدين، 926 هـ):

27/ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط1، 1403 هـ - 1983 م.

-ابن باديس (عبد الحميد الصنهاجي، 1359 هـ):

28/ مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416 هـ-1995 م.

-الباقلاني (محمد بن الطيب، أبو بكر، 403 هـ):

29/ إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997 م.

-البخاري (محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله، 256 هـ):

30/ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط1، 1422 هـ.

-بدوي طبانة:

31/ البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1377 هـ-1958 م.

-البسيلي (أحمد بن محمد، أبو العباس، 830 هـ):

قائمة المراجع

32/ التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، تح: عبد الله بن مطلق الطواله، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ-1992م.

-البغدادي (عبد القادر بن عمر، 1093هـ):

33/ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ - 1997م.

-البغوي (أبو محمد، الحسين بن مسعود، محيي السنة، 510هـ):

34/ معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420هـ.

-البقاعي (إبراهيم بن عمر، أبو الحسن، برهان الدين، 885هـ):

35/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ-1995م.

-أبو بكر الأنباري (محمد بن القاسم، 328هـ):

36/ الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1412 هـ -1992م.

- البكري (أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، 487هـ):

37/ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1971م.

-البيضاوي (أبو سعيد، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ناصر الدين، 685هـ):

38/ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418 هـ.

-تمام حسان:

قائمة المراجع

39/ الأصول دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو - فقه اللغة - البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1420هـ - 2000م.

- الثعالبي (أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، 875هـ):

40/ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418 هـ.

- الثعالبي (عبد الملك بن محمد، أبو منصور، 429هـ):

41/ فقه اللغة وسر العربية، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ - 2002م.

- ثعلب (أبو العباس، أحمد بن يحيى، 291هـ):

42/ الفصيح، تح: عاطف مذكور، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.

- الثعلبي (أحمد بن محمد، أبو إسحاق، 427 هـ):

43/ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422 هـ - 2002 م.

- الجاحظ (عمرو بن بحر، أبو عثمان، 255هـ):

44/ البرصان والعرجان والعميان والحولان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1410هـ.

45/ البيان والتبيين، تح: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط، 1423 هـ.

- جان كوهن:

46/ بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1986م.

- الجرجاني (أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن، 471هـ):

47/ أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، دار المدني، جدة، دط، 1991م.

قائمة المراجع

48/ دَرْجُ الدُّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، ومحقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمير، دار الفكر، عمان - الأردن، ط1، = 1430 هـ - 2009 م.

49/ دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1413 هـ - 1992 م.

- ابنُ جُزَيٍّ (أبو القاسم، محمّد بن أحمد، 741هـ):

50/ التّسهيل لعلوم التنزيل، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416 هـ.

- الجصاص (أحمد بن علي، أبو بكر، 370هـ):

51/ أحكام القرآن، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1415 هـ - 1994 م.

- جعفر شرف الدين:

52/ الموسوعة القرآنية، خصائص السور، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط1، 1420 هـ.

- الجلالان (جلال الدين محمد بن أحمد، 864هـ، وجلال الدين السيوطي، 911هـ):

53/ تفسير الجلالين، دار الحديث - القاهرة، ط1، دت.

- ابن جماعة (محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله، بدر الدين، 733هـ):

54/ كشف المعاني في التشابه من المثاني، تح: عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1410 هـ - 1990 م.

- جماعة من علماء التفسير:

55/ المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط3، 1436 هـ.

- ابن جني (أبو الفتح، عثمان بن جني، 392هـ):

قائمة المراجع

56/ الخصائص، تح: محمد عي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1371هـ - 1952م.

57/ سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م.

58/ اللع في العربية، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، دط، دت.

-ابن الجوزي (أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي، جمال الدين، 597هـ):

59/ زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422 هـ.

-الجوهري (أبو نصر، إسماعيل بن حماد، 393هـ):

60/ تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م.

-ابن أبي حاتم (أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد، 327هـ):

61/ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419 هـ.

-ابن الحاجب (جمال الدين بن عثمان، 646هـ):

62/ الكافية في علم النحو، تح: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب - القاهرة، ط1، 2010م.

-حامد عوني:

63/ المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، دط، دت.

-حسن طبل:

64/ المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي القاهرة، ط1، 1418هـ-1998م.

-حسن ناظم:

قائمة المراجع

65/ مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994م.

-أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف، أثير الدين، 745هـ):

66/ البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط1، 1420 هـ.

-الخازن (علي بن محمد بن إبراهيم ، أبو الحسن ، 741هـ):

67/ لباب التأويل في معاني التنزيل ، تح: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ.

-الخطيب القزويني (محمد بن عبد الرحمن، جلال الدين، 739هـ):

68/ الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

-الخليل (أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد، 170 هـ):

69/ كتاب العين، ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، دت.

-خليل حلمي:

70/ الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1998م.

-ابن درستويه (أبو محمد، عبد الله بن جعفر، 347هـ):

71/ تصحيح الفصح وشرحه، تح: محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1، 1419هـ - 1998م، ص194.

-ابن دريد (أبو بكر ، محمد بن الحسن، 321هـ):

72/ جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1987م.

-ديزيره سقال:

73/ علم البيان بين النظريات والأصول، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1997م.

قائمة المراجع

-ذو الإصبع العدواني (عبد العظيم بن عبد الواحد، 654هـ):

74/ تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، دط، دت.

-الرازي (محمد بن عمر، أبو عبد الله، فخر الدين، 606هـ):

75/ المحصول، تح: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط3، 1418 هـ - 1997 م.

76/ مفاتيح الغيب أو ما يسمى التفسير الكبير، د تح، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420هـ.

- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم، الحسين بن محمد، 502هـ):

77/ تفسير الراغب الأصفهاني، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط1، 1420 هـ - 1999م.

78/ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تح: عمر الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط1، 1420هـ.

79/ المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - الدار الشامية، دمشق - بيروت، ط1، 1412هـ.

-رجاء عيد:

80/ البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، مطبعة الأطلس، القاهرة، دط، 1993م.

-ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق، 463 هـ):

81/ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1401 هـ - 1981م.

-الرماني (علي بن عيسى، أبو الحسن، 384هـ):

قائمة المراجع

- 82/ النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.
- الزبيدي (أبو الفيض، محمد بن محمد، مرتضى، 1205 هـ):
- 83/ تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، دط، دت.
- الزجاج (إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، 311 هـ):
- 84/ معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتب - بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988م.
- الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحاق، أبو القاسم، 337 هـ):
- 85/ حروف المعاني والصفات، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1981م.
- الزركشي (محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، بدر الدين، 794 هـ):
- 86/ البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ط1، 1376 هـ - 1957م.
- الزمخشري (أبو القاسم، محمود بن عمرو، جار الله، 538 هـ):
- 87/ أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998م.
- 88/ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، تح: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 1412 هـ.
- 89/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد وآخرين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ.
- 90/ المفصل في صنعة الإعراب، تح: علي بو ملح، مكتبة الهلال - بيروت، ط1، 1993م.

قائمة المراجع

- ابن الزمكاني (عبد الواحد بن عبد الكريم، 651هـ):
91/ التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، تح: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، لبنان، ط1، 1383هـ-1964م.
- ابن أبي زمنين (أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، 399هـ):
92/ تفسير القرآن العزيز، تح: حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثي، مصر- القاهرة، ط1، 1423هـ - 2002م.
- أبو زهرة (محمد بن أحمد بن مصطفى، 1394هـ):
93/ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.
- زهير بن أبي سلمى:
94/ ديوان زهير بن أبي سلمى، تح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1408هـ-1998م.
- زياد الأعجم :
95/ شعر زياد الأعجم، تح: يوسف حسين بكار، دار المسيرة، عمان، ط1، 1403هـ-1983م.
- السبكي (أحمد بن علي، أبو حامد، بهاء الدين، 773هـ):
96/ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1423هـ - 2003م.
- السجستاني (أبو حاتم، سهل بن محمد، 248هـ):
97/ الفرق، تح: حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 37، 1406 هـ - 1986 م.
- السجستاني (محمد بن عزيز، أبو بكر، 330هـ):
98/ غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، تح: محمد أديب جمران، دار قتيبة - سوريا، ط1، 1416 هـ-1995م.

قائمة المراجع

- ابن السراج (محمد بن السري، أبو بكر، 316هـ):
99/ الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط2، 1407 هـ - 1987 م .
- السرقسطي (قاسم بن ثابت، أبو محمد، 302هـ):
100/ الدلائل في غريب الحديث، تح: محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1422 هـ - 2001 م.
- أبو السعود (محمد بن محمد، 982هـ):
101/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، د تح، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دط، دت.
- السكاكي (يوسف بن أبي بكر، أبو يعقوب، 626هـ):
102/ مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1407 هـ - 1987 م.
- ابن السكيت (أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق، 244هـ):
103/ إصلاح المنطق، تح: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1423 هـ - 2002 م.
- سلطان العلماء (عبد العزيز بن عبد السلام، أبو محمد، عز الدين، 660هـ):
104/ تفسير القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996 م.
- السمرقندي (أبو الليث، نصر بن محمد، 375هـ):
105/ تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تح: علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ - 1993 م.
- السمعاني (أبو المظفر، منصور بن محمد المروزي، 489 هـ):

قائمة المراجع

106/ تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ - 1997م.

-السمين الحلبي (أحمد بن يوسف، أبو العباس، شهاب الدين، 756هـ):

107/ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دط، دت.

-ابن سنان الخفاجي (أبو محمد، عبد الله بن محمد، 466هـ):

108/ سر الفصاحة، دتح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ - 1982م.

-السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم، 581هـ):

109/ نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412 - 1992م.

-سيبويه (عمرو بن عثمان، أبو بشر، 180هـ):

110/ الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ - 1988م.

-السيد جعفر السيد باقر الحسيني:

111/ أساليب البيان في القرآن، مؤسسة بوستان كتاب، طهران، ط1، 1430هـ.

-سيد قطب:

112/ في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1412هـ.

-ابن سيده (أبو الحسن، علي بن إسماعيل، 458هـ):

113/ المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.

-السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، 911هـ):

114/ الإتيان في علوم القرآن، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1394هـ - 1974م.

قائمة المراجع

115/ إتمام الدراية لقراء النقاية، تح: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1405هـ 1985م.

116/ عقود الجمان في علم المعاني والبيان، تح: عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1433هـ 2012م.

117/ قطف الأزهار في كشف الأسرار، تح: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1414هـ. 1994 م.

118/ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418هـ 1998م.

119/ معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.

120/ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1418هـ - 1998م.

-ابن الشجري (أبو السعادات، هبة الله بن علي، ضياء الدين، 542هـ):

121/ أمالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413هـ - 1991م.

-الشربيني (محمد بن أحمد الخطيب، شمس الدين، 977هـ):

122/ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، دتح، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، 1285 هـ.

-الشريف الجرجاني (علي بن محمد، 816هـ):

123/ التعريفات، تح: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ - 1983م.

-شكري عياد:

قائمة المراجع

124/ اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، دار أنترنشينال برس، القاهرة، ط1، 1988م.

125/ مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1.

-شمس الدين الكرمانى (محمد بن يوسف، 786 هـ):

126/ تحقيق الفوائد الغياثية، تح: علي بن دخيل الله العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1424 هـ.

-الشهاب (أحمد بن محمد، شهاب الدين، 1069 هـ):

127/ حاشية الشَّهابِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضاوِي، دتح، دار صادر - بيروت، دط، دت.

-الشوكاني (محمد بن علي، 1250 هـ):

128/ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، مصر، دط، دت.

-الشيبياني (إسحاق بن مَرَّار، أبو عمرو، 206 هـ):

129/ الجيم، تح: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1394 هـ - 1974 م .

-صالح ملا عزيز:

130/ جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، دار الزمان للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010م.

-الصَّبَّان (محمد بن علي، أبو العرفان، 1206 هـ):

131/ حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1429 هـ - 2008م.

-الصَّفدي (خليل بن أيك، صلاح الدين، 764 هـ):

قائمة المراجع

132/ الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، دط، 1420هـ - 2000م.

- الصَّقْلِيّ (أبو حفص، عمر بن خلف، 501 هـ):

133/ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410 هـ - 1990م.

-صلاح الدين محمد غراب:

134/ من خصائص الكناية القرآنية، مركز آيات للطباعة، مصر، ط1، 1421هـ - 2000م.

-صلاح عبد الفتاح الخالدي:

135/ القرآن ونقض مطاعن الرهبان، دار القلم، دمشق، ط1، 1428 هـ - 2007م.

-صلاح فضل:

136/ بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1992م.

-الصنعاني (عبد الرزاق بن همام، أبو بكر، 211 هـ):

137/ تفسير عبد الرزاق، تح: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ .

-الطبري (محمد بن جرير، أبو جعفر، 310 هـ):

138/ جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1420 هـ - 2000م.

-الطنطاوي محمد سيد:

139/ التفسير الوسيط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1، دت.

-ابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر، أحمد بن محمد، شهاب الدين، 328 هـ):

قائمة المراجع

140/ العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، 1404هـ - 1983م.

- عبد الرحمن بن حنكة:

141/ البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ - 1996م.

- عبد السلام أحمد الراغب:

142/ وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، ط1، 1422 هـ - 2001 م.

- عبد السلام المسدي:

143/ الأسوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ليبيا - طرابلس، ط3، دت.

- عبد العزيز عتيق:

144/ علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، دط، 1405 هـ - 1982م.

- عبد العزيز عرفة:

145/ من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1405 هـ - 1984م.

- عبد الفتاح بسيوني:

146/ بين المكنية والتبعية والمجاز العقلي عرض وتحليل وموازنة، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط1، 1413هـ - 1993م.

147/ علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1436هـ - 2015م.

- عبد الكريم يونس الخطيب:

148/ التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة، ط1، 1390هـ - 1970م.

- عبد الله الفرهاوي:

قائمة المراجع

149/ أحسن الصياغة في حلية البلاغة، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، دط، 1387 هـ-1967م.

-أبو عبيدة (أبو عبيدة، معمر بن المثنى، 209هـ):

150/ مجاز القرآن، تح: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، دط، 1381 هـ.

-ابن عجيبة (أبو العباس، أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي، 1224هـ):

151/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، مكتبة الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، دط، 1419 هـ.

-ابن عرفة (محمد بن محمد التونسي المالكي، أبو عبد الله، 803هـ):

152/ تفسير ابن عرفة، تح: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، ط1، 1986م.

-العسكري (أبو هلال، الحسن بن عبد الله، 395هـ):

153/ جمهرة الأمثال، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر - بيروت، ط2، 1988م.

154/ الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، دط، دت.

155/ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البحايي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، ط1، 1998م-1419هـ.

-ابن عطية (أبو محمد، عبد الحق بن غالب، 542هـ):

156/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422 هـ.

-ابن عقيل (عبد الله بن عبد الرحمن، 769هـ):

157/ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، ط20، 1400 هـ - 1980 م.

قائمة المراجع

-العكبري (أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، 616هـ):

158/ التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، إحياء الكتب العربية، مصر، دط، دت.

159/ مسائل خلافية في النحو، تح: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي - بيروت، ط1، 1412هـ - 1992م.

-العلوي (يحيى بن حمزة، المؤيد بالله، 745هـ):

160/ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية - بيروت، ط1، 1423هـ.

-علي الجارم ومصطفى أمين:

161/ البلاغة الواضحة، مكتبة البشري، كراتشي، باكستان، ط1، 1431هـ-2010م.

- العليمي (مجير الدين بن محمد، 927هـ):

162/ فتح الرحمن في تفسير القرآن، تح: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية)، دمشق، ط1، 1430هـ - 2009م.

-عمار بن خميسي:

163/ شرح منظومة في ماورد من الأفعال بالواو والياء لابن مالك الأندلسي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1427هـ-2006م.

-عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

164/ ديوان عمر بن أبي ربيعة، تح: فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1416هـ-1996م.

-عمرو بن معدي كرب الزبيدي :

165/ شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، تح: مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط2، 1405هـ-1985م.

قائمة المراجع

-الغرناطي (أحمد بن إبراهيم، أبو جعفر، 708هـ):

166/ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تح: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، دط، دت.

-الفارابي(أبو إبراهيم، إسحاق بن إبراهيم، 350هـ):

167/ معجم ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر، راجعه: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1424 هـ - 2003 م.

-ابن فارس (أبو الحسين، أحمد بن فارس، 395هـ):

168/ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ-1997م.

169/ مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م.

170/ معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، دط، 1399هـ- 1979م.

-فاضل السامرائي:

171/ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك للطباعة، القاهرة، ط2، 1417هـ- 2006م.

172/ التعبير القرآني، دار عمار - عمان، ط4، دت، ص188.

-فايز الدايدة:

173/ علم الدلالة العربي دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1996م، ص216.

-أبو الفتح العباسي (عبد الرحيم بن عبد الرحمن، 963هـ):

174/ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت، دط، 1947م.

قائمة المراجع

- الفراء (يحيى بن زياد، أبو زكريا، 207هـ):
- 175/ معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاقي وآخرين، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، دت.
- فضل حسن عباس وسناء فضل حسن عباس:
- 176/ إعجاز القرآن، دار الفرقان، مصر، ط5، 2004م.
- فضل حسن عباس:
- 177/ أساليب البيان، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1430هـ-2009م.
- 178/ البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط12.
- الفيروز آبادي (أبو طاهر، محمد بن يعقوب، مجد الدين، 817هـ):
- 179/ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، دط، الجزء 1، 2، 3:
- 1416 هـ - 1996 م، الجزء 4، 5: 1412 هـ - 1992 م، الجزء 6: 1393 هـ - 1973م.
- 180/ القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، 1426 هـ - 2005 م.
- الفيومي (أبو العباس، أحمد بن محمد، 770 هـ):
- 181/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تح: عبد العظيم الشناوي، المكتبة العلمية، بيروت، ط2، دت.
- القاسم بن سلام (أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي، 224هـ):
- 182/ الأمثال، تح: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1400 هـ - 1980م.

قائمة المراجع

183/ غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط1، 1384 هـ - 1964 م.

-القالبي (أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، 356هـ):

184/ البارع في اللغة، تح: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت، ط1، 1975 م.

-ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري، 276 هـ):

185/ إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، تح: عبد الله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 1403 هـ - 1983 م.

186/ تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 2007 م.

187/ الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، دط، 1423 هـ.

188/ غريب الحديث، تح: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، ط1، 1397 هـ.

189/ غريب القرآن، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، دط، 1398 هـ - 1978 م.

-قدامة (قدامة بن جعفر بن قدامة، أبو الفرج، 337هـ):

190/ نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، دط، دت.

-القرشي (أبو زيد، محمد بن أبي الخطاب، 170هـ):

191/ جمهرة أشعار العرب، تح: علي محمد البجادي، نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، دت.

- القرطبي (محمد بن أحمد، أبو عبد الله، شمس الدين، 671هـ):

192/ الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384 هـ - 1964 م.

قائمة المراجع

- ابن القطاع (أبو القاسم، علي بن جعفر، 515هـ):
193/ كتاب الأفعال، تح: سالم الكرنكوي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1403هـ - 1983م.
- القنوجي (أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن، 1307هـ):
194/ فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، دط، 1412هـ - 1992م.
- ابن كثير (أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، 774هـ):
195/ تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1420هـ - 1999م.
- كراع النمل (علي بن الحسن الهنائي، أبو الحسن، بعد 309هـ):
196/ المنجد في اللغة، تح: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988م.
- الكرمانى (محمود بن حمزة، أبو القاسم، برهان الدين، 505هـ):
197/ البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ-1986م.
- 198/ غرائب التفسير وعجائب التأويل، تح: شمران سركال، يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، دط، 1431هـ.
- الكفوي (أبو البقاء، أيوب بن موسى، 1095هـ):
199/ الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، دط، دت.
- الكيا الهراسي (علي بن محمد، أبو الحسن، عماد الدين، 504هـ):
200/ أحكام القرآن، تح: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1405هـ.

- لبيد بن ربيعة العامري (41هـ):

201/ ديوان لبيد بن ربيعة، تح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1425 هـ - 2004 م.

- لجنة من علماء الأزهر:

202/ المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط18، 1416 هـ - 1995 م.

- الماتريدي (محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، 333هـ):

203/ تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005 م.

- ابن ماجه (أبو عبد الله، محمد بن يزيد، 273هـ):

204/ سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دط، دت.

- ابن مالك (محمد بن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين، 672هـ):

205/ ألفية ابن مالك في النحو والتصريف (الخلاصة في النحو)، تح: سليمان بن عبد العزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط1، 1432 هـ.

206/ شرح تسهيل الفوائد، تح: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط1، 1410 هـ - 1990 م.

- الماوردي (أبو الحسن، علي بن محمد، 450 هـ):

207/ النكت والعيون، تح: السيّد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، دط، دت.

- المبرد (محمد بن يزيد، أبو العباس، 285هـ):

208/ الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط3، 1417 هـ - 1997 م.

قائمة المراجع

- 209/ المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، دط، دت.
- مجاهد (أبو الحجاج، مجاهد بن جبر، 104هـ):
- 210/ تفسير مجاهد، تح: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1410 هـ - 1989م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة:
- 211/ المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.
- مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين:
- 212/ الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، دط، 1423 هـ - 2002م.
- محمد أبو موسى:
- 213/ التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط3، 1413هـ - 1993م.
- محمد الأمين الخضري:
- 214/ من بيان القرآن، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط1، 1412هـ - 1991م.
- محمد الأمين الهري الأثيوبي:
- 215/ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط1، 1421 هـ - 2001م.
- محمد بن أبي بكر الرازي (أبو عبد الله، زين الدين، 666هـ):
- 216/ أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، تح: عبد الرحمن المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1413هـ، 1991م.
- 217/ مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ - 1999م.
- محمد بن صالح العثيمين:

قائمة المراجع

218/ تفسير الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423 هـ.

-محمد بن علي الجرجاني (729هـ):

219/ الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب،

ميدان الأوبرا- مصر، دط، 1418هـ-1997م.

-محمد حسين علي الصغير:

220/ مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان، ط1،

1420هـ-1999م.

-محمد الحجوي:

221/ في رحاب القرآن، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسكو-

المغرب، دط، 1431هـ-2010م.

- محمد الخضري:

222/ حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح : تركي فرحان

المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط4، 1432هـ - 2011م.

-محمد رشيد رضا:

223/ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1990م.

-محمد السيد شيخون:

224/ الاستعارة وأثرها في الأساليب العربية، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر،

ط2، 1415هـ-1994م.

-محمد شعبان علوان:

225/ من بلاغة القرآن المعاني-البيان-البديع، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، ط2،

1998.

-محمد الطاهر بن عاشور (1393هـ):

قائمة المراجع

226/ التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)،
الدار التونسية للنشر - تونس، دط، 1984 م.

-محمد عبد المطلب:

227/ البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونغمان، دط، 1997م.

228/ جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية للنشر -
لونغمان، مصر، دط، 1995م.

-محمد علي الخولي:

229/ علم الدلالة " علم المعنى "، دار الفلاح، الأردن، دط، 2001م.

-محمد علي السراج:

230/ اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل،
دار الفكر - دمشق، ط1، 1403 هـ - 1983م.

-محمد علي الصابوني:

231/ صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط1، 1417 هـ
- 1997م.

-محمد علي طه الدرة:

232/ تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، منشورات دار الحكمة، دمشق، دط، 1402هـ -
1982م.

-محمد فاضلي:

233/ دراسة ونقد في مسائل بلاغية، مؤسسة مطالعات وتحقيقات، طهران، دط،
1365هـ.

-محمد كريم الكواز:

234/ الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1،
1426هـ.

-محمد متولي الشعراوي:

235/ تفسير الشعراوي المعروف بخواطري حول القرآن الكريم، مطابع أخبار اليوم، مصر، دط، 1991م.

-محمد محمود الحجازي:

236/ التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت، ط10، 1413هـ.

-محمد مندور:

237/ في الميزان الجديد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2004م.

-محمود بن عبد الرحيم صافي:

238/ الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق، ط4، 1418 هـ.

-محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش:

239/ إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص - سورية، ط4، 1415هـ.

-المرادي (حسن بن قاسم، أبو محمد، بدر الدين، 749هـ):

240/ الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1413 هـ - 1992م.

-المراغي (أحمد بن مصطفى، 1371هـ):

241/ تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ - 1946م.

242/ علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 1414هـ-1993م.

-ابن المرحل (أبو الحكم، مالك بن عبد الرحمن، 699هـ):

243/ متن موطأ الفصيح، تح: عبد الله سفيان الحكمي، دار الذخائر للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1424هـ - 2003م.

-مسلم (مسلم بن الحجاج، أبو الحسن، 261هـ):

244/ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،
تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، دت.

-مشهور موسى مشهور مشاهرة:

245/ المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نقدية بلاغية، عالم الكب الحديث، الأردن،
ط1، 1431هـ - 2010 م .

-المظهري (محمد ثناء الله، 1225هـ):

246/ التفسير المظهري، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان، دط،
1412 هـ.

-المفضل الضبي (المفضل بن محمد، 168هـ):

247/ أمثال العرب، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط2،
1403هـ - 1983م.

-المفضل بن سلمة (أبو طالب، 290هـ):

248/ الفاخر، تح: عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1،
1380هـ.

-مقاتل (أبو الحسن مقاتل بن سليمان، 150هـ):

249/ تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت،
ط1، 1423 هـ.

-مكي (أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، 437هـ):

250/ مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2،
1405هـ.

251/ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون
علومه، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة

قائمة المراجع

الشارقة، بإشراف : الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008م.

- ابن منظور (محمد بن مكرم، أبو الفضل، جمال الدين، 711هـ):

252/ لسان العرب، دتح، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ.

-موسى سامح ربابعة:

253/ الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن- أريد ، ط1، 2003م.

-الميداني (أبو الفضل، أحمد بن محمد، 518هـ):

254/ مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، دط، دت.

-النحاس(أبو جعفر، أحمد بن محمد، 338هـ):

255/ إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ.

256/ عمدة الكتاب، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم - الجفان والجابي للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1425 هـ - 2004 م.

-نخبة من أساتذة التفسير:

257/ التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ط2، 1430هـ - 2009م.

- النسائي (أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، 303هـ):

258/ السنن الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1421 هـ - 2001م.

-النسفي (أبو البركات، عبد الله بن أحمد، حافظ الدين، 710هـ):

قائمة المراجع

259/ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998م.

- النعماني (عمر بن علي، أبو حفص، سراج الدين، 775هـ):

260/ اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الأولى، 1419 هـ - 1998م.

- نعمة رحيم العزاوي:

261/ فصول في اللغة والنقد، المكتبة العصرية، بغداد، ط1، 1425 هـ - 2004م.

- النيسابوري (الحسن بن محمد، نظام الدين، 850هـ):

262/ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1416 هـ.

- الهاشمي (زيد بن عبد الله، أبو الخير، بعد 400هـ):

263/ الأمثال، تح: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1423 هـ.

- الهاشمي (أحمد بن إبراهيم، 1362هـ):

264/ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت.

- الهَرَوِيّ (أبو سهل، محمد بن علي، 433هـ):

265/ إسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420 هـ.

- ابن هشام (عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، 761هـ):

266/ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط6، 1985م.

- الواحدي (علي بن أحمد، أبو الحسن، 468هـ):

قائمة المراجع

267/ التفسير البسيط، تح: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430 هـ.

268/ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، الدار الشامية، دمشق، ط1، 1415 هـ.

- ابن الوراق (أبو الحسن، محمد بن عبد الله، 381هـ):

269/ علل النحو، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، ط1، 1420 هـ - 1999م.

- ابن وكيع (الحسن بن علي الضبي، أبو محمد، 393هـ):

270/ المنصف للسارق والمسروق منه، تح: عمر خليفة بن إدريس، جامعة قات يونس، بنغازي، ط1، 1994م.

- ولي الله الدهلوي (أحمد بن عبد الرحيم، 1176هـ):

271/ الفوز الكبير في أصول التفسير، عرّته من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي، دار الصحوة - القاهرة، ط2، 1407 هـ - 1986م.

- ابن وهب (عبد الله بن وهب، أبو محمد، 197هـ):

272/ تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، تح: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م.

- وهبة بن مصطفى الزحيلي:

273/ التفسير المنير في العقيدة والشرعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2، 1418هـ.

- يوسف أبو العدوس:

274/ الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007م.

2-المجَلَّاتُ:

-البخاري السباعي:

275/ المجاز في القرآن بين المثبتين والمنكرين، مجلة الباحث، جامعة الأغواط، الأغواط-
الجزائر، العدد10، أوت2012.

-خليفة بوجادي:

276/ تداولية الاستعارة من خلال أسرار البلاغة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة
حمه لخضر، الوادي- الجزائر، العدد5، 2013

-نزار السعودي:

277/ دلالات الانزياح التركيبي في أدب ابن زيدون الأندلسي، مجلة المخبر أبحاث في اللغة
والأدب الجزائري، جامعة بسكرة- الجزائر، العدد 12، 2016.

-نوار بوحلاسة:

278/ الانزياح الدلالي المفهوم والإجراء، حوليات جامعة قلمة للغات والآداب، الجزائر،
العدد10، جوان 2015م.

3- الرِّسَائِلُ الْجَامِعِيَّةُ

-أحمد غالب النوري الخرشة:

279/ أسلوبيّة الانزياح في النص القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن، 2008م.

- أسيل محمد صالح الديلمي:

280/ الانزياح الأسلوبي دراسة في نشر نزار قباني، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط،
الأردن، 2016م.

-سعاد بولحواش:

281/ شعرية الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن، رسالة ماجستير في الأدب
والنقد، جامعة الحاج لخضر، باتنة- الجزائر، 2012م.

-سليم سعداني:

قائمة المراجع

282/ الانزياح في الشعر الصوفي، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة- الجزائر، 2010م.

- عيسى تومي:

283/ الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، سورة البقرة نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة- الجزائر، 2014-2015م.

- محمد الحسن علي الأمين:

284/ الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصّص الأولى (الماجستير) في البلاغة العربية (مخطوطة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السنة الدراسية 1403-1404هـ/1983-1984م.

- مليكة النوي:

285/ مقارنة بين الأسلوبية ونظرية النظم، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر 2009م.

الملاحق

ملحق 1: مواضع المجاز المرسل وعلاقاته في سورة البقرة

رقم الآية	علاقته	المجاز المرسل
15	السببية	﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾
19	الكلية	﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي عَادَتِهِمْ﴾
43	الجزئية	﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ﴾
112	الجزئية	﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾
115	الجزئية	﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾
144	الكلية أو المحلية	﴿تَقْلُبْ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾
144	الجزئية	﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾
174	المسببية أو اعتبار ما يكون	﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾
194	السببية	﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾
195	الجزئية	﴿وَلَا تُلْقُوا يَدَيْكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾
210	السببية	﴿يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾
221	المسببية	﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾
232	اعتبار ما كان أو اعتبار ما يكون	﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾

الملاحق

240	اعتبار ما كان	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ﴿
243	اعتبار ما يكون	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴿

ملحق 2: مواضع المجاز العقلي وعلاقاته في سورة البقرة

رقم الآية	علاقته	المجاز العقلي
2	السببية	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿
16	السببية	﴿فَمَا رِيحَتْ بِجَدَرَتِهِمْ ﴿
25	المكانية	﴿جَنَّتْ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿
74	السببية	﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿
200	المصدرية	﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴿
261	السببية	﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴿
283	السببية	﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ دَاءٌ أَشْمُ قَلْبُهُ ﴿

ملحق 3: مواضع الاستعارة ونوعها في سورة البقرة

رقم الآية	نوعها	الاستعارة
7	تصريحية أو تمثيلية	﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾
7	تصريحية أو تمثيلية	﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ﴾
10	تصريحية	﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾
14	تصريحية	﴿وَإِذَا حَلَّوْا إِلَى شِيَاطِينِهِمْ﴾
16	تصريحية مرشحة	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَّحَتْ بِتِجَارَتِهِمْ﴾
27	مكنية	﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾
61	مكنية	﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾
93	تصريحية	﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾
138	تصريحية	﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾
187	تصريحية	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾
223	تصريحية	﴿فَأَتَوْا حَرَّتَكُمْ أَنْيَّ شَيْئُمْ﴾
250	تصريحية أو تمثيلية	﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾
250	تصريحية	﴿وَكُتِبَتْ أَقْدَامُنَا﴾
256	تمثيلية أو تصريحية	﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ﴾

الملاحق

		لَمَّا ^ظ
257	تصريحية	﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ^ط ﴾

ملحق 4: مَوَاضِعُ الْكِنَايَةِ وَأَنْوَاعُهَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ

الآية	المكنى عنه	نوعها	الكناية
88	العدم	كناية عن صفة	﴿بَلْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾
96	الكثرة	كناية عن صفة	﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾
97	السبق	كناية عن صفة	﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾
101	الإعراض	كناية عن صفة	﴿بَدَأَ فِرْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾
144	الكعبة	كناية عن موصوف	﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ^ع ﴾
174	الغضب والسخط	كناية عن صفة	﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾
187	الجماع	كناية عن موصوف	﴿أَحَلَّ لَكُم لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ^ع ﴾
187	الجماع	كناية عن موصوف	﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوهُمْ﴾
196	القمل أو الجراح	كناية عن موصوف	﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن

الملاحق

			رَأْسُهُ
205	الإيذاء الشديد	كناية عن صفة	﴿وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾
212	السعة وعدم التضييق	كناية عن صفة	﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
222	ترك الجماع	كناية عن موصوف	﴿فَاعْتَرِلُوا الْبَسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾
222	الجماع	كناية عن موصوف	﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾
223	الجماع	كناية عن موصوف	﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾
228	إسقاط الجنين	كناية عن صفة	﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾
235	الجماع	كناية عن موصوف	﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾
236	الجماع	كناية عن موصوف	﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾
249	الموت في مرضاة الله	كناية عن صفة	﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ﴾
259	الخراب	كناية عن صفة	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾
270	جزاء الإنفاق	كناية عن صفة	﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾
273	التجارة	كناية عن صفة	﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي﴾

الملاحق

			الْأَرْضِ ﴿٢٧٣﴾
273	جزاء الإنفاق	كناية عن صفة	﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾
285	القبول والامتنال	كناية عن صفة	﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾

ملحق 5: المصطلحات الواردة في البحث

المصطلح بالإنجليزية	المصطلح بالعربية
Selection	الاختيار
Allegation	الادعاء
Parataxis	الإزداف
Metaphor	استعارة
Explicit metaphor	استعارة تصريحية
Implicit metaphor	استعارة مكنية
Stylistic	الأسلوبية
Demonstrative pronouns	أسماء الإشارة
Concord	اسم عين
Noun of place	اسم مكان
Circumlocution	الإطناب
Inimitability	الإعجاز
Conviction	الإقناع
Apostrophe	الانففات
Enjoyment	الإمتاع
Deviation	انحراف

الملاحق

Ecart	انزياح
Rhetoric	البلاغة
Surface structure	بنية سطحية
Deep structure	بنية عميقة
Pragmatics	التداولية
Synonymy	التّرادف
Partial synonymy	التّرادف الجزئيّ
Comparison	التّشبيه
Eloquent comparison	التّشبيه البليغ
Implication	التّضمن
Innuendo	التّعريض
Anastrophe	التّقديم والتّأخير
Paronomasia	التّورية
Broken plural	جمع التّكسير
Argument	الحجّاج
Deletion	الحذف
Semantic field	الحقل الدّلاليّ
True essence	حقيقة
Significant	الدّالّ
Signification	الدّلالة
Centralized signification	الدّلالة المركزيّة
Marginally signification	الدّلالة الهامشيّة
Context	سياق
Cultural context	السّياق الثقافيّ
Linguistic context	السّياق اللغويّ

الملاحق

Situational context	السياق المَقاميّ
Near- synonymy	شبه التّرادف
Deviation	عدول
Substitutive deviation	عدول استبدالِيّ
Metaphorical deviation	عدول استعارِيّ
Structural deviation	عدول تركيبِيّ
Indicative deviation	عدول دلاليّ
Metonymic deviation	عدول كنائيّ
Figurative deviation	عدول مجازِيّ
Lexical deviation	عدول معجمِيّ
Grammatical deviation	عدول نحويّ
Relation of Similarity	علاقة المشابهة
Unaugmented verb	الفعل المجرّد
Co-text	قرينة
Word	كلمة
Metonymy	كناية
Metonymy of quality	كناية عن صفة
Metonymy of described	كناية عن موصوف
Metonymy of attribution	كناية عن نسبة
Creator	مبدع
Recipient	المتلقي
Proverb	المَثَل
Figure	مجاز
Mental figuration	مجاز عقليّ
Trope	مجاز لغويّ

الملاحق

Synechdoche	مجاز مرسل
Linguistic taboo	المحظور اللّغويّ
Signified	مدلول
Mimmiyy infinitive noun	مصدر ميميّ
Definite	المعرفة
Meaning	المعنى
Basic meaning	المعنى الأساسيّ
Literal meaning	المعنى الحقيقيّ
Contextual meaning	المعنى السياقيّ
Meaning of meaning	معنى المعنى
Metaphorical meaning	المعنى غير الحقيقي
Order	الموقعية
Text	النّصّ
Construction	النّظم
Indefinite	النّكرة
Lexical unit	وحدة معجمية

الفهارس

العامّة

1- فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	2	البقرة	77
﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾	7	البقرة	100
﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	10	البقرة	104-91
﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	14-15	البقرة	107-38
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَحِمَتْ بَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾	16	البقرة	92-69 107
﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾	19	البقرة	41
﴿ وَيَبِيرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رَّزَقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَنُوتَآ بِهِءِ	25	البقرة	72

فهرس الآيات القرآنية

			مُتَشَبِّهًا ^ط وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ^ط وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾
112	البقرة	27	﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ^ط أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾
212	البقرة	35	﴿ وَقُلْنَا يَتَّادِمُ أَتَى أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾
44	البقرة	43	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾
204-174	البقرة	58	﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ ^ط وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾
204	البقرة	59	﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾
207-206	البقرة	60	﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ^ط فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ^ط قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ^ط كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا

فهرس الآيات القرآنية

			تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
-114 179-115	البقرة	61	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَيْطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۖ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ ۖ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾
182	البقرة	62	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ مِّنَ ءَامَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾
77	البقرة	74	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾
193	البقرة	76-75	﴿أَفَنظَمُعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ

فهرس الآيات القرآنية

			وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾
193	البقرة	79	﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثُمَّناً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾
-186 195-194	البقرة	80	﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا الْكَارُ إِلَّا أَسْكَامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتُخَذُكُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ؕ أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
162	البقرة	88	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٨٨﴾
117	البقرة	93	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ ءِيمَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٩٣﴾
162	البقرة	96	﴿ وَلَنُحِجَّ عَنْهُمْ الْكَاسَ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ يُرْمَى إِلَهُاتُهُمْ فَمَا هُمْ بِمُزَجَّزِينَ ؕ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾

فهرس الآيات القرآنية

162	البقرة	97	قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾
163	البقرة	101	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
46	البقرة	-111 112	﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
49	البقرة	115	قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِيعُ عَلِيمٌ ﴾
202-199	البقرة	125	﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾
197	البقرة	126	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِن الثَّمَرَاتِ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

216-122	البقرة	136	﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾
120	البقرة	138	﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾
161-48	البقرة	144	﴿ قَدْ زَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾
163-50	البقرة	174	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
93	البقرة	175	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾
196-195	البقرة	184	﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

149-127	البقرة	187	﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾
-53-39 55	البقرة	194	﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَانْقُضُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾
56	البقرة	195	﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾
164	البقرة	196	﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴿١٩٦﴾
77	البقرة	200	﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴿٢٠٠﴾
189	البقرة	203	﴿ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴿٢٠٣﴾

فهرس الآيات القرآنية

164	البقرة	205	﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾
59	البقرة	208- 209	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
58	البقرة	210	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾
164	البقرة	212	﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾
61	البقرة	221	﴿ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَبَيِّنُ ۖ ءَايَاتِهِ ۖ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾
153	البقرة	222	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾
153-127	البقرة	223	﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ۖ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَوُهُ وَبَشِّرِ

فهرس الآيات القرآنية

			الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾
165	البقرة	228	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیَصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا یَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ یَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِیْ أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ یُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْیَوْمِ الْآخِرِ ﴾
64	البقرة	232	﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ یَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَیْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾
158	البقرة	235-237	﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَیْكُمْ فِیْمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِیْ أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ یَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ مَا فِیْ أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ حَلِیمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَیْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِیضَةً ۚ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمُسَعِّقَدَرُهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ ۚ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ ۚ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِیْنَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِیضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ یَعْفُوا ۚ أَوْ یَعْفُوا الَّذِیْ بَیْدَهُ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَیْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ ﴾
66	البقرة	240	﴿ وَالَّذِیْنَ یَتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَیَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِیَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَیْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ

فهرس الآيات القرآنية

			فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾
67	البقرة	243	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَالْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾
165	البقرة	249	﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ مُبْتَلِيَكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾
128	البقرة	250	﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾
129	البقرة	256	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾
124	البقرة	257	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ

فهرس الآيات القرآنية

			مِنَ النَّارِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾
165	البقرة	259	﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾
78	البقرة	261	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعِ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾
166	البقرة	270	﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ ﴾ ﴿٢٧٠﴾
166	البقرة	273	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٢٧٣﴾
74	البقرة	283	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً ۖ فَإِنْ أَتَى بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ۖ ءَاتِمٌ قَلْبُهُ ۚ ﴾
166	البقرة	285	﴿ ءَا مَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَا مَنَ الرَّسُولَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ

فهرس الآيات القرآنية

			ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾
123	آل عمران	19	﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأِيسْلَمُوا﴾
193	آل عمران	21	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَغْيٍ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾
193	آل عمران	23	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾
195-187	آل عمران	24	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾
218	آل عمران	72	﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
216	آل عمران	84	﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
123	آل عمران	85	﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾
114	آل عمران	103	﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

فهرس الآيات القرآنية

182	آل عمران	-110 111	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى ^ط وَإِن يُقْتَلُوا يَوْمَئِذٍ يَوْمُكُمْ الْأَدْبَارِ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾
180-117	آل عمران	112	﴿ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ^ط ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾
182	آل عمران	-113 115	﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ ءَايَتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ^ط وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾
30	النساء	2	﴿ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ^ط ﴾
134-42	المائدة	6	﴿ فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾
42	المائدة	38	﴿ فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾
218-217	المائدة	48	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

125	الأنعام	1	﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾
34	الأنعام	6	﴿ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ ﴾
214-109	الأعراف	18	﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾
212	الأعراف	19	﴿ وَيَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾
-206 209-207	الأعراف	160	﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾
174	الأعراف	161	﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُونُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾
204	الأعراف	-161 162	﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُونُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ

فهرس الآيات القرآنية

			الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾
30	يوسف	82	﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾
197	إبراهيم	35	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّاصْنَامَ ﴾ ﴿٣٥﴾
201	إبراهيم	37	﴿ فَأَجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾
109	الحجر	35	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ﴿٣٥﴾
92	النحل	112	﴿ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾
35	الإسراء	45	﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾
87	مریم	4	﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾
189	الحج	28	﴿ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ ﴾
62	السجدة	20	﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾
62	سبأ	42	﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾
90	يس	52	﴿ قَالُوا يَنْوِلُنَا مِنْ بَعَثَانَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾
29	غافر	13	﴿ وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾
34	غافر	37-36	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَلَهُمَنْ ابْنِ لِى صَرَحًا لَعَلِّي آتِلُغُ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

			الْأَسْبَبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴿٣٦﴾
35	فصلت	36	﴿٣٦﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾
39	الشورى	40	﴿٣٩﴾ وَجَزَّوُا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا ﴿٣٩﴾
62	الطور	14-13	﴿١٣﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٣﴾
30	نوح	27-26	﴿٢٦﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَفْسُدُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾
34	المزمل	17	﴿١٧﴾ فَكَيْفَ تَنْقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾
31	الانفطار	14-13	﴿١٣﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾
111	الفجر	20	﴿٢٠﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾
35	القارعة	7-6	﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٦﴾

2- فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
29	مسلم	« قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ... »
106	الخاري، مسلم	" إن في جسد ابن آدم مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله "
156	ابن ماجه، النسائي	«اصنعوا كل شيء إلا الجماع»

عَجْزُ البيت	القائل	البحر	الرويُّ	الصفحة
في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابنِ الحَشْرِجِ	زياد الأعجم	الكامل	الجيم	145
وَأَعْرَبُ أَحْيَانًا بِهَا فَأُصَارِحُ	أبو زياد الكلابي	الطويل	الحاء	131
كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنَ السَّرَّ أَمْثَالِي	امرؤ القيس	الطويل	اللام	159
نُؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ	امرؤ القيس	الطويل	اللام	141
إِذْ أَصْبَحْتُ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا	لبيد بن ربيعة	الكامل	الميم	88
أَبُوها، وإِما عَبْدُ شَمْسٍ وَهاشِمُ	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	الميم	137
لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمِ	زهير بن أبي سلمى	الطويل	الميم	94
وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعِ الْأَضْغَانِ	عمرو بن معدي كرب	الكامل	النون	144
تَبْكِي عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا	بلا نسبة	الرجز	الهاء	81

مقدمة.....	أ-د
مدخل: العُدُولُ فِي إِطَارِهِ النَّظَرِيِّ.....	2
1 . مفهوم العُدُول.....	2
1-1 - في اللغة :	2
1-2 - في الاصطلاح.....	4
1-2-1 - ضبط المصطلح.....	5
1-2-2 - العُدُولُ عِنْدَ الْقَدَمَاءِ.....	9
2- مُسْتَوِيَاتُ العُدُول.....	13
2-1 - المُسْتَوَى الدَّلَالِيُّ (الاستبدالِي).....	13
2-2 - المُسْتَوَى النَّحْوِيُّ (التَّرْكِيبِيُّ).....	15
3- النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ.....	18
الفصل الأول: العُدُولُ الْمَجَازِيُّ.....	22
1- مفهوم المَجَاز.....	22
1-1 - في اللغة.....	22
1-2 - في الاصطلاح.....	23
2- أَقْسَامُ الْمَجَاز.....	26
2-1 - الْمَجَازُ اللُّغَوِيُّ.....	26

27	2-1-1- الاستعارة.....
28	2-1-2- المجاز المرسل.....
31	2-2- المجاز العقلي.....
37	3- المجاز في سورة البقرة.....
38	3-1- المجاز المرسل في سورة البقرة.....
69	3-2- المجاز العقلي في سورة البقرة.....
80	الفصل الثاني: العُدول الاستعاري.....
80	1- مفهوم الاستعارة.....
80	1-1- في اللغة.....
81	1-2- في الاصطلاح.....
86	2- أقسام الاستعارة.....
86	2-1- تقسيم الاستعارة باعتبار ما يُذكر من الطرفين.....
86	2-1-1- الاستعارة التصريحية.....
87	2-1-2- الاستعارة المكنية.....
89	2-2- تقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار.....
89	2-2-1- الاستعارة الأصلية.....
90	2-2-2- الاستعارة التبعية.....
91	2-3- تقسيم الاستعارة باعتبار اجتماع الطرفين.....
91	2-3-1- الاستعارة الوفاقية.....
91	2-3-2- الاستعارة العنادية.....

91	2-4-تقسيم الاستعارة باعتبار الملائم.....
92	2-4-1-الاستعارة المرشحة.....
92	2-4-2-الاستعارة المجردة.....
93	2-4-3-الاستعارة المطلقة.....
95	2-5-تقسيم الاستعارة باعتبار الأفراد والتراكيب.....
96	2-5-1-الاستعارة المفردة.....
96	2-5-2-الاستعارة التمثيلية.....
99	3-الاستعارة في سورة البقرة.....
131	الفصل الثالث: العُدُولُ الكِنَائِيُّ.....
131	1-مفهوم الكناية.....
131	1-1-في اللغة.....
133	1-2-في الاصطلاح.....
141	2-أقسام الكناية.....
141	2-1-الكناية عن صفة.....
143	2-2-الكناية عن موصوف.....
144	2-3-الكناية عن نسبة.....
147	3-الكناية في سورة البقرة.....
170	الفصل الرابع: العُدُولُ المُعْجَمِيُّ.....
174	1-العُدُولُ المُعْجَمِيُّ في الأسماء.....
204	2-العُدُولُ المُعْجَمِيُّ في الأفعال.....

212.....	3- العُدُولُ الْمُعْجَمِيُّ فِي الحُرُوفِ
220.....	خَاتِمَةُ.....
225.....	-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.....
225.....	قَائِمَةُ المَصَادِرِ والمَرَاجعِ.....
225.....	1-الكُتُبُ:.....
258.....	2-المَجَلَّاتُ:.....
258.....	3- الرِّسَائِلُ الجَامِعِيَّةُ.....
261.....	المَلَا حِقُ.....
261.....	مُلْحَق 1: مَوَاضِعُ المَجَازِ المُرْسَلِ وَعَلَا قَاتُهُ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ.....
262.....	ملحق 2: مَوَاضِعُ المَجَازِ العَقْلِيِّ وَعَلَا قَاتُهُ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ.....
263.....	ملحق 3: مَوَاضِعُ الاستِعَارَةِ وَنَوْعُهَا فِي سُورَةِ البَقَرَةِ.....
264.....	ملحق 4: مَوَاضِعُ الكِنَايَةِ وَأَنْوَاعُهَا فِي سُورَةِ البَقَرَةِ.....
266.....	ملحق 5: المُصْطَلَحَاتُ الوَارِدَةُ فِي البَحْثِ.....
271.....	الفَهَارِسُ العَامَّةُ.....
271.....	1-فهرسُ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ.....
287.....	2-فهرسُ الأحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ.....
288.....	3-فهرسُ الأشْعَارِ.....
289.....	4-فهرسُ المَوْضُوعَاتِ.....

يتناول هذا البحث الموسوم بـ " تَجَلِّيَاتُ الْعُدُولِ الدَّلَالِي فِي النِّظْمِ الْقُرْآنِيِّ " ظاهرة من ركائز الدراسات البلاغية والتّقديّة والأسلوبية، وهي ظاهرة العُدول الدَّلاليّ التي تُعدّ خروجاً عن النّسق المألوف للغة إلى النّسق الإبداعيّ الجماليّ الذي له تأثير عميق في المتلقّي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنّه سيحاول الوقوف على مواطن هذه الظّاهرة في سورة البقرة ويكشف الأسرار الكامنة خلفها ويبيّن جماليّاتها بالاستعانة بأقوال المفسّرين والبلاغيّين والتّقاد السّابقيّن، وأقوال بعض المحدّثين مع التّحليل والمناقشة ومحاولة التّرجيح.

وتتجلّى إشكالية هذه البحث في السّؤال الرئيس الآتي: ما الأسرار والأغراض الكامنة خلف العُدول الدَّلاليّ في النظم القرآني؟

هذا السّؤال تنفرّع عنه مجموعة من الأسئلة الثّانوية ومنها: ما السّرّ في العُدول عن الحقيقة إلى المجاز؟ ولمّ كان المجاز أبْلغ من الحقيقة؟ ولمّ كانت الكناية أَوْقَع من التّصريح؟ وما العلاقة بين العُدول والسّياق؟ وهل يقتضي السّياق لفظاً دون غيره من الألفاظ؟ وهل يمكن القول إنّ ذلك من باب التّفنّن في التّعبير؟

وقد اقتضى موضوع هذه البحث اتّباع المنهج الوصفيّ بالإضافة إلى بعض الآليات الإجرائيّة التي تصحبه كالتّحليل والمقارنة والتّرجيح. من أجل هذا جاءت الرسالة في مدخل وأربعة فصول -تتخلّلها مباحث- وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع وملاحق وفهارس فنيّة .

فالمدخل المعنون بـ " العُدول في إطاره النّظريّ " يتناول مفهوم العُدول في اللّغة والاصطلاح ومستوياته، و يتحدث عن النّظم القرآنيّ بصفة عامّة.

وأما الفصل الأوّل الموسوم بـ "العُدول المجازيّ" فيتناول مفهوم المجاز في اللّغة والاصطلاح، وأقسام المجاز، وتحليلات المجاز المرسل والعقليّ في سورة البقرة .

وأما الفصل الثّاني الموسوم بـ "العُدول الاستعاريّ"، فيتناول مفهوم الاستعارة في اللّغة والاصطلاح، وأقسامها، وتحليلاتها في سورة البقرة .

وأما الفصل الثالث الموسوم بـ "العدول الكنائي"، فيتناول مفهوم الكناية في اللغة والاصطلاح وأقسامها، وتحلياتها في سورة البقرة .

وأما الفصل الرابع الموسوم بـ "العدول المعجمي"، فيتناول العدول المعجمي في الأسماء، والعدول المعجمي في الأفعال، والعدول المعجمي في الحروف.

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي وصل إليها البحث، ومن أهمها:

- أن النظم القرآني لا يعدل عن معنى إلى معنى أو عن لفظ إلى لفظ أو عن أسلوب إلى أسلوب إلا لسرّ وغاية منشودة، وكلّ عدول يحمل في طياته شحنا دلالية إضافية تخدم المعنى وتثري الدلالة وتزيد النصّ جمالا والتعبير رونقا.

- يعدّ السياق أبرز حكم في توجيه العدول الدلاليّ وبيان السرّ فيه والغرض الكامن وراءه، فكلّ لفظ وضع حسب ما يقتضيه السياق، وهذا الوضع إمّا أن يكون متعلّقًا بالسياق اللغويّ أو بسياق المقام .

- القول بالتّرادف التّام للألفاظ في العدول المعجميّ قول لا يمكن التّسليم بوجوده في القرآن؛ لأنّ كثيرا من الألفاظ التي قد تبدو مترادفة تتقاطع في الدّلالة العامة فقط وإذا أمعنا النّظر فيها وجدناها تنفرد بدلالات خاصّة .

- التّأكيد على نضج الفكر اللّغويّ لعلمائنا، وتمكّنهم من آليات التّحليل اللّغويّ، وقدرتهم اللّغويّة الواسعة التي مكّنتهم من استنطاق النّصوص، وفكّ مغلقها بالاعتماد على آليات علم اللّغة الحديث.

Summary

This research examines the manifestations of the semantic deviation in the Qur'anic construction. This phenomenon is one of the pillars of rhetoric, criticism and stylistic studies. It is a departure from the style of the familiar language to the creative aesthetic style that has a profound impact on the recipient, This on the one hand, and on the other hand will try to determine the location of this phenomenon in Surat al-Baqarah and show the secrets behind it, and show its aesthetics based on the sayings explainers, the scholars of rhetoric and the critics, and the words of some modernists with analysis, discussion and weighting.

The problem of research is manifested In the next major question: What are the secrets and purposes behind the semantic deviation in the Qur'anic construction?

This question raises secondary questions, including: What is the secret in deviating from true essence to figure? Why is the figure better than the true essence? and Why the metonymy more powerful than the explicit? What is the relationship between deviation and context? Does the context require a word without other words? and Can you say that it is just a diversity of expression?

The subject of this research required a descriptive approach And some accompanying procedures such as analysis, discussion and weighting.

Summary

For this reason, this research came in: introduction, entrance, four chapters, a conclusion, a list of references, supplements, and general indexes.

The entrance is titled: " Deviation in its theoretical framework" He is exposed to the concept of deviation in language and terminology, and its levels, and speaks about the Qur'anic construction in general.

The first chapter has its title: figurative deviation. And is exposed to the concept of figure in language and terminology, and sections, and manifestations of mental figuration and senychdoche in Surat al-Baqarah.

The second chapter has its title: the metaphorical deviation. And is exposed to the concept of metaphor in language and terminology, and sections and manifestations in Surat al-Baqarah.

The third chapter has its title: metonymic deviation. And is exposed to the concept of metonymy in language and terminology, and sections, and manifestations in Surat al-Baqarah.

The fourth chapter has its title: lexical deviation. He is subject to lexical deviation in nouns, verbs, and letters.

The conclusion included the most important findings of the research, including:

- Qur'anic construction do not deviate from meaning to meaning or from word to word or style to style unless there is a secret and purpose.

Summary

Each deviation carries additional connotations that serve meaning, contribute to the enrichment of significance, and give the beauty of text and expression.

- Context is a prominent Referee in the interpretation of semantic deviation, and the statement of the secrets behind it, Each word is placed as context requires, whether linguistic context or situational context.
- There is no absolute synonymy in the Holy Quran, because the words that seem synonymous do not share only the general significance, and if we look at them accurately we found that they have special significance.
- Confirm the maturity of the linguistic thought of our ancient scientists, And their extensive linguistic ability, which enabled them to Linguistic analysis and explore and dismantle and understand texts as in modern linguistics.

Résumé

Cette recherche, intitulé " Les manifestations de la déviation dans le système linguistique coranique " traite, d'une part, l'un des fondements de l'étude théorique, critique et stylistique ,qui est la déviation sémantique. Cela dépasse l'ancienne manière d'étudier la langue à une manière plus créative et plus esthétique ayant un impact très profond sur le récepteur.

D'autre part, ce travail essaye d'identifier l'utilisation de ce phénomène dans la Sourate "Le Bakara" .Il vise également à révéler ses secrets à démontrer son effet esthétique en s'appuyant sur les paroles des exégètes, des rhétoriciens et de certains modernistes, suivi d'une analyse et des commentaires ,tout en tentant d'effectuer une pondération entre les différents avis .

Ainsi, la problématique de cette recherche se manifeste à travers la question majeure suivante:

"Quels sont les secrets et les objectifs de la déviation sémantique dans le système linguistique coranique ?"

De cette question ,découlent ces questions secondaires :

-Dans quel but passe - t - on de l'expression réelle à l'expression figurative ?

- Pourquoi l'expression figurative est - elle plus expressive que l'expression réelle ?

Résumé

- Pourquoi la métonymie a - t - elle un effet plus retentissant que la déclaration ?

-Et quelle est la relation entre la déviation et le contexte ?

Le contexte, necessite - t - il un mot bien précis que d'autres mots ? Ou bien , peut -on dire que cela n'est qu'une expression artistique ?

Pour répondre à ces questions, une méthode descriptive s'impose, accompagnée de mécanismes procéduraux comme l'analyse, la comparaison et la pondération .

Pour cette raison , cette thèse est dévisée en quatre chapitres, entrecoupés de sous - chapitres en terminant par une conclusion, une bibliographie et un annexe .

Ainsi, l'introduction, ayant pour titre, "la déviation dans le cadre théorique" traite la notion de la déviation, au sens propre et au sens figuré ainsi que ses niveaux .Elle aborde également le système linguistique coranique d'une manière générale.

Quant au premier chapitre, qui s'intitule : " La déviation figurative ", traite la notion de l'expression figurative au sens propre et au sens figuré, ses différents types et les manifestations de la synecdoque et l'hypallage dans la Sourate El Baquara" .

Tandis que, le deuxième chapitre, titré "La déviation métaphorique " explique la notion de la métaphore au

Résumé

sens propre et au sens figuré , des divisions et ses manifestations dans la même Sourate .

Le troisième chapitre, intitulé " La déviation métonymique " définit la notion de la métonymie au sens propre et au sens figuré ainsi que ses divisions et ses manifestations dans la Sourate citée ci-dessus.

Or, le quatrième dont le titre est " La déviation lexicale " aborde la déviation lexicale des noms , des verbes et des lettres .

Enfin, le travail termine par une conclusion qui comporte les principaux résultats suivants :

- Dans le système linguistique coranique, la déviation d'un sens à un autre, d'un mot à un autre ou d'un style à un autre, ne se fait que pour un objectif escompté et motivée par un quelconque secret .
- Le contexte a un rôle déterminant pour orienter la déviation sémantique et divulguer son secret ,ainsi que pour démontrer dans quel but s'opère - t - elle, car chaque mot est utilisé selon un contexte, et cette utilisation dépend, soit du contexte linguistique, soit du contexte conjoncturel .
- Dire que ,dans le Coran, la synonymie est totale, n'est pas encore reconnu, car les mots synonymes n'ont pas un sens identique ,mais ils partagent seulement l'idée générale, et si l'on

Résumé

observe attentivement, on trouvera que chaque mot a un sens propre à lui .

- La confirmation de la maturité de la pensée linguistique de nos savants et leur parfaite maîtrise des mécanismes de l'analyse du discours. Leur grande compétence linguistique leur a permis ,également d'interroger les textes et de déchiffrer ses codes, en s'appuyant sur les mécanismes de la linguistique moderne .